

ثلاثة قرون هجرية

على دعوة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

تأليف

الدكتور علاء بكر


الجزيرة لفن التجليد


الجزيرة لفن التجليد

إهـــــــداء ٢٠٠٨
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

ثلاثة قرون هجرية

على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية



دار الخلفاء الراشدين

الأسكندرية

رقم الإيداع : ٢٠٠٧/٢٤٥٠٤

دار الخلفاء الراشدين

الإسكندرية ـ أبو سليمان ـ ش عمر

أمام مسجد الخلفاء الراشدين

٠١٠٥٠١٣١٥١-٠١٢٠١٥٢٩٠٨

دار الفتح الإسلامي

الإسكندرية ـ مصطفى كامل

بجوار مسجد الفتح الإسلامي

٠١٠٢٧٧١٠٦٠-٠١٠٦٧١٤٣٦٨

ثلاثة قرون هجرية

على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

تأليف

الدكتور علاء بكر

دار الفتح الإسلامي
بمصطفى كامل

دار الخلفاء الراشدين
الأسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين .

وبعد :

فرغم مرور ثلاثة قرون هجرية تقريبًا على الدعوة الوهابية [1] ، ورغم ما قدمته هذه الدعوة وما زالت تقدم من ثمرات طيبة ، فإن الكثيرين لا يعلمون ما ينبغي علمه عن هذه الدعوة ، وهذا بحق من الأمور العجيبة والتي سيشاركني قارئ هذا الكتاب بعد إتمام قراءته له في التعجب منها .

فالدعوة الوهابية دعوة سلفية مباركة ، تُعَدُّ إحياءً لما اندثر ، وتطبيقًا عمليًا لما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من منهج السلف الصالح ، ولقد يسر الله تعالى لصاحب هذه الدعوة ولأتباعه من بعده في ظل حكم آل سعود أن يحولوا نجد وما حولها من الشرك والخرافات إلى التوحيد والعبودية لله تعالى وحده ، ومن البدع والمحدثات إلى التمسك بالسنن والواجبات ، وأتحفوا الدنيا شرقًا وغربًا بالعلوم النافعة والعقيدة الصحيحة ، يشهد بذلك مؤلفات علماء الدعوة ودعاتها وكتاباتهم وفتاواهم ، والتي تبين مدى ما بلغوه من الريادة في الإحاطة بعلوم الشرع .

ولقد صارت للمملكة العربية السعودية العديد من العلماء البارزين في زماننا الحاضر ، وفي معاهدها الدينية وكليات العلوم الشرعية طلاب العلم من شتى بقاع الأرض ، ولله الحمد والمنة ، يتعلمون فيها العقيدة الصحيحة على نهج وفهم أهل السنة والجماعة ، وفوق ذلك فهناك كم كبير وتراث عظيم محفوظ من المؤلفات القيمة لعلماء الدعوة ودعاتها عبر هذه القرون الثلاثة الماضية ، والتي وضعت لتبين مبادئ الدعوة وأفكارها ، وترد على شبهات المناوئين واعتراضاتهم ،

---

(١) في اللغة يجوز جبر الكسر إلى العدد الصحيح ، كما في قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ والمراد بها شوال وذو القعدة وذو الحجة ، والحج لا يستغرق كل ذي الحجة .

وهي ثروة تثري الحياة العلمية بما تحويه من ردود وجهود نافعة ، وهي تنتظر من يجدد نشرها أو يعيد صياغة ما فيها من فوائد ودرر .

وهذا جهد مقل مني في التعريف بهذه الدعوة ، دفعني إليه ما رأيته من حاجة المسلمين عامة وطلاب العلم النافع خاصة من الإلمام به ، وإلا فإن إمكانياتي وقدراتي لا تعينني على الوفاء بمتطلبات هذا العمل الجليل ، وما لا يدرك جله لا يترك كله . وربما يكفي ما قدمت أن يكون بداية لمن يستكمله ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

فها هو بين يديك ـ أخي القارئ ـ ما أراه ينبغي أن يُعرف عن هذه الدعوة الوهابية السلفية المباركة ، فعليك به ، خاصة وأن أعداء الدعوة الوهابية ـ وهم أهل البدع والشركيات والخرافات ـ قد أثاروا حولها الغبار وأحاطوها بسحب من الدخان ليحجبوها عن الأنظار ، لأنهم يعلمون جيدًا أن مبادئها ومنهجها مما تتفتح له العقول وتتقبله القلوب وتنقاد له النفوس ، إذ هي الإسلام نقيًا كما عرفه سلفنا الصالح ، علمًا وعملًا ، عقيدة وعبادة ، معاملات وسلوكًا ، والواجب على من عرف الحق أن يدافع عنه ، ولا يخذله ، كما أن عليه أن يعمل به ولا يخالفه ، وفي حديث الطائفة المنصورة أنها : « **لا يضرها من خالفها أو خذلها** » [١] ، فلا تكن ـ أخي ـ ممن يخالفها ، ولا تكن ممن يخذلها ، لتكون من أبنائها .

فما كتبته وكان صوابًا فهو من فضل الله تعالى ومنته ، وما كان من خطأ وخلاف الصواب فمني ومن الشيطان ، وأسأل الله تعالى العفو والمغفرة ، وأناشد

---

(١) عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم خلاف من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله على ذلك** » متفق عليه .

من رأى أن عملي يحتاج لنصح أو إرشاد أن ينصحني ويرشدني ، فالدين النصيحة ، وأطلب ممن انتفع بما كتبت أن يدعو لي دعوة بظاهر الغيب عسى أن ينفعني الله تعالى وينفعه بها يوم العرض على رب العالمين .

ولا أنسى أن أقدم شكري وامتناني لكل من ساهم في ظهور هذا العمل ونشره .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

علاء بكر

صفر ١٤٢٨ هـ - مارس ٢٠٠٧ م

البَابُ الأوَّل

حياة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

ودعوته

أحيا لنا الدين الحنيف كما أتى
وأقامـــه بالســـيف والبرهـــان
كم حارب الشرك الخبيث وأهله
وأذاقهـم في الحـرب كـل هـوان
وأبـان توحيـد العبـادة بعـد مـا
درســـت معالمـــه مـــن الأذهـــان
كم أبطل البدع التي قد عكرت
صـفو الشـريعة مـورد الظمـآن
وأضـاء نـورًا لم يـزل متألقـًا
يهـدي بـه الـرحمن كـل أوان
يـا رب دعـوة مـؤمن متضـرع
أغـدق عليـه سـحائب الرضـوان

من قصيدة لأبي السمح عبد الظاهر المهدي ، الذي كان إمامًا بالمسجد الحرام رحمه الله ، يثني فيها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب [1] .

(١) الشيخ أبو الظاهر أبو السمح ، من مواليد عام ١٣٠٠ هـ ، كان إمامًا بالإسكندرية ، فاستقدمه الملك عبد العزيز إلى مكة ، فتولى الإمامة والخطابة في الحرم المكي ، وله رسالة في الدفاع عن عقيدة السلف التي جددها الشيخ محمد بن عبد الوهاب عنوانها « الرسالة المكية في الرد على الرسالة الرملية » ، توفي بالقاهرة عام ١٣٧٠ هـ .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

• التعريف به :

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف التميمي ، من المشارفة ، أحد فروع الوهبة من قبيلة تميم [(١)] .

• مولده :

ولد في عام ١١١٥هـ (أوائل القرن الثاني عشر الهجري) ، الموافق (١٧٠٣م) (أوائل القرن الثامن عشر الميلادي) .

• مكان ميلاده :

في بلدة العُيَينَة ، شمال غربي الرياض [(٢)] .

أبوه : عبد الوهاب بن سليمان ، من علماء بلده ، تولى قضاء العيينة ، ثم غادرها إلى حريملاء فتولى القضاء فيها أيضًا .

• نشأة الشيخ :

نشأ الشيخ في بيئة علمية ، إذ كانت أسرته معروفة بالعلم والصلاح ، تولى أبوه قضاء بلدتي العيينة ثم حريملاء ، وجده (سليمان بن علي) كان من علماء نجد

---

(١) « دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تاريخها ، مبادئها ، أثرها » تأليف : محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان ، المحاضر في التاريخ الإسلامي الحديث بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض ، ط. المكتبة السلفية ـ القاهرة ، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ، ص (٢٥) .

(٢) تبعد العيينة ٤٠ كيلو متر عن الرياض .

في عصره ، انتهت إليه الفتيا في نجد وله مؤلف مشهور ، أما عمه (إبراهيم بن سليمان) فكان عالمًا قديرًا [١] .

درس الشيخ محمد بن عبد الوهاب أولًا على أبيه ، فتعلم الفقه الحنبلي ، وكان هو المذهب الشائع في نجد وقتها ، كما تعلم منه التفسير والحديث [٢] .

حفظ القرآن قبل بلوغ العاشرة من عمره ، وبلغ الاحتلام قبل الاثنى عشرة سنة [٣] .

وكتب والده لبعض إخوانه عنه فقال : ورأيته أهلًا للصلاة بالجماعة والائتمام فقدمته لمعرفته بالأحكام ، وزوجته بعد البلوغ في ذلك العام ، ثم طلب مني الحج إلى بيت الله الحرام فأجبته بالإسعاف لذلك المرام ، فحج وقضى ركن الإسلام وأدى المناسك على التمام [٤] .

وقد ظهر عليه من الصغر علامات النباهة والذكاء ، ووصف بكونه حاد الذهن ، ذكيًا ، نبيهًا ، فطنًا ، فصيحًا ، سريع الحفظ .

أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب يزيد في معلوماته بالقراءة الخاصة ، وقد ساعده شغفه بالقراءة وحبه لها على أن يطلع على كل ما يقع تحت يده من كتب الدين .

ولما كانت كتب الحنابلة متداولة بين علماء نجد لانتشار المذهب الحنبلي بها

---

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ٢٥) .

(٢) انظر «الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، دعوته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه» بقلم العلامة الشيخ : أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي آل بن علي قاضي المحكمة الشرعية بقطر ، قدم له وصححه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، (ص : ١٥) .

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) ذكر ذلك المؤرخ حسين بن غنام في (روضة الأفكار) .

فقد أهتم الشيخ بقراءتها ، وخاصة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله [١] ، حتى أنه كان ينسخ الكثير منها [٢] وتأثر بها كثيرًا ، فكان لهذه الكتب أثرها في تصحيح عقيدته وتوجيه حياته ودعوته ، ولذا فكثيرًا ما ينقل منها في مؤلفاته .

قال المؤرخ حسين بن غنام : « ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة ، فكان يحير أصحابه ، بحيث أنه يخط الخط الفصيح في المجلس الواحد كراس ، من غير سآمة ولا نصب ولا التباس » [٣] .

---

(١) انظر « دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لمحمد بن عبد الله بن سليمان ، (ص : ٢٦) .

(٢) وتوجد في المتحف البريطاني بلندن حتى الآن كتب لشيخ الإسلام ابن تيمية بخط الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

انظر « دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لمحمد بن عبد الله بن سليمان السلمان ط. المطبعة السلفية الأولى ، ص (٢٦) ، نقلًا عن « الوهابية وزعيمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب » للشيخ : حسن بن عبد الله آل الشيخ ، مجلة العربي ـ العدد ١٤٧ ، فبراير ١٩٧١م .

(٣) انظر « صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان » للشيخ محمد بن بشير السهسواني الهندي ط. مكتبة ابن تيمية بالقاهرة الطبعة الرابعة (١٤١٠هـ) ، (ص : ٤٠١) ، نقلًا عن « روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات أهل الإسلام » للمؤرخ الشيخ حسين بن غنام الإحسائي .

حالة نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

كانت بلاد نجد التي ولد فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعاش فيها تعاني من حالة سيئة للغاية في جوانبها الدينية والسياسية :

• **فمن الناحية الدينية :**

كانت بلاد نجد قد جرفها تيار الانحراف عن الدين الإسلامي من شرك وبدع وخرافات ، كالدعاء والنذر والذبح وصرف أنواع العبادات الأخرى لغير الله تعالى ، بالإضافة إلى التوسل بالأولياء والصالحين وتقديسهم ، والاعتقاد في الجمادات كالأشجار والأحجار في جلب النفع ودفع الضر ، حتى أصبح كثير من المسلمين مسلمين بالاسم فقط لكنهم بعيدون كل البعد عن روح الإسلام وحقيقته (١) .

فقد كان هناك الكثير من القبور التي تنسب إلى بعض الصحابة ، يؤمها الناس لطلب الحاجات والاستغاثة بها في الملمات ،يذكر منها قبر (زيد بن الخطاب) في (الجبيلة) ، وقبر (ضرار بن الأزور) في شُعيب (غبيراء) ، وقبر لبعض الصحابة رضي الله عنهم في (قريوه) بالدرعية (٢) .

وكانت هناك أشجار يعتقد الناس فيها ، كتوسلهم في بلد (المنفوحة) بفحل النخل واعتقادهم أن من تؤمه من العوانس تتزوج ، فكانت من تقصده تقول :

---

(١) انظر « دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٢٠-٢١) ، وراجع « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ١٨-١٩) .

(٢) انظر « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٢٢-٢٣) .

« يا فحل الفحول أريد زوجًا قبل الحول » ، وكذلك كانوا يفعلون في بليدة الفدا حيث يكثر ذكر النخل المعروف بـ (الفحال) ، وكذلك شجرة (الطرفية) ينتابها طوائف من الناس فيتبركون بها ، وتعلق المرأة فيها خرقًا إذا ولدت ذكرًا حتى يسلم من الموت [(١)] .

أما الأحجار : فيذكر منها غار بنت الأمير الذين يزعمون أن الله فلقه لها لتنجو من أحد الفسقة الذي كان يطاردها ليهتك عرضها ، فكان الناس يرسلون إلى الغار الهدايا وأنواع الطعام [(٢)] !!!

ومن اعتقاد العوام في الأولياء اعتقادهم في شخص من سكان مدينة (الخرج) اسمه (تاج) وكان أعمى ، وقد افتتن به الناس ، ينذرون له ويدعونه لقضاء شئونهم ، ويزعمون أنه يأتي من (الخرج) إلى (الدرعية) بدون قائد ليجمع ما تجمع له من النذور ، ويذكر المؤرخ حسين بن غنام أن الحكام في المنطقة كانوا يخشونه ، ويهاب الناس أعوانه [(٣)] .

أما في البادية : فقد كانت أسوأ حالًا من الحضر ، حيث كانت مرتعًا خصبًا لأنواع الشرك والبدع والخرافات ، لشدة جهل البدو وأميتهم ، وعدم قيام دولة ذات سلطان تحمل الناس على الحق [(٤)] .

فإن قيل : فكيف كان حال العلماء في البلاد وموقفهم من هذا الوضع المتردي ؟

---

(١) انظر المصدر السابق ، (ص : ٢٣) .

وانظر « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ١٨-١٩) .

(٢) انظر « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٢٣) .

(٣) انظر المصدر السابق ، (ص : ٢٣) .

(٤) انظر المصدر السابق ، (ص : ٢٣-٢٤) .

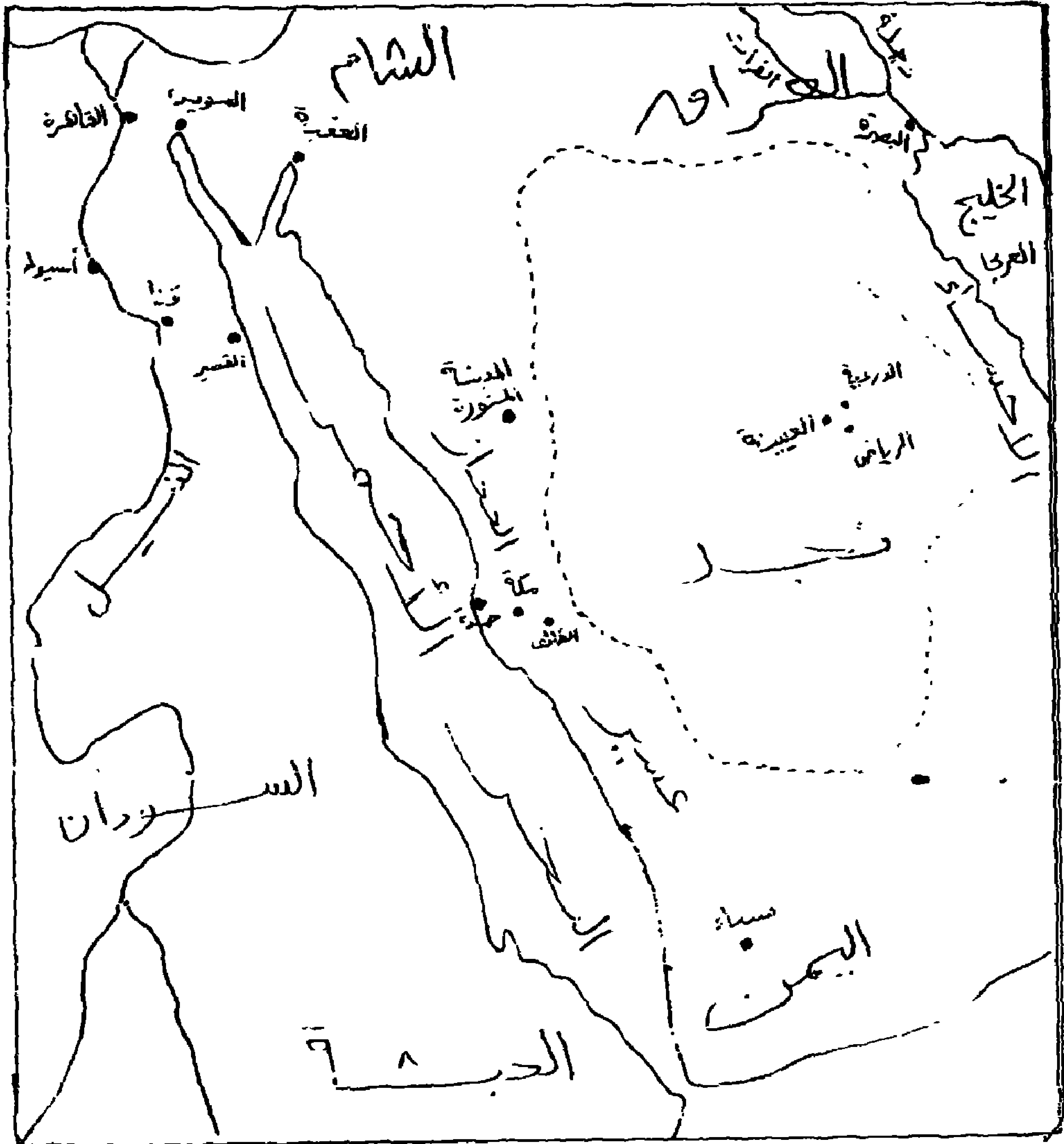
فالجواب : أنه « كان في نجد عدد من العلماء بعضهم تلقى العلم في مصر والشام وغيرها ، وكان هؤلاء العلماء على المذهب الحنبلي حيث كان مذهب الإمام أحمد بن حنبل هو المذهب المتبع في تلك العهود ، وكان انتشاره في نجد قبل بداية القرن العاشر الهجري ، وكان عدد قليل من العلماء على المذهب الشافعي والحنفي »[١] .

ولقد كان من بينهم من يرى أن السلوك الديني للعامة به كثير من الشوائب والمعتقدات المخالفة للعقيدة الإسلامية ، ولكنهم لم يقوموا بنشر أفكارهم والإنكار على المبتدعين ، وتحولوا مع الزمن إلى عقول جامدة لا تحاول الإصلاح ، وتسكت على منكرات العوام وخرافاتهم وتنقاد لولاة الأمور في الحق والباطل[٢] .

---

(١) المصدر السابق ، (ص : ٢١) .

(٢) راجع « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٢١-٢٢) .



• أما من الناحية السياسية :

فقد مرت نجد بمراحل عديدة انتهت بانقسامها إلى بلدان وقرى عديدة صغيرة يحكم كل منها حاكم أو أمير لا تربطه وجاره أي رابطة .

ففي القرن الثالث الهجري قامت في نجد دولة مستقلة عن دولة الخلافة

العباسية يطلق عليها « الدولة الأخيضرية » والتي أسسها « محمد الأخيضر » سنة ٢٥٣هـ - ٨٦٧م ، وبسقوطها لم تقم في نجد دولة أخرى ، ولكنها تحولت إلى إمارات صغيرة يرتبط بعضها ويقع تحت نفوذ حكام منطقة الأحساء المجاورة لها [١] .

ومن الدول التي قامت في منطقة الأحساء :

- الدولة العيونية من ٤٦٧هـ إلى ٧٥٠هـ تقريبًا .
- دولة بني عامر بن عقيل من ٧٥٠هـ إلى ٩٣٢هـ [٢] .

ثم استولى العثمانيون على منطقة الأحساء سنة ٩٦٣هـ ، وفي أثناء حكم العثمانيين للمنطقة لم يتعرضوا لإقليم نجد من قريب أو بعيد ، ولذلك لم تشهد منطقة نجد خلال تلك الفترة ولاة عثمانيين ، ولا حامية عثمانية تجوب خلال بلاده ، ذلك أن الدولة العثمانية لم تكن سياستها في ذلك الوقت تهتم بإخضاع نجد لحكمها ، وكل ما يهمها هو الحجاز حيث الأماكن المقدسة الإسلامية ، بالإضافة إلى السواحل الغربية والشرقية للجزيرة العربية ، خصوصًا بعد أن تعرضت هذه السواحل لحملات البرتغاليين في أثناء القرن الخامس عشر الميلادي [٣] .

وقد استمر العثمانيون يحكمون منطقة الأحساء حتى دخلت الدولة العثمانية فترة ضعف في عهد السلطان « محمد خان الرابع » في العقد السابع من القرن الحادي عشر الهجري ، فتمكن « بنو خالد » بزعامة « براك بن غرير آل حميد » من إجلاء الحامية التركية ، والاستيلاء على الأحساء سنة (١٠٨٠هـ - ١٦٦٩م) ،

---

(١) راجع « دعوة الشيخ » تأليف : محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان ط. المطبعة السلفية الأولى (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ، (ص : ١٧) .

(٢) المرجع السابق ، (ص : ١٧) .

(٣) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٧) .

وفي أوج قوة بني خالد استطاعوا مد نفوذهم إلى الكويت وبعض بلاد نجد [١] .

فبلاد نجد كانت مقسمة إلى إمارات وقرى صغيرة ضعيفة متفرقة متنازعة ، بعضها يخضع لنفوذ حكام منطقة الأحساء .

أما الحجاز فكانت تحت حكم الأشراف وخاضعة للدولة العثمانية ، يحكمون باسمها .

لقد كانت بلاد نجد لا أهمية لها من الناحية السياسية ولا يقام لها وزن ، وأهلها متنازعون متقاتلون ، تحكمها أهواء الحكام والأمراء ، وهم في حروب دائمة ، والحاكم منهم على قدم الاستعداد عندما تسنح له الفرصة ليعتدي على جيرانه إذا وجد فيهم ضعفًا أو عدم استعداد ، وقد ذهب مع هذه الحروب على صغر حجمها ـ ولكن مع كثرة تكرارها ـ الكثير من القتلى [٢] .

لقد كانت هذه الإمارات والقرى لا تعرف السكينة والأمن إلا قليلًا ، فهي في حروب ، تقتل أبناءها ، وتدمر بناءها ، وتحرق نخيلها ، وتتلف زرعها ، والناس محبوسون في بلادهم لا يستطيعون الابتعاد عنها خشية مهاجمة البدو لهم ، يسلبون وينهبون ويقتلون ، بل ويفرضون الإتاوات على القرى ، ويهددون سلامتها [٣] .

ولإعطاء صورة أوضح لما كانت عليه بلاد نجد من سوء حال نذكر بعضًا مما كتبه بعض مؤرخي هذه الفترة :

يقول الشيخ « أحمد المنقور » في تاريخه : « وفيها ـ أي سنة ثمان وتسعين

---

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٨) .

(٢) راجع « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٢٠) ، بتصرف .

(٣) راجع « دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن سليمان السلمان ، (ص : ١٨) .

وألف للهجرة ـ قتل أحمد بن علي راعي (المجمعة)، ثم آل دهيش في المجمعة بعده، ثم علي بن سليمان بعدهم، ثم علي بن محمد عندنا، وسطوة أهل محدث على الزلفى، وقتل فوزان بن زامل في الزلفى » اهـ[١].

ويقول المؤرخ عثمان بن بشر في تاريخه: « وفي سنة عشرين ومائة وألف قتل سلطان بن حمد القبس رئيس الدرعية، وتولى بعده أخوه عبد الله ثم قتل، وفيها قتل حسين بن نغير صاحب التويم البلد المعروف في ناحية سدير قتله ابن عمه فايز ابن محمد وتولى بعده في التويم، ثم إن أهل حرمة ساروا في التويم وقتل فايز المذكور، وجعلوا في البلد فوزان .. ثم غدر ناصر بن حمد في فوزان فقتله، فتولى في التويم محمد بن فوزان فتمالأ عليه رجال فقتلوه منهم المفرع وغيره من رؤساء البلد وهم أربعة رجال، فلم تستقر ولاية لأحدهم، فقسموا البلد أرباعًا، كل واحد شاخ في ربعها فسموها المربوعة أكثر من سنة » اهـ[٢].

* والخلاصة: كانت نجد تعيش في عدم استقرار وعدم أمن، نتيجة الحروب والفتن، لقد كانت نجد في أمس الحاجة إلى من يخلصها مما هي فيه من فرقة وانقسام، فجعل الله تعالى على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود خلاصها، وتكونت لنجد دولة قوية موحدة تحت راية التوحيد، وصارت لها مكانتها اللائقة بها.

---

(١) انظر « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان، (ص: ١٩).

(٢) المصدر السابق، (ص: ١٩).

الرحلة في طلب العلم

لما استكمل الشيخ تلقى تعليمه في بلده « العيينة » تطلع على عادة طلبة العلم الجادين إلى السفر في طلب العلم خارج بلده .

فخرج من بلده فبدأ بالحج لبيت الله الحرام ـ للمرة الثانية [1] ـ ثم اتجه بعد الحج من مكة إلى المدينة المنورة فأقام فيها لطلب العلم والأخذ عن علمائها ، (وكان فيها إذ ذاك من العلماء العاملين الشيخ « عبد الله بن إبراهيم بن سيف » من آل سيف النجدي ، كان رأسًا في بلد المجمعة ، فأخذ عنه الشيخ محمد عبد الوهاب كثيرًا من العلم ، وأحبه الشيخ عبد الله ، وكان به حفيًا ، وبذل جهدًا كبيرًا في تثقيفه وتعليمه ، وكان من أكبر عوامل توثيق الروابط بينهما وتمكين المحبة توافق أفكاره ومبدئه مع تلميذه في عقيدة التوحيد ، والتألم مما عليه أهل نجد وغيرهم من عقائد باطلة وأعمال زائفة ، واستفاد الشيخ من مصاحبته فوائد عظيمة ، وأجازه الشيخ عبد الله بالحديث المشهور والمسلسل بالأولية « الراحمون يرحمهم الرحمن » من طريقين :

أحدهما : من طريق ابن مفلح عن شيخ الإسلام ابن تيمية وينتهي إلى الإمام أحمد .

والثاني : من طريق عبد الرحمن بن رجب عن العلامة ابن القيم عن شيخه شيخ الإسلام ، وينتهي أيضًا إلى الإمام أحمد .

كما أجازه الشيخ بكل ما في ثبت الشيخ عبد الباقي الحنبلي شيخ مشايخ وقته ـ قراءة وعلمًا وتعليمًا ـ صحيح البخاري بسنده إلى مؤلفه ، وصحيح مسلم ، وشروح الصحيحين ، وسنن الترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجة ومؤلفات

---

(١) « دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لمحمد بن عبد الله بن سليمان ، (ص : ٢٧) .

الدارمي بسنده المتصل إلى المؤلف ، ومسند الإمام الشافعي وموطأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد إلى غير ذلك مما ثبت في ثبت الشيخ عبد الباقي) [١] .

(ثم وصل الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف حبل الشيخ محمد بحبل الشيخ « محمد حياة السندي » [٢] ، وعرَّفه به وبما هو عليه من عقيدة صافية وبما تجيش به نفسه من مقت الأعمال الشائعة في كل مكان من البدع والشرك الأكبر والأصغر ، وأنه إنما خرج من نجد للرحلة في طلب العلم) [٣] .

(وممن أخذ عنهم : الشيخ علي أفندي الداغستاني ، والشيخ إسماعيل العجلوني ، والشيخ عبد اللطيف العفالقي الأحسائي ، والشيخ محمد العفالقي الأحسائي ، وقد أجازه الشيخان الداغستاني والأحسائي بمثل ما أجازه الشيخ عبد الله بن إبراهيم بما في ثبت أبي المواهب) [٤] .

وقد كتب كتاب الهدى لابن القيم بيده ، وكتب متن البخاري ، وحضر في النحو ، وحفظ ألفية ابن مالك [٥] .

قال المؤرخ ابن غنام عن رحلة الشيخ بمكة والمدينة لطلب العلم : « وقد اجتمع بأشياخ الحرمين في وقته ومحدّثيها وأجازه بعضهم » [٦] .

---

(١) « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ١٦) .

(٢) هو صاحب حاشية السندي على صحيح البخاري .

(٣) المصدر السابق ، (ص : ١٦) .

(٤) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٧) .

(٥) ذكر ذلك عنه حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، وانظر « من مشاهير المجددين في الإسلام » للدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان .

(٦) انظر « صيانة الإنسان » ، (ص : ٤١٨) نقلاً عن « روضة الأفكار » .

فائدة :

يعد حسين بن أبي بكر بن غنام المؤرخ الأول للدعوة الوهابية ، ولد في الأحساء ، وانتقل إلى الدرعية ، ودرس بها ، وتولى الدفاع عنها بقلمه ، وله قصائد شعرية ، منها قصيدة في رثاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وله مؤلفان هامان (العقد الثمين) و(تاريخ نجد) ، ويعد العمدة في الكلام عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب منذ بداية دعوته حتى وفاته ، وقد توفي بالدرعية سنة ١٢٢٥هـ .

• التوجه إلى البصرة :

توجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد ذلك إلى البصرة [١] حيث أقام فيها مدة تلقى فيها العلم على عدد من علمائها ، منهم : الشيخ « محمد المجموعي » ، الذي قرأ عليه الكثير من النحو والصرف واللغة والحديث [٢] .

قال ابن غنام عن رحلة الشيخ للبصرة : « وقد سمع رحمه الله الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة ، وقرأ بها النحو ، وأتقن تحريره ، وكتب الكثير من اللغة والحديث في تلك الإقامة ، ويحث على طريق الهدى والاستقامة ، وكان أكثر لبثه لأخذ العلم بالبصرة ومقامه » [٣] .

• إظهار الدعوة للتوحيد في البصرة :

كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب خلال إقامته بالبصرة العديد من المباحث العلمية ، وبدأ بنشر آرائه حول موضوع البدع والخرافات ، وينكر على من يصرف

---

(١) وذلك عام ١١٣٦هـ - ١٧٢٤م .

(٢) انظر « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ١٧) .

(٣) انظر « صيانة الإنسان » ، (ص : ٤٠١-٤٠٢) نقلًا عن « روضة الأفكار » لابن غنام .

العبادات من الدعاء والنذر بالمقبورين ، فقوبل من العامة بالتكذيب والأذى حتى اضطر إلى الخروج من البصرة وقت الهاجرة في وقت الصيف وشدة الرمضاء ، فخرج ماشيًا على رجليه ، حيث حمله رجل من بلد (الزبير) ـ لما رأى حاله وتوسم فيه الصلاح ـ على حماره حتى أوصله إلى بلد (الزبير) (١) .

• طلب العلم في الأحساء :

عزم الشيخ على التوجه إلى الشام لطلب العلم فيها ، غير أن نفقته لم تعد تكفيه (٢) ، وقيل : فقدت منه نفقته في الطريق (٣) فلم يستطع استكمال رحلته للشام ، فآثر العودة إلى نجد ، حيث مر على الأحساء ، فنزل بها عند الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الشافعي ، وقرأ عنده ما شاء الله أن يقرأ (٤) ، وحضر عبد الله بن فيروز أبو محمد الكفيف ، ووجد عنده من كتب الشيخ ابن تيمية وابن القيم ما سر به (٥) .

قال ابن غنام : « وإلى الأحساء وهي إذ ذاك آهلة بالعلماء ، فسمع من أشياخها وباحث في أصول الدين ومقالات الناس في الإيمان وغيره » (٦) .

---

(١) راجع « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ١٧) .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٨) .

(٣) راجع « دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لمحمد بن عبد الله سليمان ، (ص : ٢٧) .

(٤) راجع « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ١٨) .

(٥) ذكر ذلك حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، وانظر « من مشاهير المجددين في الإسلام » (الشيخ ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب) للدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، ط. جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر ، (ص : ٥٨) .

(٦) « صيانة الإنسان » ، (ص : ٤١٨) نقلًا عن « روضة الأفكار » لابن غنام .

• الإقامة بحريملاء :

عزم الشيخ في نهاية رحلته الطويلة في طلب العلم على العودة لأسرته [١] ، وكان أبوه قد انتقل إلى (حريملاء) ، قرية من نجد ، وأقام بها ، وصار قاضيها ، بعد أن ترك العيينة لخلاف وقع بينه وبين حاكمها [٢] .

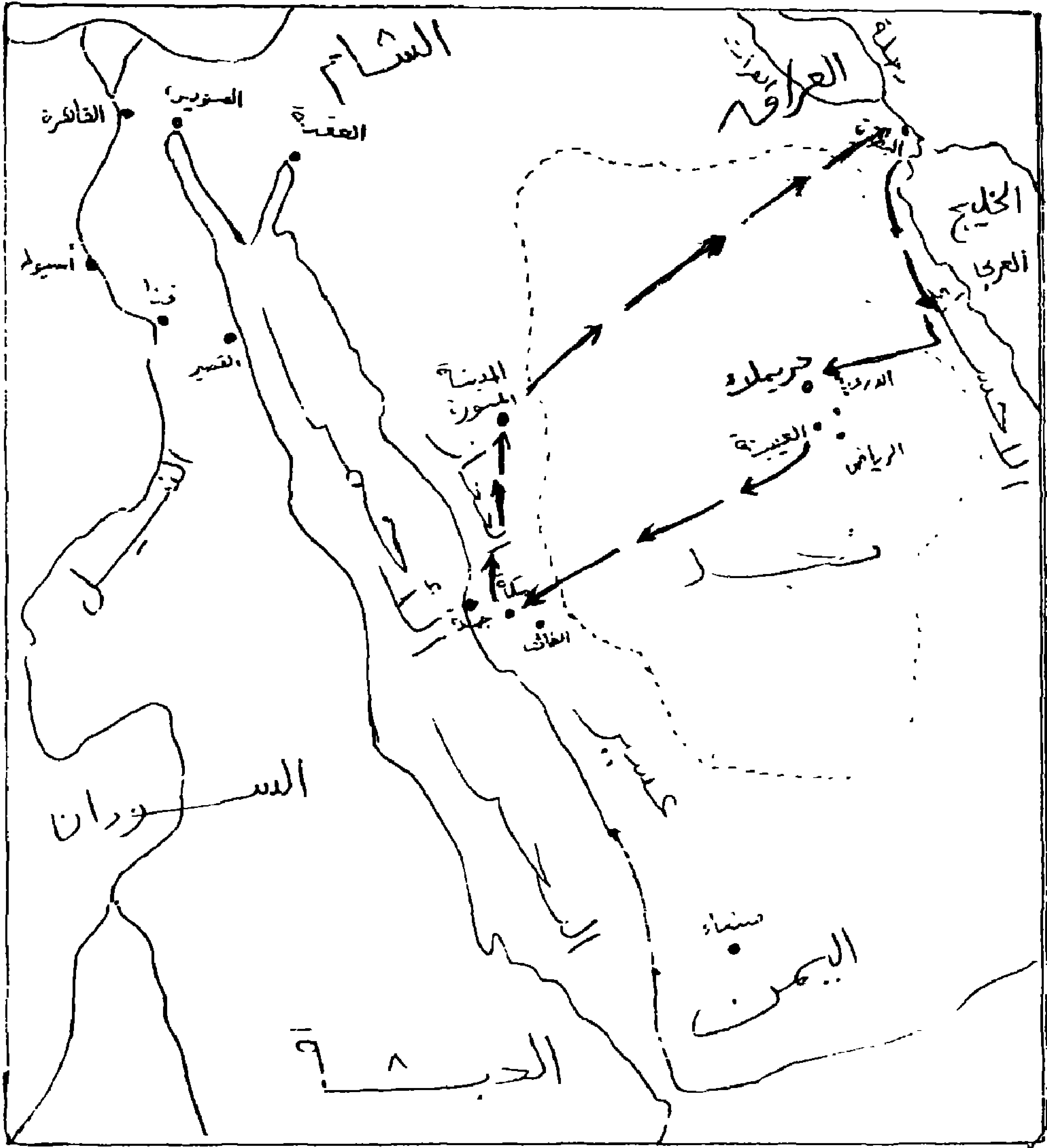
لازم الشيخ أباه من جديد ، واشتغل عليه في تحصيل العلم ، وعكف على كتب الشيخين : ابن تيمية وابن القيم ـ رحمهما الله ـ فزادته تلك الكتب علمًا وبصيرة وأوجدت فيه روح العزيمة ، فصمم على القيام بالدعوة للتوحيد الخالص [٣] .

---

(١) هذا هو الثابت من رحلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في طلب العلم خارج بلده طبقًا لما ذكره مؤرخو نجد وهم أدرى بحياة الشيخ من غيرهم ، وما أضافه بعض المستشرقين وتناقله غيرهم بما فيهم خصوم دعوة الشيخ فلم يثبت ، بل في بعضه مبالغات لا حاجة إليها .

(٢) راجع « دعوة الشيخ » لمحمد بن سليمان السلمان ، (ص : ٢٧) .

(٣) راجع « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ١٨) .



خط سير رحلة طلب العلم التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب

تنبيه:

يزيد البعض ممن كتبوا عن رحلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في طلب العلم من الأمور ما لم يثبت عنه في مؤلفات مؤرخي نجد [1] ولا في مؤلفات أتباع

(١) خاصة حسين بن غنام وعثمان بن بشر .

دعوة الشيخ ، فيزيدون في البلدان التي زارها ، وفي العلوم التي درسها ما لم يعرف عنه [1] ، لذا اقتصرنا هنا على ما أثبته مؤرخو نجد وأتباع دعوة الشيخ ، وهذا هو الأولى لأمور منها :

١ - أن مؤرخي نجد أدرى بتفاصيل حياة الشيخ من غيرهم .

٢ - أننا لا نجد في كتابات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله ما يشير إلى ما زاده الآخرون ، سواء من البلاد التي زارها ، أو المشايخ الذين تلقى عنهم ، أو العلوم التي تلقاها في طلبه للعلم خارج موطن نشأته .

٣- كثرة الأخطاء التاريخية والدينية الواضحة في مؤلفات من كتبوا عن الشيخ من غير مؤرخي نجد ومن غير أتباع دعوة الشيخ ، مما لا تطمئن معه النفس إلى إثبات ما أثبتوه من إضافات غير معروفة عن الشيخ [2] .

بدء الدعوة في حريملاء :

ابتدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته لقومه في بلدة (حريملاء) ، وبين لهم أنه لا يدعي إلا الله ، ولا يذبح ولا ينذر إلا له ، وأن عقيدتهم في تلك القبور والأشجار من الاستغاثة بها وصرف النذور إليها واعتقاد النفع والضر منها ضلال وزور ، وبين لهم أدلة ذلك من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة ، فوقع بينه وبين الناس جدال ونزاع ، حتى أن والده خالفه في دعوته [3] ، ومنعه من دعوته لما

---

(١) زعم الرحالة الأوروبي (كارستن نيبور) وكان معاصرًا للشيخ : أن الشيخ زار بغداد وفارس ، وزاد آخرون بلاد الشام ومصر .

وزعم البعض أنه درس المنطق والفلسفة والتصوف وعلم الهيئة والرياضيات وأنه كان يجيد اللغة التركية ، ومؤلفات الشيخ خالية من أي أثر لهذه العلوم مع كثرة مجادلاته ومناظراته مع خصوم من كل لون .

(٢) راجع في ذلك (دعوة الشيخ) لابن سليمان السلمان ، (ص : ٢٨-٣٠) .

(٣) انظر « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٢١) .

رأى ثورة الناس عليه [١] ، وخلال تلك الفترة ألف الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتابه « كتاب التوحيد » الذي هو أهم وأشهر مؤلفاته [٢] .

والظاهر أن والده اقتنع بعد ذلك بأقوال ابنه ومبادئه ، كما اقتنع بعد ذلك أخوه سليمان أيضًا ، بعد أن وقع بينه وبينه مراجعة وردود [٣] ، والله تعالى أعلم .

• الجهر بالدعوة في حريملاء :

في عام (١١٥٣هـ - ١٧٤٠م) توفي والد الشيخ محمد بن عبد الوهاب [٤] ، فعاد الشيخ إلى الجهر بدعوته والإنكار على أهل حريملاء ، ولكن هذه البلدة لم تصلح لنشر دعوته لعدم استتباب الأمن فيها وانقسام أهلها مما عرض حياة الشيخ للخطر ، إذ كانت هناك قبيلتان في تلك البلدة كل يدعي الزعامة ، وليس هناك انتظام للحكم فيها ، وكان لإحدى القبيلتين عبيد يأتون بالمنكرات ويقترفون المفسدات ، فلما واجههم الشيخ بالإنكار لمنعهم مما هم فيه عزموا على قتله خفية ، فلما رأى ما هم عليه غادر حريملاء [٥] ، وتوجه إلى العيينة لأمور ، منها : أنها

---

(١) راجع « دعوة الشيخ » لابن سليمان ، (ص : ٣٠) .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ٣٠) .

(٣) قال الشيخ العلامة أحمد بن حجر آل بوطامي رحمه الله : [راجع « صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان » ، (ص : ٤٦١) ط. الثالثة ، رسالة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب إلى أحمد بن محمد التويجري ، وأحمد ومحمد ابني عثمان بن شبانة ، كيف نصحهم بأن يقوموا مع الحق ، أكثر من قيامهم مع الباطل وصرح فيها بأن الشرك أعظم ما نهى الله عنه . وانظر جواب أولئك الثلاثة للشيخ سليمان بن عبد الوهاب ، (ص : ٤٦١) برجوعهم عما كانوا عليه] اهـ .

« الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (هامش ص : ٢٢) .

(٤) انظر « دعوة الشيخ » لابن سليمان ، (ص : ٣٠) .

(٥) راجع في ذلك « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٢٢) .

مسقط رأسه وموطن آبائه ، وهو يعرف أهلها ، كما أن نظام الحكم فيها كان أكثر استقرارًا ، وكان حاكمها إذ ذاك « عثمان بن حمد بن مُعَمَّر » ، فوجد الشيخ منه القبول والمساندة ، حيث تلقاه بكل إجلال وإكرام ، ولما استمع إلى دعوة الشيخ قبلها ورحب بها ، وسانده على الجهر بها [(١)] .

• الدعوة في العيينة :

بدأ الشيخ دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة ، وسعى إلى نشر التوحيد فيها ومحاربة مظاهر الشرك بها ، وقام عمليًا بتطبيق ما يدعو إليه من مبادئ الدعوة ، فقام بهدم القباب المبنية على القبور ، والتي يعظمها العوام ويتخذونها للتبرك والدعاء ، فهدم مما هدم قبة قبر « زيد بن الخطاب » .

وقام بقطع الأشجار التي تبرك بها العامة مثل شجرة « الذيب » في العيينة ، حيث قطعها بنفسه ، وكذلك شجرة « قريوه » بالعيينة .

ورجم الشيخ امرأة زانية جاءت مقرة بالزنا طالبة بإقامة الحد عليها حيث أقرت عند الشيخ أربع مرات في أربعة أيام ، فلما تيقن الشيخ من توافر شروط الرجم عليها وكانت محصنة ـ فأمر برجمها ، وشارك في رجمها حاكم العيينة « عثمان ابن معمر » .

وقد تسببت هذه الأعمال التي كانت تعد غريبّة على الناس في انقسامهم حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فأقرها البعض ورضيها إذ رأى فيها العودة إلى الإسلام علمًا وعملًا .

---

(١) راجع « دعوة الشيخ » لابن سليمان ، (ص : ٣١) .

وعارضها البعض وأنكرها وعادى الشيخ بسببها [١] .

• إخراج الشيخ من العيينة :

اشتهر أمر الشيخ ، وذاع صيته في البلدان ، فلما سمع « سليمان بن محمد بن عريعر » [٢] حاكم الأحساء ، من بني خالد ، ما يقوم به الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العيينة أنكره ، وأرسل إلى « ابن معمر » يتوعده ويتهدده بقطع ما يرسله له من خراجه السنوي إن لم يقتل أو يخرج الشيخ من « العيينة » ، وكان لحاكم الأحساء نفوذًا سياسيًا على حاكم العيينة ، فاستجاب « ابن معمر » لتهديد حاكم الأحساء وأمر الشيخ بالخروج إلى أي بلد شاء .

فخرج الشيخ ماشيًا على الأقدام إلى الدرعية [٣] .

• الانتقال إلى الدرعية :

اختار الشيخ محمد بن عبد الوهاب « الدرعية » للانتقال إليها ، لما يعرفه من السيرة الحسنة لحاكمها ، وأنه لا يخضع لسيطرة خارجية من أحد ، وكذلك لقرب الدرعية من بلده التي أخرج منها [٤] .

---

(١) راجع في ذلك « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٣١) .

(٢) سليمان بن محمد بن عريعر كان رئيس بني خالد وامتد سلطانه إلى كثير من البلاد المجاورة للإحساء ، وامتد سلطانه سبع عشرة سنة ، توفي سنة ١٢٦٦هـ في الخرج من أرض نجد .

انظر « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٣٠) .

(٣) راجع « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٣١).

وراجع « الدولة العثمانية : عوامل النهوض وأسباب السقوط » د/ محمد علي الصلابي ط. دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ -٢٠٠١م ، ص (٣٥٠-٣٥١) ، نقلًا عن إمام التوحيد محمد بن عبد الوهاب لأحمد القطان .

(٤) تبعد الدرعية قرابة ٣٠ كيلومترًا من الناحية الجنوبية للعيينة .

نزل الشيخ بالدرعية ضيفًا على عبد الرحمن بن سويلم [١] وابن عمه ، وخاف ابن سويلم على نفسه من الأمير « محمد بن سعود » حاكم الدرعية خشية أن لا يرضى بنزول الشيخ عنده ، ولما يعلم من حالة الناس من دعوته ، ولكن الشيخ هدأ من خوفه وسَكَّن جأشه وملأه رجاءًا بفرج الله تعالى [٢] .

وعلم الخواص من أهل الدرعية بوجود الشيخ ، فزاروه سرًا فشرح لهم ما يدعو إليه .

• اتفاق الدرعية :

وكان لأمير الدرعية أَخوان « مشاري » و« ثنيّان » وزوجة عاقلة [٣] ، لما سمعوا بأمر الشيخ ودعوته استشعروا ما وراءها من الخير ؛ فرغبوا الأمير في زيارة الشيخ ، والاستماع له ، فامتثل الأمير ، وزار الشيخ حيث يقيم ، فدعاه الشيخ إلى التوحيد ، وبين له بطلان عبادة غير الله تعالى ، ولفت نظرة إلى ما عليه أهل نجد من الشرك ، بالإضافة إلى ما هم فيه من الفرقة والاختلاف والاقتتال ، وأنه يرجو له أن يجتمع الناس عليه في ظل دعوة التوحيد فيكون له الملك ولذريته من بعده ، فانشرح صدر الأمير لدعوة الشيخ ، واقتنع بما دعاه إليه وعزم على نصرته .

---

(١) وكان ممن تابعه على دعوته واعتنقها قبل انتقاله إلى الدرعية .

(٢) راجع « دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٢٤) .

(٣) هي موضى بنت وطبان ، لما علمت بدعوة الشيخ تعلقت بها ، وحثت زوجها على مقابلة الشيخ ، ونصرة دعوته .

وذكر أحمد رائف في كتابه (الدولة السعودية : فجر التكوين وآفاق الإسلام) أن زوجة الأمير اسمها : (موضى بنت أبي وهطان) من آل كثير .

انظر ص : ١٤٥ ط . الزهراء للإعلام العربي الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

وتعاهدا معًا على نشر مبادئ الدعوة ، فيما سمي تاريخيًا بـ « اتفاق الدرعية » ، وذلك سنة ١١٥٧هـ [١] الموافق ١٧٤٤م .

ومما نقل مما دار بين الشيخ والأمير عند اتفاقهما ما ذكر من قول الأمير محمد بن سعود للشيخ : « أبشر ببلاد خير من بلادك وبالعزة والمنعة » ، فرد عليه الشيخ قائلًا : « وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين ، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم ، فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها مَلَكَ العباد والبلاد ، وأنت ترى نجدًا كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة ، وقتال بعضهم بعضًا ، فأرجو أن تكون إمامًا يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك » [٢] .

وذُكِرَ أيضًا أن الأمير شرط على الشيخ شرطين :

الأول : أن لا يرجع الشيخ عنه إن نصرهم الله ومكنهم .

والثاني : أن لا يمنع الأمير من الخراج الذي ضربه على أهل الدرعية وقت الثمار .

فقال الشيخ : أما الأول : فالدم بالدم ، والهدم بالهدم ، وأما الثاني : فلعل الله يفتح عليك الفتوحات ، وتنال من المغانم ما يغنيك عن الخراج [٣] .

وكان عمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقتها اثنتين وأربعين سنة .

---

(١) راجع في ذلك « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٣٢) .
وذكر بعض الباحثين أن ذلك كان في عام ١١٥٨هـ ، والأكثر على أن الانتقال للدرعية كان في عام ١١٥٧هـ .
(٢) انظر المصدر السابق ، (ص : ٣٢) .
(٣) « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٢٤-٢٥) .

• انطلاق الدعوة من الدرعية :

بعد مبايعة الأمير محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبد الوهاب استقر الشيخ في الدرعية ، وبدأ دعوته فيها بالحكمة والموعظة الحسنة ، داعيًا إلى إزالة مظاهر الشرك المنتشرة في البلاد ، وأخذ يرسل بالرسائل إلى أهل البلدان المختلفة المجاورة ، مخاطبًا حكامها وعلماءها ، ومناظرًا من يريد المناظرة منهم .

وقد توافد إلى الدرعية من كان ينتسب إلى دعوة الشيخ ويؤيدها ، وأتت إليه الوفود لما علموا أن الشيخ في دار مَنَعة .

ولما سمع « عثمان بن معمر » حاكم العيينة الذي أخرج الشيخ من بلده أن محمد بن سعود قد بايع الشيخ ، وأنه ناصره ، وأن أهل الدرعية يؤيدونه ، ندم على ما وقع منه في حق الشيخ وإخراجه له من وطنه ، فطلب من الشيخ الرجوع إلى « العيينة » ، فعلق الشيخ دعوته على رضا الأمير محمد بن سعود ، فرفض الأمير السماح له بالعودة ، وأصر على بقائه في الدرعية حسب اتفاقهما معًا [1] .

• الاختلاف حول دعوة الشيخ :

وخلال تلك الفترة قبل بعض رؤساء البلدان النجدية وقضاتهم الدعوة ، وأطاعوا الشيخ ، واستجابوا لما ينادي به ، وعارضه آخرون ، كما هو مع كل دعوة جديدة على أسماع الناس ، فواصل الشيخ جهده في نشر الدعوة والوعظ وكتابة الرسائل ونشر ما عنده من العلم .

ولكن خصوم الدعوة اشتدوا في عداوتهم للشيخ ، وكانوا يعملون على تأليب القلوب ضد دعوته بكل الوسائل .

---

(١) راجع في ذلك « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٢٥) .

فمنهم من اتهم الشيخ بأنه وأتباعه من الخوارج المارقين من الدين ، ومنهم من كفره ، واجتمعوا على تشويه دعوته في البلاد ، ووقع الاعتداء على بعض ممن اتبعه وأيده .

• القتال من أجل الدعوة :

رأى الشيخ بعد مرور سنتين من دعوته أنه لابد من استعمال السيف لنصرة دعوته الدينية ، ووافقه الأمير ابن سعود على ذلك ، وبدأت الحروب الدينية بين الشيخ والمعادين له ، واستمرت سنين عديدة [١] ، وكان النصر في أغلبها للأمير ابن سعود ، الذي استطاع أن يفتح القرى الواحدة تلو الأخرى ، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يشرف بنفسه على إعداد الرجال وتجهيز الجيوش وبعث السرايا ، ويستمر مع ذلك في الدرس والتدريس ومكاتبة الناس [٢] .

وفي سنة ١١٧٩هـ توفي الأمير محمد بن سعود ، وبويع على الإمامة ابنه عبد العزيز بن محمد بن سعود [٣] .

---

(١) يقول الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي تعليقًا على تلك الحروب : (وإن أردت معرفة عناد القوم وبغيهم وجورهم واعتدائهم ونقض بعضهم للعهد مرة بعد مرة ، فاقرأ «عنوان المجد») .

ويقول الأستاذ محمد السيد الوكيل : « لقد ظلت الدعوة مسالمة متأنية تطرق القلوب برفق وأناة ، وتدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، واستمر يعلم من يحضر دروسه ويوضح عقيدته ويشرح مبادئ دعوته للقاصي والداني ، ولكنه رأى أن اللين يقابل بالشدة ، وأن الصدق يقابل بالكذب ، والموعظة الحسنة يرد عليها بالمؤامرات ، فلم يكن بد من دخول مرحلة الجهاد وتغيير المنكر بالقوة » من كتاب (الدولة العثمانية) ص (٣٥١) ، د/ علي محمد الصلابي ، نقلًا عن محمد السيد الوكيل في (استمرارية الدعوة) جـ٣/ ٢٩٣ .

(٢) الدولة العثمانية للصلابي ، (ص : ٣٥١) نقلًا عن (إمام التوحيد) لأحمد القطان .

(٣) راجع « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٢٧) ، وراجع « استمرارية الدعوة » لمحمد الوكيل جـ ٣/ ٢٩٤ .

• وفاة الشيخ :

وفي سنة ١١٨٧هـ تمكن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود من فتح الرياض بعد صراع مع حاكمها دهام بن دواس ، الذي اعتدى المرات العديدة على أئمة الدعوة ، ونقض العهد أكثر من مرة ، فكانت عاقبته هزيمته وهروبه وسقوط الرياض [١] ، وكان فتح الرياض إيذانًا باتساع الدعوة ، واتساع ملك آل سعود ، وبداية لانقياد الناس للدعوة ، فاعتزل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الحياة السياسية ، وفوض أمور الناس إلى الإمام عبد العزيز ، وتفرغ للعلم والعبادة والتدريس ، وما زال على هذا الحال حتى توفي رحمه الله في شهر ذي القعدة سنة ١٢٠٦هـ [٢] .

وهكذا لم يمت الشيخ رحمه الله إلا بعد أن دانت نجد لدعوته ، وانتشرت فيها دعوة التوحيد الخالص ، وتوحدت القبائل المتناثرة ، واجتمعت الكلمة تحت قيادة دولة واحدة .

• مؤلفات الشيخ :

للشيخ عدة كتب ، ورسائل كثيرة منها [٣] :

- كتاب التوحيد ، وهو أشهر كتبه .
- كتاب كشف الشبهات .
- الأصول الثلاثة .

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) انظر « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ص (٢٨) . وعام ١٢٠٦هـ يوافق عام ١٧٩١م .

(٣) المصدر السابق ، (ص : ٢٩) .

- مختصر السيرة النبوية .
- نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين .
- كتاب الكبائر .
- مختصر الإنصاف والشرح الكبير في الفقه .
- أصول الإيمان .
- مختصر زاد المعاد .
- مختصر صحيح البخاري .
- مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية .
- استنباط من القرآن (يقع في جزأين) .
- أحاديث الفتن .
- بالإضافة إلى رسائل كثيرة أكثرها في بيان التوحيد .

• تلاميذ الشيخ :

أخذ العلم عن الشيخ العديد من التلاميذ الذين صاروا من العلماء الأجلاء والقضاة الفضلاء ، من أبنائه [1] وغيرهم ، منهم :

---

(١) كان الشيخ حسين بن محمد بن عبد الوهاب يؤم المصلين بجامع الدرعية ، وتولى القضاء فيها ، وتوفي سنة ١٢٢٤هـ .

أما الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد والوهاب فقد برز في عدة علوم ، وله رسائل مفيدة ، أهمها « جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية » و« الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة » ، وقد نقل إلى مصر بعد قضاء جيوش محمد علي والي مصر على الدولة السعودية الأولى ، وتوفي ﷺ بها عام ١٢٤٢هـ .

أما الشيخ علي بن عبد الوهاب فعرف بالعلم والورع وعرض عليه منصب القضاء فأباه .

أما الشيخ إبراهيم فعرف كذلك بالعلم والتدقيق والفضل .

- أبناؤه الأربعة : حسين وعبد الله وعلي وإبراهيم ، ولقد كان لكل واحد منهم مدرسة قرب بيته ، حيث يؤمها الكثير من طلاب العلم والغرباء [١] .

ولقد ظل العلم في ذرية الشيخ وأحفاده إلى يومنا هذا .

ومنهم : الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر .

ومنهم : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناصري الذي تولى القضاء في ناحية الوشم .

ومنهم : الشيخ سعيد بن حجي قاضي حوطة بني تميم .

ومنهم : الشيخ عبد الرحمن بن نامي ، الذي تولى قضاء بلدة العيينة والأحساء .

ومنهم : الشيخ المفضال أحمد بن راشد العريني ، الذي تولى القضاء في ناحية سدير .

ومنهم : الشيخ عبد العزيز أبو حسين .

ومنهم : الشيخ حسن بن عيدان ، الذي تولى القضاء في بلدة حريملاء .

ومنهم : الشيخ عبد العزيز بن سويلم ، الذي تولى القضاء في بلدة القصيم .

وغيرهم كثير ...

• من صفات الشيخ [٢] :

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷫ علمًا من الأعلام ، ناصرًا للسنة ، وقامعًا للبدعة ، محبًا للتوحيد ، إمامًا في التفسير والحديث والفقه ، وعلوم الآلة

---

(١) راجع « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٣٠-٣١) .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ٢٨-٢٩) .

كالنحو والصرف والبيان ، عارفًا بعقائد الإسلام وفروعه .

كما كان رحمه الله فصيح اللسان ، قوي الحجة ، له القدرة على إبراز الأدلة وإيضاح البراهين بأبلغ عبارة وأبينها .

وفي خلال قيامه بأعباء الدعوة إلى الله تعالى عُرِفَ بحب الناس وبره وإحسانه ، والإخلاص في النصح والإرشاد ، وكان يعطي عطاء الواثق بالله ، فيعطي من يسأله ويتحمل الديون عن ضيوفه ، وكان رحمه الله كثير الاشتغال بالذكر والعبادة ، قلما يفتر لسانه من ذكر الله تعالى .

ومما عرف به من الأخلاق : أنه كان صبورًا حليمًا لا يستفزه الغضب ، آمرًا بالمعروف ، ناهيًا عن المنكر ، مع التواضع واللين .

ورغم تواضعه ولينه فقد كانت له هيبة العلماء ، ينظر إليه الناس بعين الإجلال والتوقير ، كما جاهد بسيفه ولسانه ، وكان من أدبه ودأبه تعظيم العلماء ، والتنويه بفضلهم ، ومحبة طلبة العلم والإنفاق عليهم من ماله ، وإرشادهم بحسب استعدادهم .

كان يجلس كل يوم عدة مجالس للعلم ، يلقي فيها دروسه في مختلف العلوم ، من توحيد وتفسير وفقه وأصول وسائر العلوم الشرعية ، فكان عالمًا بدقائق التفسير والحديث ، له خبرة بعلل الحديث ورجاله .

وكان يكثر من التدريس والتأليف بغير ملل ولا كسل .

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدة سلفية لا غبار عليها ، فقد تربى على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ ، وقامت دعوته السلفية على نصرة مذهب السلف في الاعتقاد ، ونقدم مثالًا على ذلك : فمن رسالة للشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أهل القصيم [١] قال ﷺ بعد البسملة [٢] :

« أُشهدُ اللهَ ومن حضرني من الملائكة ، وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقده أهل السنة والجماعة ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، ومن الإيمان بالله : الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، بل أعتقد أن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا أحرف الكلم عن مواضعه ، ولا أُلحد في أسمائه وآياته ، ولا أُكيف ولا أُمثل صفاته بصفات خلقه ، لأنه تعالى لا سَمي له ولا كفء ، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه ، فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق قيلًا ، وأحسن حديثًا .

فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل ، وعما نفاه عنه النافون ، من أهل التحريف والتعطيل ، فقد قال : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ

---

(١) كان سؤال أهل القصيم للشيخ عن معتقده فأجابهم بهذا الجواب .

(٢) « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٣٤-٣٨) .

و« دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : عرض ونقد » إعداد عبد العزيز محمد بن علي العبد اللطيف ، ط. دار الوطن للنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ (ص : ١٩-٢٢) . وهي نقلًا عن « مؤلفات الشيخ الإمام : الرسائل الشخصية » تصحيح الفوزان والعليقي ـ الرياض جـ ٥/٨-١١ .

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾

[الصافات : ١٨٠-١٨٢] .

فالفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية [(١)] ، وهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة [(٢)] والوعيدية [(٣)] .

وهم وسط في الإيمان والدين بين الحرورية [(٤)] والمعتزلة [(٥)] وبين المرجئة والجهمية [(٦)] .

وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض [(٧)] والخوارج .

---

(١) القدرية تسند الفعل إلى العبد ، فالعباد خالقون لأفعالهم خيرًا أو شرًا ، أما الجبرية على النقيض لا ترى للعبد فعلًا ، فالعباد عندهم مجبورون على الفعل خيرًا كان أو شرًا ، **والفرقة الناجية** ـ أهل السنة والجماعة ـ يقولون بعموم مشيئة الله تعالى وقدرته ، ويثبتون مع ذلك مشيئة العبد واختياره .

(٢) المرجئة يقولون : لا يضر مع الإيمان ذنب ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، **والخوارج** على النقيض يكفرون المرتكب للكبيرة ، وهم الوعيدية أي يتوعدون أصحاب الكبائر دون نظر إلى استيفاء شروط أو انتفاء موانع ، وهم الحرورية نسبة إلى حروراء التي ظهروا أول ما ظهروا فيها .

وأهل السنة وسط : يرجون الخير للمحسن ، ويخافون على المسيئ المذنب ، ومن مات على كبيرة ولم يتب منها فهو في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، جمعًا بين الأدلة الواردة في ذلك وأخذًا بأحاديث الشفاعة الثابتة المتواترة .

(٣) أي : الخوارج .

(٤) أي : الخوارج .

(٥) المعتزلة : هم قدرية ، يسندون الفعل إلى العبد ، ولم يؤمنوا بالقدر ، ويجعلون أصحاب الكبائر في الدنيا في منزلة بين الكافر والمسلم ، وفي الآخرة خالد في النار .

(٦) الجهمية : أتباع جهم بن صفوان ، ينفون جميع صفات الله تعالى وأسمائه ، ويقولون بالجبر كالجبرية .

(٧) الروافض : الشيعة ، الذين يغالون في تعظيم أهل البيت ، ويعنون بهم علي بن أبي طالب وأولاده ، ويكفرون ويخطئون غالبية أصحاب رسول الله ﷺ وفي مقدمتهم الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم .

وأهل السنة يوقرون أهل البيت ولا يغالون فيهم ، ويقرون بفضل الصحابة رضي الله عنهم وفي مقدمتهم الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم .

وأعتقد أن القرآن كلام الله ، منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، وأنه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ .

وأؤمن بأن الله فعال لما يريد ، ولا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج عن مشيئته ، وليس شيئ في العالم يخرج عن تقديره ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور .

وأعتقد بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت ، وأؤمن بفتنة القبر ونعيمه ، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد ، فيقوم الناس لرب العالمين ، حفاة عراة غرلًا ، وتدنو منهم الشمس ، وتنصب الموازين ، وتوزن به أعمال العباد ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٢-١٠٣] ، ونشر الدواوين فآخذ كتابه بيمينه ، وآخذ كتابه بشماله .

وأؤمن بحوض نبينا محمد ﷺ بعرصة القيامة ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل ، آنيته عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا .

وأؤمن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم ، يمر به الناس على قدر أعمالهم ، وأؤمن بشفاعة النبي ﷺ وأنه أول شافع ، وأول مُشَفَّع ، ولا ينكر شفاعة النبي إلا أهل البدع والضلال ، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضا ، كما قال الله تعالى ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، وقال ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم : ٢٦] ، وهو لا يرضى إلا التوحيد ، ولا يأذن إلا أهله ، وأما المشركون فليس

لهم في الشفاعة نصيب كما قال تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٨] .

وأؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما اليوم موجودتان وأنهما لا يفنيان .

وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته .

وأؤمن بأن نبينا محمدًا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته .

وأفضل أمته أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم علي المرتضى ، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة ـ أهل بيعة الرضوان ـ ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم ، وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ ، وأذكر محاسنهم ، وأستغفر لهم ، وأكف عن مساوئهم وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم عملًا بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

وأترضى عن أمهات المؤمنين ، المطهرات من كل سوء ، وأقر بكرامات الأولياء ، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئًا [1] ، ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار ، إلا من شهد له الرسول ﷺ ، ولكن أرجو للمحسن وأخاف على المسيء .

(١) فشتان بين الإقرار بكرامات الأولياء التي يجعلها الله لهم تكرمًا وفضلًا ، وبيانًا لمنزلتهم بين الناس ، وبين أن تصرف لهم العبادات التي لا تنبغي إلا لله تعالى ، كدعائهم من دون الله ، والاستغاثة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، والنذر لهم ، والحلف بهم ، والتبرك بقبورهم ونحو ذلك .

ولا أكفر أحدًا من المسلمين بذنبه ، ولا أخرجه عن دائرة الإسلام [(١)] ، وأرى الجهاد ماضيًا مع كل إمام ، برًا كان أو فاجرًا ، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدًا ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال ، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل .

وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، برهم وفاجرهم ، ما لم يأمروا بمعصية الله .

ومن ولي الخلافة ، واجتمع عليه الناس ، ورضوا به ، أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه .

وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم ، حتى يتوبوا ، وأحكم عليهم بالظاهر ، وأكل سرائرهم إلى الله ، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة .

وأعتقد أن الإيمان : قول باللسان ، وعمل بالأركان ، واعتقاد بالجنان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق .

فهذه عقيدة وجيزة ، حررتها وأنا مشتغل البال ، لتطلعوا على ما عندي ، والله على ما نقول وكيل » [(٢)] اهـ .

فإن قيل : فإذا كانت عقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة فلماذا كانت منازعاته مع قومه أهل نجد ؟ وما سبب اختلافه معهم ؟ وماذا عن ما أثاره معارضوه من ادعاءات فيها أنه مخالف في التوحيد خارج عن أهل السنة والجماعة ؟!

---

(١) خلافًا للخوارج الذين يكفرون المسلمين أصحاب الكبائر .

(٢) ولا يخفى على كل من درس مؤلفات الشيخ ابن تيمية رحمه الله في العقيدة أن ما ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عقيدته لا يخرج عنها في شيء ، بل وكأن الشيخ ينقل معتقده من العقيدة الواسطية لابن تيمية .

والجواب نستشفه من رسالة أخرى له إلى السويدي من علماء العراق جوابًا من الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما سأله عما يزعمه الناس عنه وفي حقه ، حيث قال رحمه الله بعد البسملة ما مختصره [(١)] :

« من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ في الله عبد الرحمن بن عبد الله : سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

فقد وصل إليَّ كتابك وسرَّ الخاطر ، جعلك الله من أئمة المتقين ، ومن الدعاة إلى دين سيد المرسلين ، وأخبرك أني ـ ولله الحمد ـ متبع لست مبتدعًا ، عقيدتي وديني الذي عليه أئمة المسلمين ، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة ، ولكني بينت للناس إخلاص الدين لله ، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم ، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به ، من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك ، مما هو حق الله ، الذي لا يشرك فيه أحد ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل .

وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة ، وبينت لهم أن أول من أدخل الشرك في هذه الأمة هم الرافضة الذين يدعون عليًا وغيره ، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات [(٢)] .

---

(١) انظر « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٣٨-٣٩) ، وانظر « مجموعة مؤلفات الشيخ : الرسائل الشخصية » جـ ٥/ ٣٦ .

(٢) أول خروج عن عقيدة الأمة وإجماع صحابة النبي ﷺ كان من الخوارج الذين كفروا عليًا رضي الله عنه وسائر الصحابة ، وقالوا بكفر مرتكب الكبيرة ، ثم ظهر الرافضة الشيعة الذين يغالون في علي بن أبي طالب وأولاده من بعده ، فيجعلون لهم الإمامة بعد النبي ﷺ ، ويرون عصمتهم ، ويعتبرون أقوالهم ملزمة ، ويعطونهم من الحقوق والأحوال والمقامات ما لا ينبغي إلا لله تعالى وحده ، ويصرفون لهم العبادات كما هو معروف عنهم =

وأنا صاحب منصب في قريتي مسموع الكلمة ، فأنكر هذا بعض الرؤساء لكونه خالف عادات نشأوا عليها ، وألزمتُ من تحت يدي بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وغير ذلك من فرائض الله ، ونهيتهم عن الربا ، وشرب المسكر ، وأنواع المسكرات ، فلم يمكن الرؤساء القدح في هذا وعيبه لكونه مستحسنًا عند العوام ، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما أمرت به من التوحيد ونهيت عن الشرك ، ولبَّسوا على العوام ، أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس ، ونسبوا إلينا أنواع المفتريات ، فكبرت الفتنة ، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله ، فمنها : إشاعة البهتان كما ذكرتم ، أني أكفر جميع الناسّ إلا من اتبعني ، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة ، فيا عجبًا كيف يدخل هذا في عقل عاقل ؟! وهل يقول هذا مسلم ؟! إني أبرأ إلى الله من هذا القول الذي ما يصدر إلا عن مختل العقل ، والحاصل : أن ما ذكر عني ـ غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك فكله من البهتان » اهـ . باختصار .

= إلا القليل منهم ، وغالبيتهم يكفرون الصحابة ويلعنونهم ويرون أنهم بدلوا في الدين وغيروا ، حتى زعموا أنهم بدلوا في القرآن الكريم وغيروه !!!

تمسك الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالمنهج السلفي في الاستدلال

ونقل هنا رسالة للشيخ محمد بن عبد الوهاب تبين منهجه السلفي وعقيدته السلفية في أبرز قضايا العقيدة التي يخالف فيها السلفيون أهل الأهواء وهي قضية الأسماء والصفات :

يقول ﷺ بعد البسملة والحمد لله :

« الذي نعتقده وندين الله به هو مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ، والتابعين لهم بإحسان من الأئمة الأربعة وأصحابهم ، وهو الإيمان بآيات الصفات وأحاديثها ، والإقرار بها ، وإمرارها كما جاءت ، من غير تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تعطيل ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] ، وقدر الله لأصحاب نبيه ومن تبعهم بإحسان الإيمان ، فَعُلِم قطعًا أنهم المرادون بالآية الكريمة ، وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، وقال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ الآية [الفتح : ١٨] ، فثبت بالكتاب أن من اتبع سبيلهم فهو على الحق ومن خالفهم فهو على الباطل .

فمن سبيلهم في الاعتقاد : الإيمان بصفات الله وأسمائه التي وصف بها نفسه في كتابه وتنزيله ، أو على لسان رسوله ﷺ من غير زيادة عليها ولا نقصان منها ، ولا تجاوز لها ، ولا تفسير ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ، ولا تُشَبَّه بصفات

المخلوقين ، بل أقروها كما جاءت [(١)] ، وردوا علمها إلى قائلها ، ومعناها إلى المتكلم بها [(٢)] ، وأخذ ذلك الآخر عن الأول ، ووصى بعضهم بعضًا بحسن الاتباع ، وحذرونا من اتباع طريق أهل البدع والاختلاف الذين قال الله فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] ، وقال : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

والدليل على أن مذهبهم ما ذكرنا أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم ، وأخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لها ، مؤمن بها ، قابل لها ، غير مرتاب فيها ، ولا شاك في صدق قائلها ، ولم يؤولوا ما يتعلق بالصفات منها ، ولم يشبهوه بصفات المخلوقين ، إذ لو فعلوا شيئًا من ذلك لنقل عنهم ، بل زجروا من سأل عن المتشابه وبالغوا في كفه ، تارة بالقول العنيف ، وتارة بالضرب ، ولما سئل مالك رحمه الله عن الاستواء أجاب بمقالته المشهورة ، وأمر بإخراج الرجل ، وهذا الجواب من مالك في الاستواء شاف كاف ، في جميع الصفات ، مثل : النزول والمجيء

(١) فمنهج الشيخ منهج السلف ، يقوم على تقديم النقل على العقل ، والأخذ بظاهر الكتاب والسنة ، ورفض تأويلات المتكلمين .

(٢) قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعليقًا على ذلك :

« المراد بذلك علم الكيفية والكنه ، ومعناهما عند أهل السنة والجماعة ، وليس المراد علمها ومعناهما من حيث اللغة العربية ، فإن ذلك معلوم لدى أهل السنة فإنهم يعلمون أن السمع غير البصر وأن الاستواء غير النزول وأن الغضب غير الرضا وهكذا بقية الصفات ، ويؤمنون بأن الله سبحانه موصوف بهذه الصفات حقًا لا مجازًا على الوجه الذي يليق بجلاله من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته كما قال مالك وشيخه ربيعة ـ رحمة الله عليهما ـ (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول) إلخ ، وقال مالك أيضًا : (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) أي عن الكيف » .

واليد والوجه وغيرها ، فيقال في النزول : النزول معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . وهكذا يقال في سائر الصفات ، إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة .

وثبت عن الربيع بن سليمان قال : سألت الشافعي ﷺ عن صفات الله فقال : حرام على العقول أن تمثل الله ، وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الضمائر أن تتعمق ، وعلى الخواطر أن تحيط ، وعلى العقول أن تعقل ، إلا ما وصف به نفسه على لسان نبيه ﷺ . وثبت عن إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني أنه قال : إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يصفون ربهم بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله ، وشهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت به الأخبار الصحاح ونقلته العدول الثقات ، ولا يعتقدون بها تشبيهًا بصفات خلقه ، ولا يكيفونها تكييف المشبهة ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية ، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف ومَنَّ عليهم بالتفهيم والتعريف ، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه ، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه ، واكتفوا في نفي النقائض بقوله ﷻ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، وبقوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص : ٣-٤] ، وثبت عن الحميدي شيخ البخاري وغيره من أئمة الحديث أنه قال : أصول السنة ، فذكر أشياء ، وقال : ما نطق به القرآن والحديث مثل ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة: ٦٤] ، ومثل ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر : ٦٧] ، وما أشبه هذا من القرآن والحديث لا نرده ولا نفسره ، ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة ، ونقول : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، ومن زعم غير هذا فهو جهمي ،

فمذهب السلف ـ رحمة الله عليهم ـ : إثبات الصفات وإجراؤها على ظاهرها ، ونفي الكيفية عنها ، لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، كما أن إثبات الذات إثبات وجود ، لا إثبات كيفية ، ولا تشبيه ، فكذلك الصفات ، وعلى هذا مضى السلف كلهم ، ولو ذهبنا نذكر ما اطلعنا عليه من كلام السلف في ذلك لطال الكلام جدًا ، فمن كان قصده إظهار الصواب اكتفى بما قدمناه ، ومن كان قصده الجدال والقيل والقال ، لم يزده التطويل إلا الخروج عن سواء السبيل ، والله الموفق » اهـ . (١) .

يقول الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ـ من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ : « فشيخنا رحمه الله وأتباعه ، يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، ولا يتجاوزون القرآن والحديث ، لأنهم متبعون لا مبتدعون ، ولا يكيفون ولا يشبهون ولا يعطلون ، بل يثبتون جميع ما نطق به الكتاب من الصفات ، وما وردت به السنة مما رواه الثقات ، يعتقدون أنها صفات حقيقية منزهة عن التشبيه والتعطيل ، فالقول عندهم في الصفات كالقول في الذات ، فكما أن ذاته حقيقية لا تشبه الذوات ، فصفاته حقيقية لا تشبه الصفات ، وهذا هو اعتقاد سلف الأمة وأئمة الدين ، وهو مخالف لاعتقاد المشبهين واعتقاد المبطلين فهو كالخارج من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين » (٢) .

وقد رُمي الشيخ رحمه الله بما يَرمي به المبتدعُون دعاةَ السلفية من التشبيه والتجسيم كما وقع من قبل لشيخ الإسلام ابن تيمية .

---

(١) « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص (٤٠-٤٢) .

(٢) انظر « دعاوى المناوئين » ص (١١٩) نقلًا عن الشيخ حمد بن ناصر معمر في رسالة له في إثبات الصفات .

يقول الأستاذ محمد رشيد رضا في الرد على رمي الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ وكذا ابن تيمية من قبل ـ بالتشبيه والتجسيم :

« إن ما ذكره [١] من العقائد التي زعم أن ابن تيمية وابن عبد الوهاب وأمثالهم أباحوا بها حمى التوحيد ، وهتكوا ستوره ، بإثباتهم لله تعالى صفة العلو والاستواء على العرش ... إلخ ، إنما أثبتوا بها كسائر أهل السنة ما أثبته الله تعالى في كتابه المعصوم وفي سنة خاتم أنبيائه المعصوم المبينة له ، فهم يثبتون تلك النصوص بمعانيها الحقيقية بدون تأويل ، ولكن مع إثبات التنزيه فهم متبعون في ذلك لسلف الأمة الصالحين ، غير مبتدعين له ، وإنما ابتدع التأويل الجهمية والمعتزلة وأتباعهم من الروافض بشبهة تنزيه الله تعالى عن التجسيم والتشبيه .

وأما شبهة المبتدعة المتأولين فهي تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه التي يعبرون عنها في تأويل بعض الصفات بالتجسيم والتحيز وغيرها من لوازم الأجسام ، فبهذه الشبهة عطلوا أكثر صفات الله حتى صارت عندهم في حكم العدم ، والسلف الصالح أعلم منهم بمعاني النصوص ، وبما يجب الإيمان به ، وأشد منهم تنزيهًا للرب » [٢] ، إلى أن قال : « والقاعدة في ذلك أن تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه قد ثبت بدليل العقل والنصوص القطعية من النقل ، كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، وأن السلف يجمعون بين

---

(١) يعني محسن الأمين العاملي وسيأتي ذكره .

(٢)انظر « دعاوى المناوئين » ص (١٣٢-١٣٣) نقلًا عن محمد رشيد رضا في كتابه « السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة » مطبعة المنار ـ مصر ـ ١٣٤٧هـ ـ ص (٧٤-٧٥) .

والكتاب رد على محسن الأمين العاملي الشيعي الإمامي الذي ألف في الطعن في الدعوة الوهابية « كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب » وقد توفي محمد رشيد رضا ﷺ سنة ١٣٥٤هـ .

الأمرين : تنزيه الرب سبحانه ، ووصفه بما وصف به نفسه من الرحمة والمحبة والرضا والغضب وغير ذلك ، وعدم التحكم في التفرقة بين هذه الصفات وصفات العلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام »[1] .

ثم يُكَذِّب الأستاذ محمد رشيد رضا من زعم أن ابن تيمية أول من جاء بإثبات الصفات بدون تأويل فيقول ﷺ : « زعم الرافضي العاملي[2] أن ابن تيمية أول من أثبت ما ذكره من صفات الله تعالى بدون تأويل ، وتبعه بعض تلاميذه ، ثم الوهابية ، وأنهم خالفوا في ذلك جميع المسلمين ، وهذا كذب وافتراء وتضليل لعوام أهل السنة ، وتمهيد إلى جذبهم إلى الرفض الذي من أصوله تعطيل صفات الله تعالى بالتأويل ، وجعله ﷻ كالعدم ـ تعالى الله عما يقول المبتدعون علوًا كبيرًا ـ فما صفة من تلك الصفات إلا وهي منصوصة في القرآن أو في الأحاديث النبوية الصحيحة » .

---

(١) كما يقول الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين .

(٢) هو كما ذكرنا محسن الأمين العاملي أحد الشيعة الإمامية من العراق توفي سنة ١٣٧١ هـ .

كيف استقى الشيخ منهجه وعقيدته السلفية

تأثر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ بثلاثة من كبار العلماء في تاريخ الإسلام ، وجاء تأثره بهم نتيجة نشأته في بيئة تتبع المذهب الحنبلي وتأخذ بمؤلفات كبار علماء المذهب الحنبلي ، وهؤلاء الثلاثة هم :

١- الإمام أحمد بن حنبل [1] :

كان من الطبيعي تأثر الشيخ بالإمام أحمد نظرًا لانتشار مذهبه في نجد وقتها ، والمذهب الحنبلي من أشد المذاهب إنكارًا للبدع في الدين ، مما أثر في فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما تأثر الشيخ بإمامه أحمد بن حنبل في ورعه وتقواه وعزوفه عن المناصب ، وكفاحه في نصرة السنة ومحاربة البدعة ، على طريقة ومنهج علماء وأئمة السلف الصالح ، يتمثل ذلك بوضوح في ثباته في محنة القول بخلق القرآن ، وكيف أنه تحمل في الثبات على الحق والتمسك بالمنهج السلفي حتى أزال الله تعالى الغمة ، وانتصر الحق على الباطل .

٢- الشيخ أحمد بن تيمية :

كانت كتب الحنابلة متداولة بين علماء نجد نتيجة لانتشار المذهب في نجد ، فاهتم الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقراءتها ودراستها ، وفي مقدمتها كتب شيخ الإسلام ابن تيمية [2] وتلميذه ابن القيم [3] ، والمطلع على مؤلفات الشيخ محمد بن

---

(١) ولد الإمام أحمد عام ١٦٤هـ وتوفي عام ٢٤١هـ ، « في القرن الثالث الهجري » .

(٢) ولد ابن تيمية عام ٦٦١هـ وتوفي عام ٧٢٨هـ (في القرن الثامن الهجري) في زمان دولة المماليك .

(٣) ولد ابن القيم عام ٦٩١هـ وتوفي عام ٧٥١هـ (في القرن الثامن الهجري) أيضًا .

عبد الوهاب يرى أثر مؤلفات الشيخين واضحة فيها ، فمنها استقى فهمه ومبادئ دعوته ومنهجه السلفي ، وهو كثير النقل عنهما ، ويؤكد اعتناءه بكتب ابن تيمية أنه كان ينسخ الكثير منها بنفسه ، وترجم آراء ابن تيمية إلى عمل ، فحارب التقليد ، وهاجم الشركيات والبدع ، وتصدى للصوفية والمتكلمين ، وتقيد بالكتاب والسنة ، وفهم السلف الصالح لهما ، وكما قام ابن تيمية بقطع صخرة وشجرة كان يتعبد عندها كثير من العوام في الشام [١] قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقطع أشجار وهدم قباب لمنع العوام من عبادتها .

يقول الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بيان منهج أتباع الدعوة : « مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف ، وهي أَنَّا نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ونحن أيضًا في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة ، ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ، ولا أحد لدينا يدعيها إلا أننا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب ، كإرث الجد والأخوة فإنا نقدم الجد بالإرث وإن خالف مذهب الحنابلة ، ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض [٢] ، فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد [٣] ، وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفين للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه .

---

(١) راجع (البداية والنهاية) لابن كثير ، حوادث سنة ٧٠٤هـ .

(٢) ، (٣) إذ أن الاجتهاد يتجزأ ، ومن أتقن علم مسألة فهو بها عالم ، ومن قدر على النظر والتمييز بين الأدلة من طلاب العلم فله الأخذ بما قوي فيه الدليل عنده .

ثم إنها نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة ، ومن أَجَلِّها لدينا : تفسير ابن جرير [١] ، ومختصره لابن كثير الشافعي [٢] ، وكذا البغوي والبيضاوي والخازن والحداد والجلالين وغيرهم ، وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين كالعسقلاني والقسطلاني على البخاري ، والنووي على مسلم ، والمناوي على الجامع الصغير ، ونحرص على كتب الحديث خصوصًا الأمهات الست وشروحها ، ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون أصولًا وفروعًا وقواعد وسيرًا ، ونحوًا وصرفًا وجميع علوم الأمة .

هذا وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه [٣] إماما حق من أهل السنة وكتبهم [٤] عندنا من أعز الكتب إلا أنا غير مقلدين لهما في كل مسألة ، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمدًا ﷺ ، ومعلوم مخالفتنا لهما في عدة مسائل منها : طلاق الثلاث بلفظ واحد في مجلس ، فإنَّا نقول به تبعًا للأئمة الأربعة » اهـ . [٥] .

٣- الشيخ محمد بن قيم الجوزية :

وهو تلميذ ابن تيمية ، وله مؤلفاته الكثيرة القيمة في محاربة البدع والشركيات ، فتأثر به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، واعتنى بكتبه ومؤلفاته ،

(١) أي الطبري ، إمام مدرسة التفسير المأثور .

(٢) أي تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

(٣) أي ابن تيمية رحمه الله .

(٤) لعلها : وكتبهما .

(٥)انظر « من مشاهير المجددين في الإسلام : شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب » للدكتور صالح بن فوزان طبعة جماعة أنصار السنة المحمدية ، (ص : ٧٨-٧٩) نقلًا عن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرر السنية جـ ١/ ١٢٧-١٣٣ .

ويدل على ذلك اختصاره لكتاب « زاد المعاد في هدي خير العباد » ، وقد تطرق ابن القيم في مقدمة هذا الكتاب لمسألة تحقيق معنى لا إله إلا الله ، مما كان له أثره في الشيخ إذ ركز على هذه المسألة في كثير من مؤلفاته ورسائله ، وفي مقدمتها « كتاب التوحيد »(١) .

ورغم أن مؤلفات ابن تيمية وابن القيم كانت متواجدة بين أيدي أهل العلم في نجد وما حولها في زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلا أن الشيخ فاق الجميع بحسن دراسة وتفهم مؤلفات الشيخين ، مما يدل على ما اتصف به من الذكاء والعقل وحسن الفهم وحب العلم .

ورغم أنه كان هناك من أهل العلم - على قلتهم - من كان يتقبل فكر ابن تيمية وابن القيم ويرى خطأ العوام في كثير مما يقومون به من البدع والمعتقدات المخالفة للعقيدة الإسلامية الصحيحة ولكن لم يجرؤ على الجهر بمخالفة هؤلاء العوام ، إلا أن الشيخ كان عنده من الجرأة والشجاعة والثبات على الحق ما جعله يجهر بهذه الدعوة ، ويصبر عليها مما يدل على ما اتصف به من الشجاعة في الحق والهمة العالية والرغبة في نشر الخير وحب الإصلاح .

يقول د.صالح بن فوزان : « وهذا لا يعني أنه لا يوجد علماء في هذا العصر ، بل يوجد منهم الكثير ، ولكنهم ما بين مستحسن لهذا الوضع السيء ، أو غير مستحسن لكنه لا يملك الشجاعة لمقاومته »(٢) .

« كان هناك أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض ، عدد قليل من العلماء

---

(١) انظر « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٣٨) .

(٢) من كتابه « من مشاهير المجددين في الإسلام » طبعة جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر ، (ص : ٧٢) .

يظهر كل حين من الوقت يقوم بدور ، ولكنه ليس الدور الحاسم الذي يقطع دابر الداء »[١] . « فقد كان التيار جارفًا وقويًا »[٢] .

« ودخل العالم الإسلامي كله في منطقة الظل والظلام ، وهان أمره وضعف شأنه في العالم »[٣] ، « وكانت تجارب العلماء في هداية الناس »[٤] ، « لا تحقق ما هو مطلوب من إصلاح عقائد العامة والخاصة من الناس »[٥] .

---

(١) « الدولة السعودية : فجر التكوين وآفاق الإسلام » أحمد رائف ، ط. الزهراء للإعلام العربي ط. أولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، (ص : ١١٠-١١١) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ، (٤) ، (٥) المصدر السابق ، (ص : ١١٢) .

كتاب التوحيد
الذي هو حق الله على العبيد

« نتيجة لاهتمام الشيخ بمسألة التوحيد منذ أن كان طالبًا للعلم فقد ألف كتابًا يبحث في هذا الصدد وسماه « كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد » ، جمع فيه آيات وأحاديث في بيان التوحيد والترغيب فيه ، وبيان الشرك والتحذير منه ، ونبه على المسائل التي يمكن الاستدلال بها من هذه الآيات والأحاديث النبوية ، وقد بدأ الشيخ كتابه هذا في الحديث عن آية ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، ثم يتبعها بجملة من الآيات والأحاديث في الدعوة إلى عبادة الله ، وفي معنى التوحيد ، ومعنى شهادة ألا إله إلا الله ، وأنها مكفرة للذنوب إذا قيلت بإخلاص وبراءة من الشرك وعمل بمقتضاها ، ثم ينتقل الشيخ إلى الكلام عن أنواع كثيرة من البدع والمفاسد بعضها أمور شركية وبعضها وسيلة إلى الشرك ، مثل : لبس الخيط والحلق لرفع البلاء ودفعه ، والرقي والتمائم والتبرك بالشجر والحجر ونحوها ، والذبح لغير الله والاستعانة والاستغاثة بغيره ، ودعوة غير الله ، والغلو في الصالحين ونحو ذلك »[1] .

« وفي (كتاب التوحيد) يعقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فصلًا كاملًا يورد فيه أن سبب كفر بني آدم من أول الخليقة ـ وفي عهد نوح عليه السلام ـ هو الغلو في قبور الصالحين ، ثم يعقد فصلًا آخر على الوعيد الشديد فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح ، فكيف إذا عبده ، يعقبه بفصل ثالث يتحدث فيه عن حماية الرسول ﷺ

---

(١) « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٤٤-٤٥) .

لجناب التوحيد ، حيث حذر من الغلو في قبره وقال : « **لا تتخذوا قبري عيدًا** » [(١)] ، ويبين الشيخ في موضع آخر أن ما يفعله العامة عند قبور الصالحين والأولياء وغيرهم منافٍ لتوحيد الألوهية تمام المنافاة ، حيث يصرفون لأصحاب هذه القبور أشياء لا تجوز إلا لله تعالى ، كالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة ونحوها ، كما كان يفعل المشركون مع أصنامهم ، والمشركون يؤمنون بأن الله هو الرازق والمحيي والمميت والمدبر ، ولكنهم يتجهون إلى هذه الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى ، وهذا ما يظنه العامة في هؤلاء الصالحين والأولياء ، وبذلك وقع هؤلاء العامة في شرك يماثل شرك المشركين في عهد النبي ﷺ ، بل يرى الشيخ أن مشركي زمانه أشد شركًا من المشركين الأولين في أمرين :

أولهما : أن المشركين الأولين لا يدعون آلهتهم من الملائكة والأولياء والأصنام إلا في الرخاء ، أما في حالات الشدة فيخلصون الدين لله ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [لقمان : ٣٢] بينما مشركو زمانه يتجهون إلى أصحاب هذه القبور في الشدة والرخاء .

وثانيهما : أن الأولين يدعون مع الله أناسًا مقربين عند الله ، إما أنبياء ، وإما أولياء ، وإما ملائكة ، بينما بعض مشركي زمانه يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس ، وممن يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك .

ولذلك كله تمسك الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من علماء الدعوة ، بالقاعدة الأصولية (سد الذريعة) والتي تقول أن كل ما يفضي إلى محرم فهو محرم

---

(١) حديث : « **لا تتخذوا قبري عيدًا** » ، عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده ، قال الألباني في تحذير الساجد : رواه أبو يعلى بسند فيه نظر . ولكن في نفس الباب حديث أبي هريرة بلفظ : « **ولا تجعلوا قبري عيدًا** » رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألباني في تحذير الساجد .

مثله ، فنهى النبي ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور ، لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى تعظيمها ثم عبادتها ، كما نهى ﷺ عن الغلو فيه أو المبالغة في مدحه أو اتخاذ قبره عيدًا ، لما يفضي ذلك كله إلى تعظيمه ثم عبادته وهو الشرك بعينه ، وقال للرجل الذي قال له : ما شاء الله وشئت « **أجعلتني لله ندًا ما شاء الله وحده** » [1] ، وهكذا .

فائدة:

فإن قيل : أورد الشيخ في كتابه «التوحيد» بعض الأحاديث الضعيفة فكيف يستقيم هذا مع كتاب في التوحيد أهم قضايا الإيمان والعقيدة ، وهل هذا يقلل من شأن الشيخ ومكانته العلمية ؟

فالجواب : أن الشيخ لم يدع صحة كل ما أورده ، بل أحيانًا يصرح بتضعيف حديث ، أو أن الصواب وقفه ، والموقوف من أنواع الضعيف .

يقول صالح بن عبد الله العصيمي ما ملخصه [2] :

« وعلم الحديث علم اجتهادي ، فربما قوى إمام حديثًا ووهنه إمام آخر ، بل ربما وقع هذا الأمر من إمام واحد .

وما في كتاب التوحيد من ضعيف الحديث إنما هو على طريقة أهل الحديث ، من إخراجهم الحديث مع ضعفه لاستقرار أصله عندهم » [3] ، « وأبواب كتاب

(١) الحديث رواه ابن عباس رضي الله عنهما ، وأورده صاحب كتاب التوحيد في باب « قول ما شاء الله وشئت » ، والحديث رواه النسائي في عمل اليوم والليلة ، والبخاري في الأدب المفرد ، والإمام أحمد ، وابن أبي شيبة ، وابن ماجة ، وابن أبي الدنيا في الصمت ، وابن السني في عمل اليوم والليلة والطبراني في الكبير ، والطحاوي في المشكل ، وابن عدي في الكامل ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في المسند وهو حديث صحيح .

(٢)انظر « الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد » بقلم صالح بن عبد الله العصيمي طبعة دار ابن خزيمة ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ، (ص : ١١-١٣) .

(٣) المصدر السابق ، (ص : ١١) .

التوحيد مستقرة أدلتها ، ولا يعلم باب فيه خال من دليل ثابت » [١] ، فـ « ما من باب من أبواب كتاب التوحيد إلا وهو ثابت بآية أو حديث ، وما وقع مما تُكلم فيه فيخرج مخرج الشواهد والمتابعات التي يستأنس بذكرها » [٢] .

« وإذا نظرت بعين حُذَّاق المنصفين وجدت أن ما في كتاب التوحيد من ضعيف الحديث لا يخرج عن أن يكون :

ـ ظاهر الضعف لآحاد طلاب العلم كالمراسيل ، ولا يغيب ذلك عن إمام كشيخ الإسلام رحمه الله .

ـ لا يعرف ضعفه إلا بالسبر ، فهذا النوع ثلاثة أقسام :

الأول : أن يصرح الإمام بضعفه » [٣] ، « والثاني : أن يُعرف من طريقة إيراده تضعيفه له ، مثل رقم (٥٩) [٤] فإنه لما خرجه نقل كلام الترمذي في تصويب وقفه ، والثالث : أن ينتج من البحث والسبر ضعفه ، وكل ما ضعفته مما أورده الإمام من هذا القسم فقد سبق الإمام حافظ معتمد فقواه » [٥] ، « ولم أجد شيئًا أورده ـ وضعفته ـ ولم يسبق إلى تقويته ـ فيما علمت ـ إلا أربعة أحاديث وثلاثة موقوفات » [٦] ، « وبعضها قواه بعض من بعده » [٧] ، « والموقوفات الأمر فيها أسهل

---

(١) المصدر السابق ، (ص : ١١) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ٥) .

(٣) المصدر السابق ، (ص : ١١) .

(٤) يعني حديث جندب المرفوع « حد الساحر ضربة السيف » رواه الترمذي ونقل مؤلف كتاب التوحيد قول الترمذي فيه : والصحيح أنه موقوف .

(٥) المصدر السابق ، (ص : ١٢) .

(٦) المصدر السابق ، (ص : ١٢-١٣) .

(٧) المصدر السابق ، (ص : ١٣) .

عند النقاد »[(١)]، « وإنما رمت أن أنبهك ـ على قصر نفس ـ إلى أن شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب محدث حاذق، وكتابه كتاب التوحيد مصنف فائق »[(٢)].

فائدة:

انفرد كتاب التوحيد بمميزات قد لا تجدها مجتمعة في غيره من كتب التوحيد، منها حسن تقسيم أجزائه، والتناسق بين أبوابه، والدقة في ترتيبه، مع سهولة في العبارة، وبساطة في التوضيح، وإيجاز في العرض، وبلاغة في التعبير، إلى جانب منهجه القويم في الاقتصار في الاستدلال على الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

هذا كله جعل الكتاب سهل الفهم، قوي الدلالة، عظيم الأثر، لذا انتفع به ـ بحمد الله ـ كثير من المسلمين، وتفتحت له العقول والقلوب، فكان بحق عنوانًا على حقيقة الدعوة وصاحبها ﷺ، ولا يخفى أن الاقتصار في الاستدال على الكتاب والسنة وأقوال السلف، هو عماد المنهج السلفي ولبه، وطريقة أهل السنة والجماعة وسبيلهم، وما أكمله من منهج، وما أعظمه من سبيل، ففيه البعد عن مسالك علماء الكلام، ومتاهات الفلاسفة، التي أضاعت الأعمار والأوقات، وجاءت بالشبهات، ونشرت الضلالات، حتى صارت مسائل التوحيد والعقيدة بهذه الطريقة الكلامية في نظر عموم الناس أشبه بالترف العقلي الذي لا يقدر عليه إلا جهابذة الفلاسفة وكبار المتكلمين، أما من سواهم فعليه التقليد الأعمى والتسليم المطلق، لذا انتشرت البدع والخرافات، بل الجهالات والشركيات، في ثياب العلم والعلماء، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) المصدر السابق، (ص: ١٣).

(٢) المصدر السابق، (ص: ١٣).

أما العودة إلى دراسة الكتاب والسنة بفهم أئمة السلف ففيه رد الحق إلى نصابه ، وبيان السنة من البدعة ، ووصل العباد بكتاب ربهم ﷻ ، وسنة نبيهم ﷺ ، ونبذ التقليد الأعمى ، وإحياء الاتباع على بصيرة ، وإظهار العقائد السلفية ، وإعادة السنن المرضية .

فائدة :

قام بشرح كتاب التوحيد العديد من أفاضل العلماء منهم :

ـ حفيده الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في كتابه « تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد » .

ـ الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في كتابه « فتح المجيد شرح كتاب التوحيد » والذي اختصره في « قرة عيون الموحدين » .

ـ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر سعدي في كتابه « القول السديد » .

ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين في « القول المفيد على كتاب التوحيد » .

ـ الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان في « إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد » .

أشهر المسائل
التي خالف فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب
معارضيه

تقوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على ما كان عليه اعتقاد السلف الصالح من أهل السنة والجماعة ، فهو سلفي العقيدة ، وقد قرر ذلك في كثير من مؤلفاته ورسائله ، فلم يخرج عن ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، والأئمة المشهود لهم بالإمامة في الدين ، كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وسفيان الثوري وابن عيينة وابن المبارك والبخاري ومسلم وأبي داود وغيرهم .

وقد تأثر كثيرًا بما كتب ابن تيمية وابن القيم ـ رحمهما الله ـ في بيان عقيدة السلف والرد على مخالفيها .

ونذكر بإيجاز أهم المسائل العقائدية التي خالف فيها الشيخ أهل نجد ما هم عليه ، لما فيها من خروج عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، ومخالفتها للكتاب والسنة واعتقاد سلف الأمة ، وهي :

١- منع عبادة غير الله تعالى :

حيث رأى الشيخ أهل نجد وغيرها قد ألَّهوا قبور الصالحين وتعلقوا بالأشجار والقباب ، وصرفوا إليها بعض العبادات كالدعاء والاستغاثة والحلف والنذر والذبح وغير ذلك مما لا ينبغي إلا لله تعالى ، فأنكر عليهم ذلك غاية الإنكار ، وبين لهم أن هذا ينافي دعوة التوحيد ، وأنه هو الشرك الذي جاءت الرسل والأنبياء بخلافه ، فإن الله تعالى بعث الرسل من نوح ﵇ إلى النبي

محمد ﷺ لإفراد الله بالعبادة ، وهو توحيد العبودية ، أو توحيد الألوهية ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

كما بين الشيخ لمخالفيه أن المشركين في عهده ﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ، وأن الله سبحانه خالق كل شيء ومليكه ومدبره ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ [يونس : ٣١] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف : ٩] .

ولهذا احتج القرآن الكريم على توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية الذي يقر به هؤلاء المشركون .

وإنما كان سبب قتال هؤلاء المشركين أنهم لم يقروا بتوحيد الألوهية ، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة ، وألا يشرك معه في العبادة غيره ، فنزاع الرسل مع أقوامهم حول توحيد الألوهية لا حول توحيد الربوبية الذي يقرون به من قبل .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب : « فإن قيل لك ما الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ؟ فقل : توحيد الربوبية فعل الرب مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة وإنزال المطر وإنبات النبات وتدبير الأمور ، وتوحيد الإلهية فعلك أيها العبد مثل : الدعاء والرجاء والخوف والتوكل والإنابة والرغبة والرهبة والنذر والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة »[1] .

---

(١) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٣٣٥) نقلًا عن « مجموعة مؤلفات الشيخ » جـ ١/ ٣٧١ .

ولبيان الفرق بينهما إذا اجتمعا وإذا افترقا يقول ﷺ : « اعلم أن الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان ، كما في قوله ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴾ [الناس : ١-٣] ، وكما يقال : رب العالمين وإله المرسلين ، وعند الإفراد يجتمعان كما في قول القائل : من ربك ؟ مثاله : الفقير والمسكين نوعان في قوله ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ [التوبة : ٦٠] ، ونوع واحد في قوله ﷺ : « **افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم** » [(١)] ، إذا ثبت هذا فقول الملكين للرجل في القبر : من ربك ؟ معناه من إلهك ، لأن الربوبية التي أقر بها المشركون ما يمتحن أحد بها ، وكذلك قوله : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ [الحج : ٤٠] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ [الأنعام : ١٦٤] ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ [فصلت : ٣٠] ، فالربوبية في هذا هي الألوهية ليست قسيمة لها ، كما تكون قسيمة لها عند الاقتران ، فينبغي التفطن لهذه المسألة » [(٢)] .

كما بين لهم أن العبادة هي طاعة الله تعالى بامتثال ما أمر وترك ما عنه نهى ، فهي - أي العبادة - اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال ، فمن صرف شيئًا منها لغير الله يكون مشركًا .

فكانت هذه المسألة أكبر المسائل التي وقع النزاع فيها بينه وبين مخالفيه ، وأكثرهم من المتصوفة وأتباعهم من جهال العوام المعتقدين في قبور الصالحين ، المغالين في تعظيم الأولياء وتقديسهم .

---

(١) متفق عليه .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ٣٣٥) نقلًا عن مجموعة مؤلفات الشيخ جـ ٥/ ١٧ .

وكما اهتم الشيخ ببيان التوحيد فكذلك اهتم ببيان نقيضه وهو (الشرك) ، وكل الأمور الموصلة إليه ، حتى أنه ألف رسالة مختصرة بعنوان « المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية » ، وشملت مائة وعشرين مسألة يوردها الشيخ باختصار شديد ، وقد فصل الحديث عنها في بعض مسائله .

٢- منع التوسل المخالف للشرع :

فالتوسل على قسمين : مشروع وممنوع :

* **فالمشروع** : ما ثبت فيه الدليل من الكتاب والسنة ، ويشمل التوسل بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته ، والتوسل بالعمل الصالح ، والتوسل بدعاء الصالح الحي الحاضر .

* **والتوسل الممنوع** : ما لم يأت فيه دليل من الشرع فلا يجوز أن يكون مما يتعبد به ، وكونه لم يرد شرعًا فهو ممنوع ، ولكن المتوسلون به يفعلونه ويسمونه توسلًا ويجعلونه تقربًا إلى الله تعالى .

والتوسل المشروع له عدة صور ، والتوسل الممنوع على أنواع ولكل منها حكمه .

ونظرًا لأن لفظ التوسل صار من الألفاظ المشتركة ، فهو يطلق عند أهل العلم على ما يُقَرب إلى الله من الأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها ، ويطلقه بعض المتأخرين على التوسل بذوات الصالحين أو جاههم ، ويطلقه عباد القبور على ما يقومون به من الاستغاثة بغير الله تعالى ، ودعائهم رغبًا ورهبًا في الحاجات والملمات ، فبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين كذلك أتباعه ما لا يجوز من تلك الصور التي سماها البعض توسلًا وهي من الشركيات ، فزعم خصومه أن الشيخ

وأتباعه ينكرون كل أنواع التوسل مطلقًا وهذا من البهتان والكذب ، ولا زال دعاة الوهابية جيلًا بعد جيل يبينون ما يجوز وما لا يجوز من ذلك ، رافضين تسمية الصور المحرمة التي يفعلها عباد القبور توسلًا يتقرب به إلى الله تعالى ، إتباعًا لهدي السلف وأئمة الأمة المعتبرين [(١)] .

فالتوسل الشرعي إما أن يكون بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، وأما أن يكون بالأعمال الصالحة ، وإما أن يكون التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي .

يقول الشيخ حمد بن ناصر بن معمر من علماء الدعوة الوهابية ما مختصره : « ... الذي فعله الصحابة رضي الله عنهم هو التوسل إلى الله بالأسماء والصفات والتوحيد ، والتوسل بما أمر الله به من الإيمان بالرسول ومحبته وطاعته ونحو ذلك ، وكذلك توسلوا بدعاء النبي ﷺ في حياته ، وتوسلوا بدعاء العباس ... » [(٢)] ، أي بعد وفاة النبي ﷺ .

ويقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين :

« فلم يبق إلا التوسل بالأعمال الصالحة كتوسل المؤمنين بإيمانهم في قولهم : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَـٰنِ ﴾ [آل عمران : ١٩٣] ، وكتوسل أصحاب الصخرة المنطبقة عليهم [(٣)] ، كسؤاله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] ،

---

(١) راجع « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » لابن تيمية ، و« التوسل » للألباني ، و« التوصل إلى حقيقة التوسل » لمحمد بن نسيب الرفاعي ، و« الرد على كتاب حكم التوسل بالأنبياء والأولياء » للدكتور محمد خليل هراس ، وكتاب « الشفاعة » لمقبل بن هادي الوداعي .

(٢) « دعاوى المناوئين » ص (٢٥٦) ، نقلًا عن « الدرر السنية » ٩/ ١٧ .

(٣) والحديث صحيح ، رواه البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم .

فإنها القربة التي تقرب إلى الله وتقرب فاعلها منه ، وهي الأعمال الصالحة »[١] .

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب :

« التوسل المشروع الذي جاء به الكتاب والسنة هو التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحات ، والأسماء والصفات اللائقة بجلال رب البريات ، وكذلك التوسل إلى الله بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته ، وبدعاء غيره من الأنبياء والصالحين في حياتهم »[٢] ، والاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته المراد به طلب دعائه ﷺ .

ويقول الشيخ سليمان بن سحمان :

« التوسل في عرف الصحابة والتابعين هو طلب الدعاء من الرسول في حياته ، كما كانوا يتوسلون به عند القحط ، فيدعو الله ويستسقيه ، فيسقيهم الله ، ثم بعد مماته توسل عمر بدعاء عمه[٣] ... فهذا من التوسل المشروع والشيخ ـ أي محمد ابن عبد الوهاب ـ لا يمنع من هذا ولا ينكره »[٤] .

فهذا التوسل المشروع قد أقر به الشيخ رحمه الله ، وكذا أتباعه كما هو في كتبهم ومؤلفاتهم ، وزعم أن الوهابيين يمنعون التوسل مطلقًا فمحض افتراء كما هو ظاهر ، ولكن خصوم الدعوة الوهابية يستغلون جهل الناس بحقيقة الدعوة وبأقوال علمائها ودعاتها فينسبون إليهم ما ليس من معتقداتهم ثم يشنعون عليهم بذلك .

---

(١) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٢٥٦-٢٥٧) ، نقلًا عن « الدرر السنية » جـ ٢/ ٨٥ باختصار ، وانظر « التوضيح عن توحيد الخلاق » ، (ص : ٤٣) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ٢٥٧) ، نقلًا عن « الدرر السنية » جـ ٩/ ٢٣٢ .

(٣) أي : العباس رضي الله عنه .

(٤) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٢٥٧) ، نقلًا عن « الأسنة الحداد » ، (ص : ١٥٠) .

فائدة:

من أدلة أنواع التوسل المشروع:

١ - التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته:

من أدلته قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وفي الحديث إقرار النبي ﷺ للصحابي الذي قال في دعائه: اللهم إني أسألك بالله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد أن تغفر ذنوبي فإنك أنت الغفور الرحيم، فقال النبي ﷺ: « **قد غفر له، قد غفر له** ».

٢ - التوسل بالعمل الصالح:

كما في الأدعية القرآنية كقوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وفي قصة الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة وهم في الغار فتوسل كل منهم بعمل صالح فانفرجت الصخرة وخرجوا من الغار، ويشهد لذلك أدعية الكتاب والسنة الكثيرة.

٣ - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الحي الحاضر:

ومن أدلته قوله تعالى عن أبناء يعقوب عليه السلام قولهم لأبيهم: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يوسف: ٩٧-٩٨]، وكما في استسقاء عمر بن الخطاب والصحابة رضي الله عنهم بالعباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ وقول عمر رضي الله عنه: « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا - أي: بدعائه - فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك » أي: بدعائه، رواه البخاري. ومعلوم أن المراد بالتوسل بالنبي ﷺ أي بدعائه كما هو معلوم في صفة

استسقاء الصحابة بالنبي ﷺ وهو طلبهم أن يدعو الله لهم ، ولو كان التوسل بالذات لما تركوه مع وجود المقتضى له وانتفاء الموانع .

* **أما التوسل البدعي فيتضمن** : التوسل إلى الله بذوات المخلوقين وأشخاصهم ، والتوسل إلى الله بجاه الصالحين ومنزلتهم عند الله تعالى ، والإقسام على الله بالمتوسل به ، وهذه الأنواع الثلاثة بدعة ، ولكنها لا تصل إلى درجة الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة ، ولكنها قد تصل إلى درجة التحريم أو دونه ، لأن من توسل إلى الله بهؤلاء الصالحين أو جاههم فهو يدعو الله مخلصًا له الدين ولكن يقول : أسألك بهؤلاء الصالحين [1] .

ويقول الشيخ حمد بن ناصر بن معمر عن حكم هذه الأنواع عند أتباع الدعوة الوهابية ما مختصره :

« وأما التوسل بالذات فيقال : ما الدليل على جواز سؤال الله بذات المخلوقين ، ومن قال هذا من الصحابة والتابعين ، وأما التوسل بالذات بعد الممات فلا دليل عليه ، ولا قاله أحد من السلف ، بل المنقول عنهم يناقض ذلك ، وقد نص غير واحد من العلماء على أن هذا لا يجوز ، ونقل عن بعضهم جوازه ، وهذه المسألة وغيرها من المسائل إذا وقع فيها النزاع بين العلماء فالواجب رد ما تنازعوا إلى الله والرسول ، ومعلوم أن هذا لم يكن منقولًا عن النبي ﷺ ولا مشهودًا بين السلف ، وأكثر النهي عنه [2] ، ولا ريب أن الأنبياء والصالحين لهم الجاه عند الله ، لكن الذين لهم عند الله من الجاه والمنازل والدرجات أمر يعود نفعه إليهم ، ونحن ننتفع من

---

(١) راجع « صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان » للسهسواني الهندي ، (ص : ٢٠٩) .

(٢) أي أكثر كلام العلماء في هذه المسألة هو المنع والنهي .

ذلك باتباعنا لهم ومحبتنا ، فإذا توسلنا إلى الله بإيماننا بنبيه ﷺ ومحبته وطاعته واتباع سننه كان هذا من أعظم الوسائل ، وأما التوسل بنفس ذاته مع عدم التوسل بالإيمان به وطاعته فلا يكون وسيلة » [١] ، « وأما أن يقسم عليه فلا يجوز الإقسام بالمخلوقين ، كما أنه لا يجوز أن يقسم على الله بالمخلوقين ، فالتوسل إلى الله بذات خلقه بدعة مكروهة ، لم يفعلها السلف من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان » [٢] .

ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : « وأما التوسل وهو أن يقال : اللهم إني أتوسل إليك بجاه نبيك محمد ﷺ ، أو بحق نبيك ، أو بجاه عبادك الصالحين ، أو بحق عبدك فلان ، فهذا من البدع المذمومة ، ولم يرد بذلك نص » [٣] .

وعن حكم سؤال الله بالموتى يقول الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب :

« وهذا يفعله كثير من المتأخرين ، وهو من البدع المحدثة في الإسلام ، ولكن بعض العلماء يرخص فيه ، وبعضهم ينهى عنه ويكرهه .... لكنه لا يصل إلى الشرك الأكبر ... » [٤] .

وأما التوسل إلى الله في الدعاء بغير النبي ﷺ فيقول فيه الشيخ عبد الله : « لا نعلم أحدًا من السلف فعله ، ولا روي فيه أثرًا » [٥] .

ويقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين : « وأما الإقسام على الله بمخلوق فهو منهي عنه باتفاق العلماء ، وهل هو منهي عنه نهي تنزيه أو تحريم ؟

---

(١) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٢٥٨-٢٥٩) نقلًا عن « الدرر السنية في الأجوبة النجدية » جـ٩/ ٢٣ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٢٥٩) ، نقلًا عن « الدرر السنية » جـ١/ ١٢٩ .

(٤) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٢٥٩) نقلًا عن « مجموعة الرسائل والمسائل » جـ ١/ ٦٩ باختصار .

(٥) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٢٥٩) نقلًا عن « مجموعة الرسائل والمسائل » جـ ١/ ٧١ .

على قولين ، أصحهما أنه كراهة تحريم »[١] .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن :

« ولو جاز سؤال الله بالرجل الصالح[٢] ، لما ترك الصحابة السابقون الأول من المهاجرين والأنصار ﷺ التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته ، كما كانوا يتوسلون بدعائه في حياته إذا قحطوا ، وثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنه خرج بالعباس بن عبد المطلب ﷺ عام الرمادة بمحضر من السابقين الأولين يستسقون ، فقال عمر ﷺ : « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك[٣] فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا[٤] فاسقنا » ، ثم قال : « ارفع يديك يا عباس » ، فرفع يده ، يسأل الله تعالى ، ولم يسأله[٥] بجاه النبي ﷺ[٦] ولا بغيره ، ولو كان هذا التوسل[٧] حقًا كانوا إليه أسبق وعليه أحرص »[٨] .

ويقول الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن في مسألة سؤال الله تعالى بالمخلوق والإقسام على الله به :

« وإذا تقرر هذا فقد عرفت ـ سلمك الله ـ كلام الناس في مسألة سؤال الله بمخلوق ، والإقسام على الله به ، وقد ذاكرتك فيها بأن الذي نعتقده : أنا لا نكفر

---

(١) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٢٦٠) نقلًا عن « الدرر السنية » جـ ٢/ ٨٥ .

(٢) أي بعد وفاته .

(٣) أي بدعاء نبيك ﷺ في حياته .

(٤) أي بدعاء عم نبيك العباس ﷺ في حياته .

(٥) أي لم يسأل الله تعالى .

(٦) لكونه ﷺ ليس حيًا بينهم .

(٧) أي التوسل بالميت بعد موته .

(٨) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٢٦٠) نقلًا عن « الدرر السنية » جـ ٢/ ١١٣ .

بها أحدًا ، بل نقول هي بدعة شنيعة نهي عنها السلف ... » [١] .

ويقول الشيخ صالح بن أحمد : « وأما التوسل بذوات الأشخاص فغير جائز ، وهو من البدع المحدثة ، وأمر لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ ، وإن اجتلبوا له أحاديث لا أصل لها ، ودندوا حولها ، وحملوا بعض الآيات على غير محملها لهواهم ، وليس كل قول قيل بالقبول يقابل ، إلا ما جاء في كتاب الله ، وصح عن رسول الله ﷺ جل ذلك عن الرد » [٢] .

أما دعاء غير الله من الموتى والاستغاثة بهم في الملمات وتسمية ذلك توسلًا فهو من الشرك الأكبر ، وليس بتوسل شرعي .

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب :

« واعلم أن التوسل بذات المخلوق أو بجاهه غير سؤاله ودعائه ، فالتوسل بذاته أو بجاهه ، أن يقول : اللهم اغفر لي وارحمني وأدخلني الجنة بنبيك محمد ﷺ ، أو بجاه نبيك محمد ﷺ ونحو ذلك ، فهذا بدعة ليس شرك ، وسؤاله ودعاؤه هو أن يقول : يا رسول الله أسألك الشفاعة ، وأنا في كرب شديد ، فرج عني ، واستجرت بك من فلان فأجرني ونحو ذلك ، فهذا كفر وشرك أكبر ينقل صاحبه من الملة ، لأنه صرف حق الله لغيره ، لأن الدعاء عبادة لا يصلح إلا لله ، فمن دعاه فقد عبده ، ومن عبد غير الله فقد أشرك ، والأدلة على هذا أكثر من أن تحصر ، وكثير من الناس لا يميز ولا يفرق بين التوسل بالمخلوق أو بجاهه ، وبين

---

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٦٠-٢٦١) نقلًا عن « الدرر السنية » جـ ١/ ٢٧١ .

(٢) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٦١) نقلًا عن « تدمير أباطيل محمد بن أحمد نور » ، (ص : ٥٥) .
وراجع تفاصيل الرد على ما استدل به المجوزون من أدلة لا تثبت في « صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان » للسهسواني ، و « تأسيس التقديس » ، ورسالة التوسل للألباني .

دعائه وسؤاله فافهم ذلك »[١] .

ويرد الشيخ عبد الرحمن بن حسن على هؤلاء المجوزين للشرك باسم التوسل فيقول : « وليس عند هؤلاء الملاحدة ما يصدون به العامة عن أدلة الكتاب والسنة التي فيها النهي عن الشرك في العبادة إلا قولهم قال أحمد بن حجر الهيتمي[٢] ، قال فلان ، وقال فلان يجوز التوسل بالصالحين ، ونحو ذلك ، من العبارات الفاسدة ، فنقول هذا وأمثاله ليسوا بحجة تنفع عند الله ، وتخلصكم من عذابه ، بل الحجة ما في كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه ، وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها ، وما أحسن ما قال الإمام مالك ﷺ : وكلما جاءنا رجل أجدل من رجل نترك ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله ، إذا عرف ذلك فالتوسل يطلق على شيئين ، فإن كان ابن حجر وأمثاله أرادوا سؤال الله بالرجل الصالح[٣] فهذا ليس في الشريعة ما يدل على جوازه[٤] ، فإن كانوا أرادوا بالتوسل دعاء الميت والاستشفاع به[٥] فهذا هو شرك المشركين بعينه ، والأدلة على بطلانه في القرآن كثيرة جدًا »[٦] .

فهذه الصور الممنوعة كلها ليست من التوسل المشروع ، وهي كلها دعاء ، والدعاء عبادة ، والعبادة توقيفية ، فلا يعبد الله تعالى إلا بما شرع .

ولقد بَيَّن الشيخ وأتباعه من بعده من علماء الدعوة هذه المسألة باستفاضة ،

---

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٦٧-٢٦٨) نقلًا عن « الدرر السنية » جـ ٩/ ٢٣٤ .

(٢) وهو غير الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري .

(٣) أي بذاته أو جاهه وليس بدعائه في حياته .

(٤) هو بدعة كما مر وليس من الشرك الأكبر .

(٥) طلب الشفاعة من الميت .

(٦) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٦٧-٢٦٨) نقلًا عن « الدرر السنية » جـ ٢/ ١١٢-١١٣ .

وقاموا بالرد على المخالفين ، إذ أن المخالفين تمسكوا بعمومات فهموها من آيات قرآنية ، أو احتجوا بأحاديث غالبها ضعيف أو موضوع ، أو فهموها على غير مرادها ، فبينوا الجواب على هذه الشبهات ، بما لا يجعل لأي منصف عاقل التباس .

فائدة :

التوسل غير المشروع على ثلاثة مراتب :

١ - المرتبة الأولى :

دعاء غير الله تعالى ، من ميت أو غائب ، سواء كان من الأنبياء أو الصالحين أو الملائكة أو الجن ، وحكمه : أنه شرك أكبر مخرج من الملة وإن سماه صاحبه توسلًا ، وإلا فهو توسل شركي مشابه لتوسل المشركين بمعبوداتهم الباطلة من دون الله تعالى قائلين : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣] .

والأدلة القرآنية على كفر من يدعو غير الله تعالى عديدة منها :

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾ [فاطر : ١٣-١٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف : ٥-٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] .

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ : يقول : من المشركين بالله الظالم لنفسه .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٧] .

وفي الحديث : قال رسول الله ﷺ : « **الدعاء هو العبادة** » ، وتلا قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] (١) .

٢ - المرتبة الثانية :

أن يقول للميت أو للغائب : ادع الله لي ، أو اسأل الله لي . فهذا غير جائز ، ومن البدع ، لم يقل به أحد من علماء الأمة ، لا يعلم عن السلف خلافه ، وهو وسيلة إلى الوقوع في الشرك ، لذا فهو من الشرك الأصغر .

والفرق بينه وبين المرتبة السابقة ، أن الأول دعاء غير الله تعالى ، وهذه المرتبة : خطاب للميت بما لم يرد في الكتاب والسنة ، ولكنه لم يدعه ولم يطلب منه قضاء الحاجات ، فلم يعبد غير الله ولكنه ذريعة للغلو وبدعة .

٣ - المرتبة الثالثة :

أن يقول في دعائه لله تعالى : (أسألك بفلان) أو (بحقه أو جاهه) . وهي

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا ، وقد صححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم (٣٤٠١) .

مسألة اختلف في مشروعيتها . والراجح عدم المشروعية ، والمشهور عن الصحابة ﭫ العدول عن التوسل بالذات بالتوسل بدعاء العباس ﭬ وتركهم التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه ، مع وجود المقتضى له وانتفاء الموانع ، خاصة والوقت وقت شدة وانقطاع المطر ، فتركهم له تعبدًا لله ففعله بدعه ، ولا يعرف عن الصحابة ﭫ خلافه .

وهو مذهب أبي حنيفة وأبي يوسف ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية لخلو السنة النبوية منه وترك كبار الصحابة له . والله تعالى أعلم .

٣- منع شد الرحال لغير المساجد الثلاثة :

إذ رأى الشيخ ما يفعله الجهال من شد الرحال إلى قبور الصالحين وأضرحتهم ، مع النذر لها والذبح ، والطواف بها ، فبين ما في ذلك من مخالفة صريحة للحديث الصحيح المرفوع أنه لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى [١] .

ولقد دار بسبب هذه المسألة مجادلات ومنازعات كثيرة بين الشيخ ومخالفيه ، فبين ما فيها ، ورد على المخالفين تأويلاتهم الخاطئة للحديث ، وبين أن المجوزين لذلك ليست لهم حجة يصح لهم الأخذ بها .

وقد سبق الشيخ إلى منع شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة طائفة من أجلاء العلماء في مقدمتهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومن قبلهما الجويني والد إمام الحرمين من الشافعية والقاضي عياض من المالكية وغيرهم [٢] .

(١) ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﭬ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى** » ، متفق عليه .

(٢) انظر « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص :٤٥) .

٤- منع البناء على القبور وتعظيمها :

حيث أنكر الشيخ على مخالفيه ما يقومون به من البناء على القبور ، من القباب والأضرحة ، وكسوتها وتعليق الستور عليها ، وإسراجها ، وإقامة السدنة حولها ، وما يترتب على هذا التعظيم المخالف للشرع من زيارة العوام لها الزيارة الشركية ، التي تتضمن التمسح بالقبر ، والطواف حوله ، والصلاة إليه ، ودعاء المقبور ، والتبرك به والنذر والذبح له ... إلخ .

وتطبيقًا لذلك قام الشيخ بهدم القباب المبنية حول القبور ، ومنع صرف العبادات لها ، كما في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي قال فيه لأبي الهياج الأسدي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ، أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته .

وكما ثبت نهيه ﷺ عن بناء المساجد على القبور لئلا تكون ذريعة إلى تعظيمها ثم عبادتها ، وهو الشرك المنهي عنه .

وبَيَّنَ الشيخ والدعاة من بعده الفرق بين زيارة المقابر الزيارة الشرعية المستحبة كما وردت في هدي النبي ﷺ وبين زيارة المقابر الزيارة المبتدعة ، وبَيَّنَ الفرق بين الزيارة المبتدعة والزيارة الشركية .

* **فالزيارة الشرعية** : يقصد بها الزائر تذكر الآخرة والترحم على الميت والدعاء له بالمغفرة ، مع الأخذ بالأدعية النبوية المأثورة في ذلك الموضع ، فهذا عمل مستحب شرعًا .

* **والزيارة البدعية** : فيها مخالفة الشرع بما ليس بشرك ، كأن يقصدها الزائر لدعاء الله تعالى وسؤاله عند القبر ، فهذا العمل بدعي .

* والزيارة الشركية : هي الزيارة التي تصاحبها الأعمال الشركية ، بصرف أنواع من العبادة مما لا تنبغي إلا لله تعالى لصاحب القبر المزار ، كأن يدعو الميت ويسأله أن يكشف عنه ضره أو يجلب له الخير ، ويتقرب إليه بالذبح أو النذر أو الطواف حول قبره والتمسح به ونحو ذلك .

ويذكر المؤرخ ابن غنام ما فعله الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع عثمان بن معمر أمير العيينة في أول إظهار لدعوته بها من هدم القباب وأبنية القبور فيقول : « خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومعه عثمان بن معمر وكثير من جماعتهم إلى الأماكن التي فيها الأشجار التي يعظمها عامة الناس والقباب وأبنية القبور ، فقطعوا الأشجار ، وهدموا المشاهد والقبور ، وعدلوها على السنة »[1] .

فهدم الشيخ قبة قبر زيد بن الخطاب بيده ، وهو قبر مزعوم لزيد بن الخطاب ـ أخو عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ، إذ أن شهداء الصحابة الذين قتلوا في أيام حرب مسيلمة ـ ومنهم زيد ـ لا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم ، ولا يعرف قبر زيد من قبر غيره ، ولكن المبتدعة جعلوا له قبرًا معلومًا ، وفتنوا الناس به ، يأتون إليه من جميع البلاد للزيارة ، ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، فلأجل ذلك هدم الشيخ هذا البناء وما كان على قبره ، وكذلك قطع شجرة الذيب مع بعض أصحابه ، وقام ثنيان بن سعود ومشاري بن سعود ـ وهما من إخوة الإمام محمد بن سعود ـ بقطع شجرة قريوة مع جماعة من أتباع الشيخ .

ولما توجه سعود إلى كربلاء بجيشه سنة ١٢١٦هـ هدم القبة الموضوعة على قبر الحسين .

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ٣١٣) نقلًا عن « روضة الأفكار » لابن غنام بتصرف يسير .

ولما دخل سعود مكة فرق رجاله يهدمون القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية [١] .

يقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في وصف ما فعله أتباع دعوة الشيخ عند دخول مكة سنة ١٢١٨هـ :

« فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يعبد بالتعظيم والاعتقاد فيه ورجاء النفع ودفع الضر بسببه من جميع البناء على القبور وغيرها ، حتى لم يبق في البقعة المطهرة طاغوت يعبد فالحمد لله على ذلك » [٢] .

ويعلل ذلك بقوله : « وإنما هدمنا بيت السيدة خديجة وقبة المولد [٣] وبعض الزوايا المنسوبة لبعض الأولياء حسمًا لذرائع الشرك ، وتنفيرًا من الإشراك بالله ما أمكن لعظم شأنه فإنه لا يغفر » [٤] .

وتعظيم القبور بمعنى احترامها بألا يبال عليها أو يتغوط ، ولا توطأ أو يجلس عليها فهذا كله مشروع ، وفي صحيح مسلم عن أبي مرثد الغنوي أن النبي ﷺ قال : « **لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها** » ، وفيه أيضًا أن النبي ﷺ رأى رجلًا قد اتكأ على قبر فقال : « **لا تؤذوا صاحب القبر** » ، وفيه أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لئن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه**

---

(١) راجع « عنوان المجد في تاريخ نجد » للمؤرخ ابن بشر جـ ١/ ٢٥٧ .

(٢) دعاوى المناوئين ، (ص :٣١٤-٣١٥) نقلًا عن « الهدية السنية » ، (ص : ٣٧) .

(٣) أي المولد النبوي ، وقبة المولد النبوي هي غير القبة المبنية على القبر النبوي ، وقد ادعى أعداء الدعوة الوهابية أن الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود قام بهدم القبة المبنية على القبر النبوي وتلقف ذلك العديد من المؤرخين الأوروبيين وهذا من الكذب والافتراء على الإمام سعود رحمه الله .

راجع « محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم » ، (ص : ١٨٣) ، وانظر « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٣٢٣) .

(٤) دعاوى المناوئين ، (ص : ٣١٥) نقلًا عن « الهدية السنية » ، (ص : ٤٣) .

فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر مسلم » .

أما تعظيمها بمعنى عبادتها فهو أكبر الكبائر لكونه من الشرك الأكبر المخرج من الملة [١] .

أما الزيارة الشرعية لقبر النبي ﷺ فهي : « ما قاله الإمام مالك وأحمد بن حنبل والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم من المجتهدين ، كلهم قالوا : إن من كان حاضرًا في المدينة فيشرع في حقه أن يأتي إلى القبر فيصلي ويسلم على النبي ﷺ وعلى صاحبيه رضوان الله عليهما [٢] ، قالوا : ولا يكثر من المجيء عليه ، ولا يكرره في اليوم مرات احترامًا له ، ولأنه لم يفعله الصحابة ولا التابعون ، وأن من قدم من سفر أو خرج إليه [٣] فيقف على قبر النبي ﷺ فيصلي ويسلم عليه ، وعلى صاحبيه ، بعد أن يصلي لله في المسجد [٤] ركعتين » [٥] .

أما الزيارة غير المشروعة لقبر النبي ﷺ فهي ما فيها قصد القبر « للدعاء واتخاذه عيدًا بالاجتماع عنده ، والسفر إليه ، لما في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن أنه ﷺ نهى أن يتخذ قبره مسجدًا ، وقال : « **اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » [٦] ، بعد قوله : « **اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد** » [٧]

---

(١) راجع دعاوى المناوئين : ص (٣١٦) .

(٢) أي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقد دفنا بجواره ﷺ بعد وفاتهما .

(٣) أي إلى سفر .

(٤) فتكون الزيارة للقبر النبوي تبعًا لزيارة المسجد النبوي .

(٥) انظر دعاوى المناوئين : ص (٣١٧) نقلًا عن (التوضيح عن توحيد الخلاق) .

(٦) رواه البزار من حديث أبي سعيد مرفوعًا وصحح إسناده الألباني رحمه الله في تحذير الساجد ، ورواه مالك وابن أبي شيبة مرسلًا .

(٧) سبق تخريجه ، (ص : ٥٨) بالهامش .

، فإنه ﷺ لم ينه عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد استهانة بأهلها ، بل لما يخاف على القاصدين لها من الفتنة بدعائها أو الدعاء عندها » (١) .

ومما يزيد الأمر سوءًا أن « عباد القبور لا يقتصرون على بعض ممن يعتقدون فيه الضر والنفع ، بل كل من ظنوا فيه ذلك بالغوا في مدحه ، وأنزلوه منزلة الربوبية ، وصرفوا له خالص العبودية ، حتى أنهم إذا جاءهم رجل وادعي أنه رأى رؤيا مضمونها أنه دفن في المحل الفلاني رجل صالح بادروا إلى المحل وبنوا عليه قبة وزخرفوها بأنواع الزخارف ، وعبدوها بأنواع من العبادة ، وأما القبور المعروفة أو المتوهمة فأفعالهم معها وعندها لا يمكن حصره ، فكثير منهم إذا رأوا القباب التي يقصدونها كشفوا الرؤوس فنزلوا عن الأكوار ، فإذا أتوها طافوا بها واستلموا أركانها وتمسحوا بها وصلوا عندها ركعتين » (٢) .

ولم يثبت قطعًا عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه بطريق صحيح ولا ضعيف أنهم اتخذوا القباب والمشاهد ، وأوقدوا عليها السرج ، ولثموا ترابها ، وركبوا عليها التوابيت ، وكسوها بالورود والديباج ، إلى غير ذلك من أنواع البدع التي يفعلها الخارجون عن وفق الشرع وهديه الذي كان عليه وأصحابه ، بل الثابت الصحيح أنه جاء بهدمها وإبطالها (٣) ، « وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن كل عمل جار تحت أحكام الشريعة فما كان موافقًا لها فهو مقبول ، وما كان خارجًا عن ذلك مردود وإن كان تقاضته الطباع وتحالته النفوس » (٤) .

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ٣١٧) نقلًا عن « التوضيح عن توحيد الخلاق » ، (ص : ٢٤٦) .
(٢) دعاوى المناوئين ، (ص : ٣١٨) نقلًا عن « تيسير العزيز الحميد » ، (ص : ٢٢١) .
(٣) دعاوى المناوئين ، (ص : ٣٢٤) نقلًا عن « الصيب الهطال » ، (ص : ١٦) .
(٤) دعاوى المناوئين ، (ص : ٣٢٤) نقلًا عن « الصيب الهطال » ، (ص : ١٦) .

فيتبين من سيرة الشيخ وكتابات أتباعه من بعده كيف جاهد الشيخ وأتباعه من بعده بكل قوتهم لصرف الناس عن الزيارة البدعية والشركية إلى الزيارة الشرعية كما كان يفعل النبي ﷺ في زيارة المقابر .

٥- منع طلب الشفاعة من الموتى :

فقد بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن طلب الشفاعة من الموتى بدعوى أن لهم جاهًا ومنزلة عند الله هو من الشرك ، لما فيه من طلب الحاجة من الميت .

والشفاعة كما بينها الشيخ على قسمين :

* **شفاعة مثبتة** : أثبتها القرآن الكريم ، وهي خالصة لأهل التوحيد والإخلاص ، وتكون بإذن من الله تعالى للشافع أن يشفع ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وتكون عمن أذن الله تعالى للشافع أن يشفع فيه ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد والإخلاص له ، وأنواع هذه الشفاعة متعددة ، منها ما هو خاص بالنبي ﷺ ، ومنها ما هو عام يشاركه فيها غيره من الأنبياء والملائكة والصالحين ، وكلها لا تكون إلا من بعد إذن الله تعالى ورضاه عمن شفع له ، لذا لا يجوز أن تطلب منهم ، وإنما تطلب الشفاعة من الله تعالى .

* والشفاعة المنفية : هي الشفاعة للكافر والمشرك ، قال تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٨] ، وهي الشفاعة التي كان يعتقدها المشركون والكفار في مَنْ يعبدونهم من الصالحين ، كما قال تعالى فيهم : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] ، وقال تعالى فيهم أيضًا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣] .

وشفاعاته ﷺ متعددة ، فمنها الشفاعة الكبرى في بدء الحساب ، وشفاعته لأهل الجنة في دخولها ، وشفاعته لقوم من عصاة أمته ألا يدخلوا النار ، وشفاعته في إخراج عصاة من الموحدين من النار ، وشفاعته لقوم من أهل الجنة في رفع درجاتهم فيها ، وشفاعته ﷺ في تخفيف عذاب عمه أبي طالب وهي خاصة بأبي طالب دون غيره من الكفار .

والطريق إلى نيل شفاعته ﷺ هو أتباعه ﷺ فيما جاء به مع إخلاص العمل له تعالى ، ولا تطلب الشفاعة من النبي ﷺ نفسه ، وإنما تطلب من الله تعالى ، فيقول العبد في دعائه : اللهم لا تحرمني شفاعته ﷺ ، أو يقول : اللهم شفعه فيَّ ، وأمثال ذلك من الدعاء .

٦- منع التأويل والتحريف في الأسماء والصفات :

لم يواجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد مخالفة كبيرة في قضية الأسماء والصفات ، وإنما جاءت المخالفة لمذهب السلف في الأسماء والصفات أكثر ما جاءت من خارج نجد ، حيث واجهت الدعوة الوهابية بعقيدتها السلفية في الأسماء والصفات مخالفة أولئك الذين يتبنون مذاهب الفرق المخالفة لعقيدة السلف في الأسماء والصفات ، فيؤولون أو ينفون على طريقة المتكلمين .

فبيَّنَ الشيخ رحمه الله معتقد السلف الصالح في الأسماء والصفات من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومن تابعهم من أئمة الأمة المعتبرين من إثبات الأسماء والصفات كما جاءت في الكتاب والسنة الصحيحة التي تلقتها الأمة بالقبول من غير تمثيل ولا تكييف ولا تأويل ولا تعطيل ولا تحريف ، وبين رحمه الله في رسائله ومؤلفاته العديدة فساد ما عليه المخالفون في توحيد الأسماء والصفات .

ولذلك رمى أعداءُ الشيخ الشيخَ وأتباعه بأنهم مجسمة كما هي عادة أهل الكلام مع أهل السنة ، يقول ناصر الدين الحجازي ـ وهو الشيخ محمد بن علي بن تركي [1] ـ في الرد على من اتهم الوهابية بالتجسيم : « الوهابية لم يثبتوا ذلك وإنما أثبته الله تعالى لنفسه ، غاية الأمر أن الوهابية كغيرهم من السلف يؤمنون بذلك ، ويكلون علمه إلى الله تعالى من غير تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تعطيل ، وبذلك نطقت كتب عقائدهم ، ولقد كانت المعتزلة ترمي أهل السنة بأنهم مجسمة ، وذلك مسطور في كتبهم ، وصاحبنا [2] سلك هذا المسلك ، فإذا كان المؤلف ينكر إثبات تلك الصفات لله تعالى ، فلينكرها على من أثبتها ، وأما الجسمية فمحال أن يعتقدها مسلم ، ومن ادعاها لأمة مسلمة فعليه أن يبرهن عليها بنقل من كتبهم لا بمجرد الإفك والافتراء » [3] .

٧- الدعوة إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد :

أدرك الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن سبب انحراف المسلمين عن فهم إسلامهم الفهم الصحيح هو انشغالهم بكتب المتأخرين عن النظر في القرآن والسنة ، وكذلك راجع إلى اعتقاد الناس استحالة وصولهم إلى مرتبة الاجتهاد .

ولذا رأى الشيخ بأنه لا سبيل إلى الإصلاح إلا بتحطيم قيود التقليد ، والعودة إلى النظر في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وبلغ ذم الشيخ

---

(١) توفي سنة ١٣٨٠هـ .

(٢) يعني عبد القادر الإسكندراني من دمشق الشام الذي ألف رسالة « النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية » .

(٣) انظر دعاوى المناوئين ، (ص : ١٣٣) نقلًا عن ناصر الدين الحجازي في رسالته « النفخة على النفحة » التي يرد بها على الإسكندراني .

للتقليد أنه جعله من الأمور التي خالف فيها الرسول ﷺ المشركين أهل الجاهلية حيث يقول : « إن دين المشركين مبني على أصول أعظمها التقليد ، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم » .

ولا يعني محاربة الشيخ للتقليد أنه أبطل التقليد بالكلية ، ولكن فَصَّلَ الأمر على ما قرره أئمة السلف ، فالتقليد أن تأخذ أراء السابقين من غير نظر في الأدلة التي استدلوا بها ، أما الحكم في المسألة عن دليل وفهم فلا يسمى ذلك تقليدًا ، والتقليد ممنوع على الشخص الذي يستطيع معرفة الأدلة التفصيلية واستنباطاتها إلا لضرورة ملحة ، أما الذي لا يستطيع معرفة ذلك في جميع أموره ـ كالكثير من العوام ـ فالتقليد له مباح مأذون فيه .

ومع أن الشيخ ـ وأتباعه من بعده ـ على مذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفروع فإنهم يصرحون أن أصول الدين لا اجتهاد فيها ، أما الفروع فيجتهد فيها دون التقيد بمذهب لا يخرج عنه ، فكلمة الحق تقبل من أي إمام ويترك ما عداه حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يفارقه الحق ، فالشيخ وأتباعه لا يتعصبون للمذهب الحنبلي ، ولا يقدمونه على نص قاطع ، والشيخ كثيرًا ما ينقل أقوال الأئمة الأربعة في بعض المسائل ، ثم يقرر الرأي الراجح فيها عنده ، ولهذا كتب الشيخ في رسالته إلى السويدي : « ولست أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم ، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له ، وأدعو إلى سنة رسول الله التي أوصى بها أول أمته وآخرهم » .

ومع إعجاب الشيخ وتأثره بأراء شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأخذه بالكثير من أرائهما إلا أنه لم يكن ذلك عن تقليد وتعصب لهما ، كما يزعم البعض ـ وإنما لما رآه من موافقتهما للحق فيما تابعهما فيه .

والشيخ وأتباعه لا ينكرون على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط المذاهب الأخرى ، ولم يزعم الشيخ أنه بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق ، ولكنه يجتهد في بعض المسائل دون البعض الآخر ، إذ لا مناقضة بين ذلك وبين عدم الاجتهاد المطلق ، فالاجتهاد يتجزأ ، وللشيخ اجتهاداته الفقهية ولكنها قليلة جدًا ربما لانشغاله بدعوة التوحيد ، ولأن بيئة نجد لم تكن في زمانه بحاجة ماسة إلى الاجتهاد في الفقه ، فلما وجدت الحاجة أحيانًا إلى الخوض في الاجتهاد اجتهد فيها ، وللشيخ رسالة خاصة في موضوع (الاجتهاد والخلاف) .

ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في رسالة له : « وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه (يعني ابن تيمية) إماما حق من أهل السنة ، وكتبهم عندنا من أعز الكتب ، إلا أننا غير مقلدين لهم في كل مسألة ، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمد ﷺ ، ومعلوم مخالفتنا لهم في عدة مسائل منها : طلاق الثلاث بلفظ واحد في مجلس ، فإنا نقول به تبعًا للأئمة الأربعة » .

ويذكر لبعض علماء الدعوة أنهم خالفوا المذهب الحنبلي لاجتهاد رأوه ، كإرث الجد والإخوة فقدموا الجد بالإرث وإن خالف ذلك مذهب الحنابلة .

وهذا كله يدل على سعة نظرة دعوة الشيخ وأتباعه للاجتهاد في الدين ونبذ التقليد ، ولذلك يقرر كثير من الباحثين أن من أبرز معطيات دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب العودة بعلماء المسلمين إلى الاجتهاد في الفروع بعد أن كان ذلك معدومًا أو شبه معدوم .

٨- منع البدع في العبادات :

وجد الشيخ العوام والجهال قد تمسكوا ببدع كثيرة في العبادات والفروع حتى عدوها كالسنن الرواتب التي لا تترك ، ووجدوا من المتنسبين للعلم من

يروج لها ، وألفوا سكوت العلماء المعتبرين عندهم عنها ، فقام الشيخ رحمه الله بمحاربة تلك البدع وبيان مخالفتها للشرع الحنيف ، وأنه لا يجوز التقرب بها لله تعالى ، كالاحتفال بالمولد ، والذكر قبل الأذان ، والصلاة جهرًا على الرسول ﷺ مع الأذان ، والتلفظ بالنية ، وبدعة المحمل في الحج ، بالإضافة إلى بدع الطرق الصوفية الكثيرة .

وقد أخذ الحديث عن البدع المحدثة في الدين حيزًا كبيرًا من مؤلفات ورسائل الشيخ وأتباعه من علماء الدعوة ، وبينوا كونها مذمومة على كل حال وإن اختلف الحكم عليها باختلاف نوعها والقصد الذي أراده فاعلها ، لذا فمنها ما هو محرم ، ومنها ما يصل إلى حد الكفر والعياذ بالله .

ومن البدع التي ركز عليها علماء الدعوة وكانت تتكرر في أيامهم بتكرر مناسبتها :

بدعة الاحتفال بالمولد النبوي :

فعلماء الدعوة وعلى رأسهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب يرون أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة محدثة في الدين ؛ لأنها لم ترد عن سلف هذه الأمة وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم ، ولا شك أنهم أكثر حبًا لرسول الله ﷺ منا ، فلو كان في الاحتفال بمولده خيرٌ لفعلوه ، هذا إضافة إلى ما يشمله الاحتفال من المنكرات في الدين بعيدة عن مبادئ الإسلام وتعاليمه ، ولم يكن علماء الدعوة أول من قام بإنكار هذه البدعة ، فقد أنكرها قبلهم شيخ الإسلام ابن تيمية ، الذي رأى فيها تشبهًا بالنصارى ، الذين يجعلون يوم مولد المسيح عيدًا لهم ، وفوق ذلك فهو عمل لم يفعله سلف هذه الأمة ، ولو كان خيرًا لفعلوه .

بدعة المحمل :

كان الأتراك العثمانيون قد تعودوا أن يرسلوا إلى مكة عن طريق ولاتهم كل سنة محملًا يحمل الكسوة للكعبة المشرفة ، والمحمل : جمل منصب عليه هودج ، ويزين بأنواع الزينة ، يجعلونه في مقدمة ركب قافلة الحج ، ويأتي في موكب من الطبول والزمور ، فصار كسنة متبعة أو فريضة شرعية ، حتى توهم العوام أنه جزء من فريضة الحج كل عام ، وبالغوا في تعظيمه حتى كانوا يتمسحون ويقبلونه ويتبركون بلمسه ، وقد عده علماء الدعوة من البدع المستحدثة في الدين ، ومنعوا مجيئه عندما امتد نفوذهم إلى أرض الحجاز .

بدع الصوفية :

يرى الشيخ أن للصوفية كثيرًا من البدع والطرائق المخالفة لهدي الرسول ﷺ في عباداتهم وأذكارهم .

وقد بدأ الشيخ إنكاره لبدع الصوفية مبكرًا ، فحينما كان في البصرة في طلب العلم هاجم رجال الطرق الصوفية ومشايخ الشيعة فيها ، وأنكر عليهم ، فتعرض لأذاهم ، واضطر للخروج من البصرة بسبب ذلك .

وفي نجد كان بعض علمائها فيهم من بدع الصوفية ما جعل الشيخ ينكر عليهم ، فتعرض لهجومهم وعداوتهم ، خاصة تعظيمهم الصالحين والغلو في كراماتهم ، فقد كان من دأب الصوفية ادعاء الولاية ، وادعاء الكرامات ، والغلو في محبة وتعظيم هؤلاء الأولياء .

وليس معنى ذلك أن الشيخ ينكر كرامات الأولياء والصالحين ، ولكنه يشترط فيها ألا تخرج عن دائرة التوحيد ، ولا يترتب عليها الغلو في الأولياء والصالحين ، وقد ذكرنا طرفًا من ذلك في عقيدته التي كتبها بنفسه .

ورغم وضوح كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثم أتباعه من بعده حول الإقرار بكرامات الأولياء والصالحين ومحبتهم وموالاتهم لصلاحهم فقد اتهم خصوم الدعوة الوهابية الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه أنهم ينكرون كرامات الأولياء ، بل تمادى بعضهم فزعم أن الشيخ يكفر من اعتقد كرامات الأولياء ، وهذا اتهام باطل ، فالشيخ رحمه الله وأتباعه من بعده على ما عليه أهل السنة والجماعة من إثبات كرامات الأولياء ، وكتبهم ومؤلفاتهم واضحة في ذلك ، ولكنهم يرفضون صرف العبادات للصالحين لما فيه من الشرك .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب : « وأقر بكرامات الأولياء ، وما لهم من المكاشفات ، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئًا ، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله »[1] ، ويقول : « ... الواجب عليهم حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال ، ودين الله وسط بين طرفين ، وهدى بين ضلالتين ، وحق بين باطلين »[2] ، ويقول رحمه الله أيضًا : « مما ذكره المشركون عليَّ أني أتكلم في الصالحين أو أنهى عن محبتهم فكل هذا كذب وبهتان افتراه عليَّ الشياطين »[3] .

ويقول الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مبينًا حقوق الأولياء : « ولا ننكر كرامات الأولياء ، ونعترف لهم بالحق ، وأنهم على هدى من ربهم مهما ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية ، إلا أنهم لا يستحقون شيئًا من أنواع العبادات ، لا حال الحياة ، ولا بعد الممات ، بل يطلب من أحدهم

(١) راجع (مجموعة مؤلفات الشيخ) : ج ٥/ ١٠-١١ .

(٢) راجع المصدر السابق : ج ١/ ١٦٩ .

(٣) راجع في ذلك (مجموعة مؤلفات الشيخ) : ج ٥/ ٥٢ إذ قوله هذا مختصر من كلامه .

الدعاء في حال حياته ، بل ومن كل مسلم »[1] .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن في جواب له عن كرامات الأولياء : « كرامات الأولياء حق عند أهل السنة والجماعة ، والولي أعطى الكرامة ببركة اتباعه للنبي ﷺ فلا تظهر حقيقة الكرامة عليه إلا إذا كان داعيًا لاتباع النبي ﷺ ، بريئًا من كل بدعة وانحراف عن شريعته ﷺ ، فببركة اتباعه يؤيده الله تعالى بملائكته وبروح منه ... »[2] .

٩- التطبيق العملي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

تميزت دعوة الشيخ رحمه الله بالحزم في تطبيق أوامر الدين واجتناب نواهيه ، إذ كان يرى الشيخ رحمه الله وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر الاستطاعة ، ولم يجعل هناك فجوة بين المجال النظري للدعوة وبين التطبيق العملي لها .

وهذا التطبيق العملي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نظام إسلامي معروف في كتب الفقه وعند الفقهاء باسم (نظام الحسبة) ، ويسمى صاحبه المحتسب ، وعمله تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويكون مع المحتسب أعوان يراقبون أمور العباد من التجار وأرباب الحرف في الأسواق وغير ذلك .

ولهذا لم تخلُ مؤلفات الشيخ وعلماء الدعوة من بعده من بيان آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطه ومراتبه ونحو ذلك .

لقد كان للدعوة الوهابية فضلها في إحياء نظام الاحتساب والاهتمام به ، وما زالت إلى اليوم تشهد نجد وما حولها تطبيق نظام الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) انظر دعاوى المناوئين ، (ص : ١٣٩) نقلًا عن الشيخ عبد الله في « الدرر السنية » جـ ١٢٨/١ .

(٢) انظر دعاوى المناوئين ، (ص : ١٤٠) نقلًا عن الشيخ عبد الرحمن بتصرف .

المنكر وفق توجيهات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة من بعده .

بل توجد في عصرنا الحاضر إدارة مستقلة في المملكة العربية السعودية باسم (الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) لها نظام خاص وميزانية مالية خاصة بها تتولى القيام بمسؤلية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتوجيه من مشايخ الدعوة هناك .

١٠- القتال دفاعًا عن الدعوة ولنشرها وتكفير من أقيمت عليه الحجة :

حرص الشيخ محمد بن عبد الوهاب على نشر دعوته السلفية ، وقد وجد في تأييد الأمير محمد بن سعود له كل الحماية ، وقد سلك الشيخ في سبيل نشر دعوته الطرق العديدة واستخدم الوسائل المختلفة ، وخلال سنتين من قدومه إلى الدرعية واصل جهاده السلمي لنشر الدعوة وتطبيقها ، فسلك أسلوب التدريس لمبادئ الدعوة ، وسلك أسلوب الخطابة والوعظ ، كما سلك أسلوب إرسال الرسائل إلى أهل البلدان المختلفة ، كما سلك أسلوب المناظرات العلمية لمن أراد مناظرته من علماء تلك البلدان ، كما سلك كذلك أسلوب تأليف الكتب التي تبين حقيقة دعوته ومطابقتها للكتاب والسنة وفهم سلف الأمة .

ولكن أعداء الدعوة على اختلافهم أخذوا يشنعون على الدعوة ، ويوجهون لها التهم الباطلة ويحرضون الناس عليها ، ويزعمون أن الشيخ جاء بخلاف ما عليه علماء الأمة وأئمتها ، وأنهم خوارج ، وأنهم يكفرون من يخالفهم في معتقداتهم ، ووصل الأمر إلى حد الاعتداء على أتباع الدعوة ومؤيديها .

ولما لم تفد كل الوسائل والطرق السليمة في حماية الدعوة وأنصارها والراغبين في الانضواء تحت لوائها ، ولإيجاد المناخ المناسب لانتشار هذه الدعوة ،

ولإقامة دولة تقوم على التوحيد الخالص ، وتحمي أصحاب هذا التوحيد من مخالفيهم ، سلك الشيخ مع الأمير محمد بن سعود أسلوب القتال لمخالفيهم ، حماية للدعوة ، وأيضًا لفتح الطريق لنشرها .

ولقد شنع الكثيرون على الدعوة قتالها للمسلمين ، وزعموا أن مبادئها تقوم على تكفير المسلمين الذين لا يوافقون على الإيمان بمبادئ الدعوة ، وذلك لأنهم لم يستقوا مبادئ الدعوة من ينابيعها الأصلية ، وإنما استقوها من مؤلفات ورسائل المخالفين للدعوة والمعادين لها ، والذين سعوا إلى تشويهها أمام الناس ، ونشر الافتراءات الكاذبة حولها [1] .

وهناك نصوص في رسائل الشيخ ومؤلفاته تبين موقف الدعوة من هذه المسألة ، وكذلك مؤلفات ورسائل علماء الدعوة من بعده ، وفيها الرد على هذه الافتراءات .

فالشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول في بعض رسائله : « وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبه ، ونهى الناس عنه ، وعادى من فعله ، فهذا الذي أكفره ، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك » ، ويقول : « وأما القتال فلم نقاتل أحدًا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة ، وهم الذين أتونا في ديارنا

(١) وبلغ أمر التشويه للدعوة أن بعضًا ممن أيد الدعوة وأقر بصحتها تأثر بتلك الأكاذيب ، ووقف بين تصديقها أو ردها ، فهذا الإمام الشوكاني ـ وهو يرى صحة ما دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ يقول عن الوهابيين : « ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلًا تحت دولة صاحب نجد وممتثلًا لأوامره خارج عن الإسلام » ، ويقول : « وبعض الناس يزعم أنه يعتقد اعتقاد الخوارج وما أظن ذلك صحيحًا » ، ويقول : « وتبلغنا عنه أخبار الله أعلم بصحتها » . انظر دعاوى المناوئين : ص : (١٥٩) ، ص (١٨٣) ، وراجع (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) للشوكاني ج ٢/ ٥-٦ ، وقد كتب الشوكاني ذلك أيام الحروب بين عبد العزيز بن سعود والشريف غالب .

ولا أبقوا ممكنًا ، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] ، وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه » .

ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مبينًا مبدأ دعوة الشيخ في ذلك : « ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا للحق ، ووضحت له المحجة ، وقامت عليه الحجة ، وأصر مستكبرًا معاندًا كغالب من نقاتلهم اليوم ، يصرون على ذلك الإشراك ، وغير الغالب نقاتله لمناصرته لمن هذه حاله ورضاه عنه » .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في إحدى رسائله : « وما ذكره الأعداء عني أني أكفر بالظن ، وبالموالاة ، أو أكفر الجاهل الذي لم نقم عليه الحجة ، فهذا بهتان عظيم ، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله » (١) .

ويقول في رسالة أخرى : « والله يعلم أن الرجل افترى عليَّ أمورًا لم أقلها ، ولم يأت أكثرها على بالي ، فمنها قوله : أني أقول أن الناس من ستمائة ليسوا على شيء ، وأني أكفر من توسل بالصالحين ، وأني أكفر البوصيري ، وأني أكفر من حلف بغير الله ... جوابي عن هذه المسائل أني أقول : سبحانك هذا بهتان عظيم » (٢) ، والرجل المراد في رد الشيخ هو ابن سحيم أحد خصوم الدعوة الشديدين .

ويقول في موضع آخر : « وكذلك تمويهه على الطغام بأن ابن عبد الوهاب يقول : الذي ما يدخل تحت طاعتي كافر ، ونقول : سبحانك هذا بهتان عظيم ، بل نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله ، فهو المسلم في أي زمان وأي مكان ، وإنما نكفر من أشرك بالله في إلهيته

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ١٧٠) نقلًا عن « مجموعة مؤلفات الشيخ » جـ ٥/ ١٨٩ .
(٢) دعاوى المناوئين ، (ص : ١٧٠) نقلًا عن « مجموعة مؤلفات الشيخ » جـ ٥/ ١١-١٢ .

بعد ما تبين له الحجة على بطلان الشرك »[(١)] .

ويقول رحمه الله : « وأما الكذب والبهتان ، فمثل قولهم : أنا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه ، وأنا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل ، ومثل هذا ، وأضعاف أضعافه ، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله ... »[(٢)] .

ويقول رحمه الله : « وأما القول بأنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين ، ونقول : سبحانك هذا بهتان عظيم »[(٣)] .

ويقول رحمه الله : « وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله ، منها : إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه ، فضلًا عن أن يفتريه ، ومنها ما ذكرتم : أني أكفر جميع الناس إلا من تبعني ، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة ، ويا عجبًا كيف يدخل هذا في عقل عاقل ، هل يقول هذا مسلم ... »[(٤)] ، ويقول الشيخ في عقيدته التي ذكرها لأهل القصيم وقد مر ذكرها يقول : « ولا أكفر أحدًا من المسلمين بذنب ، ولا أخرجه عن دائرة الإسلام » .

ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب :

« إن صاحب البردة وغيره ممن يوجد الشرك في كلامه ، والغلو في الدين ، وماتوا ، لا يحكم بكفرهم ، وإنما الواجب إنكار هذا الكلام ، وبيان من اعتقد هذا على الظاهر فهو مشرك كافر ، وأما القائل فيرد أمره إلى الله ﷻ ، ولا ينبغي التعرض

---

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ١٧٠) نقلًا عن « مجموعة مؤلفات الشيخ » جـ ٥/ ٦٠ .

(٢) دعاوى المناوئين ، (ص : ١٧١) نقلًا عن « مجموعة مؤلفات الشيخ » جـ ٣/ ١١ .

(٣) دعاوى المناوئين ، (ص : ١٧١) نقلًا عن « مجموعة مؤلفات الشيخ » جـ ٥/ ١٠٠ .

(٤) دعاوى المناوئين ، (ص : ١٧١) نقلًا عن « مجموعة مؤلفات الشيخ » جـ ٥/ ٣٦ .

للأموات لأنه لا يعلم هل تاب أم لا ... »[١] .

وصاحب البردة المراد هو البوصيري .

ويقول الشيخ عبد العزيز بن حمد سبط الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جواب له :

« الذي نعتقده وندين الله به أن من دان بالإسلام ، وأطاع ربه فيما أمر ، وانتهى عما عنه نهى وزجر ، فهو المسلم حرام المال والدم كما يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، ولم نكفر أحدًا دان بالإسلام لكونه لم يدخل في دائرتنا ، ولم يتسم بسمة دولتنا ، أو نوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه ببلده فقد كذب وافترى »[٢] .

ويقول الشيخ عبد اللطيف عن جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب : « والشيخ محمد رحمه الله من أعظم الناس توقفًا وإحجامًا عن إطلاق الكفر ، حتى أنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور ، أو غيرهم ، إذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر مرتكبها »[٣] .

ويقول في موضع آخر : « كل عاقل يعرف سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يعلم أنه من أعظم الناس إجلالًا للعلم والعلماء ، ومن أشد الناس نهيًا عن تكفيرهم وتنقصهم وأذيتهم ، بل هو ممن يدينون بتوقيرهم ، وإكرامهم ، والذب عنهم ، والأمر بسلوك سبيلهم ، والشيخ رحمه الله لم يكفر إلا من كفره الله ورسوله

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ١٧٢) نقلًا عن « مجموعة الرسائل والمسائل » جـ ١/ ٤٧ .

(٢) دعاوى المناوئين ، (ص : ١٧٣) نقلًا عن « مجموعة الرسائل والمسائل » جـ ٤/ ٥٧٤ .

(٣) دعاوى المناوئين ، (ص : ١٧٣-١٧٤) نقلًا عن « منهاج التأسيس » ، (ص : ٦٥-٦٦) .

وأجمعت الأمة على كفره ، كمن اتخذ الآلهة والأنداد لرب العالمين »[(١)] .

ويقول الشيخ سليمان بن سحمان من علماء الدعوة الوهابية مبينًا حال الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

« فإنه رحمه الله كان على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها .. فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله ، وأجمع على تكفيره الأمة ، ويوالي كافة أهل الإسلام وعلمائهم .. ويؤمن بما نطق به الكتاب ، وصحت به الأخبار ، وجاء الوعيد عليه من تحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، ولا يبيح من ذلك إلا ما أباحه الشرع ، وأهدره الرسول ، ومن نسب إليه خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة من سلف الأمة وأئمتها فقد كذب وافترى ، وقال ما ليس له به علم ... »[(٢)] .

وبالإضافة إلى تلك المسائل التي خالف فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب أهل نجد فإنه أيضًا قام بمقاومة الكبائر الظاهرة وحاربها ، حيث إن الناس في زمانه تكاسلوا في أداء الكثير من فرائض الدين وواجباته ، فقام أيضًا يدعوهم إليها ، كمنع الزكاة ، وترك الصلوات ، وله كتاب أسماه (كتاب الكبائر) ، وكتاب (نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين) .

يقول حفيد الشيخ الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن : « ثم إن شيخنا[(٣)] رحمه الله كان يدعو الناس إلى الصلوات الخمس ، والمحافظة عليها حيث ينادي بهن ، وهذا من سنن الهدي ومعالم الدين ، كما دل على ذلك الكتاب

---

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ١٧٤) نقلًا عن « مجموعة الرسائل » جـ٣/ ٤٤٩ .

(٢) دعاوى المناوئين ، (ص : ١٧٥-١٧٦) نقلًا عن « الأسنة الحداد في الرد على علوى حداد » ، (ص : ٥٦-٥٧) .

(٣) يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

والسنة ، ويأمر بالزكاة والصيام والحج ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويتركه ، ويأمر الناس بتركه والنهي عنه ، وقد تتبع العلماء مصنفاته ﷺ من أهل زمانه وغيرهم فأعجزهم أن يجدوا فيها ما يعاب ، وأقواله في أصول الدين مما أجمع عليه أهل السنة ، وأما في الفروع والأحكام فهو حنبلي المذهب ، ولا يوجد له قول مخالف لما ذهب إليه الأئمة الأربعة »[1] .

كما نبه الشيخ على قضية الولاء والبراء وأنها من التوحيد ، فلا يصير المرء على التوحيد إلا بالبراءة من الكفر وأهله . وضمن ذلك في أهم كتبه ، كتاب التوحيد ، وفي غيره من مؤلفاته . ففي قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، يقول الشيخ في مسائله « السادسة : وهي من أهمها إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك » . أي مثل شركهم فإن من رضي بالشرك فهو مشرك وإن لم يفعله بنفسه . ففيه أصل البراءة من الشرك وأهله وعدم انتمائه لهم ووقوفه تحت رايتهم وانتمائه لأحزابهم . كما أورد الشيخ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٦-٢٨] ، في (باب : تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله) فقال في مسائله : « وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال : وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون » .

---

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣) نقلًا عن « مجموعة الرسائل والمسائل النجدية » ، جـ ٣/ ٣٦٧ .

من النتائج الإيجابية لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

نجحت جهود الشيخ محمد بن عبد الوهاب نجاحًا كبيرًا ، وتحقق للشيخ ما كان يتمناه ، فلم يمت إلا وقد شاهد بعينيه ثمار دعوته المباركة ، وتحولت نجد من حال إلى حال ، وتوحدت في ظل دولة جديدة قوية متماسكة ، تتمسك بعقيدة التوحيد ، وتسعى إلى تطبيقه ، وتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية .

ولأن الشجرة تعرف بثمارها ، فنذكر أهم أثار دعوة الشيخ على بلده نجد التي بدأت فيها الدعوة وانتشرت فيها قبل وفاته رحمه الله :

١- قضت هذه الدعوة المباركة قضاءًا تامًا على ما كان شائعًا في نجد من الخرافات ، وما كان شائعًا من تعظيم القبور ، والنذر لها ، والاعتقاد في بعض الأشجار ، وأحيت معالم الشريعة بعد اندثارها [١] .

٢- إن أهل نجد قد رجعوا إلى التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية ، كما رجعوا إلى الكتاب والسنة المطهرة ، وحكموها في جليل الأمور وحقيرها [٢] .

٣- كانوا متفرقين لا تجمعهم رابطة ولا يجمعهم حكم شرعي ولا قانوني ، بل كانوا مختلفين ومتفرقين في المشارب والنزعات ، فوحدت هذه الدعوة كلمتهم ، وجمعت شملهم وجعلتهم تحت راية واحدة ، وأخضعتهم لسلطان واحد يسوسهم بكتاب الله المجيد وسنة رسوله ﷺ [٣] .

---

(١) ، (٢) : انظر « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٧٥) .

(٣) المصدر السابق .

٤- كانوا في نهاية من الجهل والغباوة أن اعتقدوا في الأشجار والغيران ، فنشرت الدعوة فيهم علوم الشريعة المطهرة وآلاتها من التفسير والتوحيد والفقه والسير والتواريخ والنحو ، وما إلى ذلك من العلوم ، وأصبحت الدرعية كعبة العلوم والمعارف ، يفد إليها طلاب العلوم من سائر النواحي من أرجاء نجد واليمن والحجاز والخليج العربي ، وانتشر العلم في جميع الطبقات ، حتى قال المؤرخون : أصبح الراعي يرعى المواشي في الفيافي ولوح التعليم في عنقه [(١)] ، حتى من قوة انتشار العلم وسريانه ظهر العلماء الراسخون ، وألفوا الكتب القيمة في مختلف العلوم ، بعد ذلك الجهل العظيم الذي خيم على أرجاء نجد وتركها تتخبط في دياجير الظلمات والأوهام [(٢)] .

٥- انتشر الأمن في جميع أرجاء نجد حتى كان الماشي والراكب يمشي المسافات الطويلة ذات الليالي والأيام لا يخاف إلا الله تعالى [(٣)] .

٦- لم تكن نجد معروفة لدى الأمم ، وكانت حقيرة وليس لها حساب ولا ميزان ولا قيمة ، ولم يكن لها ملك ، ولا حاكم معروف ، ما عدا بعض الأمراء الصغار الذين كانوا يحكمون قرية أو قريتين ، فأصبحت نجد ببركة هذه الدعوة دولة موحدة ، طار صيتها في الآفاق [(٤)] .

٧- إنه بقي من آثارها اليوم الدولة السعودية الحالية الممتد سلطانها من الخليج العربي شرقًا إلى البحر الأحمر غربًا ، تتمسك بالعقيدة التي كان عليها

---

(١) وكان بعضهم من شغفه وحبه للعلم يعمل بالليل بالأجرة وفي النهار يحضر الدرس ، « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٢٥) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ٧٥) .

(٣) ، (٤) : انظر المصدر السابق ، (ص : ٧٥-٧٦) .

الشيخ ، ويدعو لها ، وتتمتع بالعدل والأمن في ظل إقامة الحدود الشرعية ، وتنفذ أحكامها ، وتزخر بالعلماء البارزين في مجال الدعوة ونشر العلم النافع [١] .

٨- أن آثارها اليوم ممتدة إلى خارج الجزيرة العربية ، ولها أتباعها على العقيدة السلفية في مشارق الأرض ومغاربها ، فهي منتشرة في شتى بقاع الأرض ، في العراق والشام ومصر والجزائر والهند وباكستان والسودان وغيرها .

---

(١) انظر المصدر السابق ، (ص : ٧٥-٧٦) .

الجانب السياسي
في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

لم تقتصر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جانبها العملي على الإصلاح الديني فقط ، ولكنها اتخذت الجانب السياسي لتحقيق هدفها ، وهو العودة بالمسلمين إلى ما كان عليه المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، الذين قادوا العالم وسادوه ، ولقد كان لبُعد نجد عن النفوذ الفعلي للدولة العثمانية وعدم اهتمام الدولة العثمانية بما يجري في نجد أثره في دخول الشيخ في العمل السياسي بعد أن وجد من حاكم الدرعية محمد بن سعود القبول لمبادئ دعوته والوعد بحمايتها ونشرها ، فاجتمع للدعوة الوجهة الدينية والوجهة السياسية ، ولا ينافي ذلك طبيعة الإسلام ، إذ الإسلام دين ودولة ، فلا غرابة أن تجمع دعوة الشيخ بين الأمور الدينية والسياسة معًا ، وهذا أحد أسباب نجاح الدعوة في إبعاد أهل نجد وما حولها عن شوائب الشرك والبدع والخرافات التي شوهت معالم الدين ، وأقامت الدعوة في حياة الشيخ دولة قوية في نجد لها هيبتها وعقيدتها السلفية ، وقد رأى الشيخ قبل وفاته نتائج جهود الإصلاحية الدينية والسياسة في قومه ، وآثر في أواخر سنين حياته أن يعتزل الحياة السياسية ، ويتفرغ للتدريس والتعليم ، وترك لحكام آل سعود الذين ناصروه وآمنوا بدعوته وتفهموها وصاروا دعاة لها القيام بأعباء الدعوة السياسية ، وكانوا مع ذلك يستشيرونه في كثير من شئونهم لما عنده من العلم الشرعي والحنكة .

لقد كان الاهتمام الأكبر للشيخ هو الإصلاح الديني لأن الانحراف الديني في العالم الإسلامي يفوق تدهوره السياسي ، فكانت الأولوية لإصلاح العقيدة في النفوس ، ليكون هذا الإصلاح أساس كل إصلاح يأتي بعده ، وهذا بُعْدُ نظر من

الشيخ رحمه الله جعل لهذه الدعوة الاستمرارية من بعده من خلال علماء الدعوة ودعاتها الذين تشربوا مبادأها وأفكارها ، فلم تتوقف جهودهم عبر أجيال عديدة تلت جيل الشيخ ، ولم تسقط الدعوة كدعوة إصلاحية دينية من بعد وفاة الشيخ رغم سقوط دولة آل سعود الأولى على يد جيوش محمد علي باشا والي مصر ، وعادت لها الواجهة السياسية التي فقدتها من جديد في صورة دولة آل سعود الثانية ، ثم الثالثة الحالية .

[ونعود فنقول : إن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد تركت بجانب ذلك كله أثرًا سياسيًا آخر ، فقد اشتملت مبادؤها كثيرًا من الأراء السياسية سواء في مؤلفات الشيخ أو أتباعه من علماء الدعوة ، وعلى الرغم من أن هذه الأراء متأثرة إلى حد كبير بكتاب (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) لشيخ الإسلام ابن تيمية إلا أنها تعكس بحق الواجهة السياسية للدعوة ، كما أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد ترك في التاريخ السياسي أثرًا كبيرًا يفوق ما كان يتمناه ابن تيمية لنفسه ، وإن كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ من الناحية العلمية البحتة ـ يأتي متأخرًا عن مرتبة شيخ الإسلام ابن تيمية بكثير .

ولعل أهم مرجع للآراء السياسية للدعوة هو كتاب ألفه الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ حفيد الشيخ ـ واسمه (توضيح الخلاف في الرد على أهل العراق) (١)] (٢) .

ولا بد أن ننبه هنا ـ وكما سنبين بعد قليل أيضًا ـ أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

---

(١) انظر د . صلاح العقاد « دعوة حركات الإصلاح السلفي » المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد السابع (١٩٨٥م) (ص : ٩٠-٩٥) ، وقد طبع كتاب (توضيح الخلاف في الرد على أهل العراق) طبعة أولى سنة ١٣١٩هـ .

(٢) « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٤١) .

لم يكن خارجًا على الدولة العثمانية ، بقدر ما كان الشيخ وآل سعود يسعون إلى إصلاح المجتمع الإسلامي في بلادهم في ظل دولة الخلافة .

وكما سنذكر فالشيخ لم يتعرض في أي من مؤلفاته لسلاطين آل عثمان ، وحكام آل سعود في وقته لم يكن منهم خلع طاعة الخليفة العثماني ، وإنما أبطلوا من البدع والشركيات ما أبطلوه وأقاموا لهم في نجد دولة على التوحيد ثم ضموا إليها الحجاز والحرمين الشريفين ، بما يؤثر على هيبة ومقام الدولة العثمانية أمام الشعوب الإسلامية ، لما للحجاز من مكانة في نفوس المسلمين .

ولا شك أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد شوهت ـ كما سيأتي ـ أمام سلاطين الدولة العثمانية فتصوروها على غير حقيقتها فحملوا لها العداء ، وربما لو وقع خلاف ذلك بأن تفهمت الدولة العثمانية حقيقة الدعوة ، وتعاونت معها ، لكان في ذلك الخير الكثير ، بإصلاح المجتمعات الإسلامية مما تردت فيه ، وربما كان ذلك فيه شفاء للرجل المريض ، الذي كان يطلق لقبًا على الدولة العثمانية وقتها [(١)] ، ولكن قدر الله وما شاء فعل ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

يقول طه حسين في هذا الصدد : « ... ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب وحاربوه في داره بقوى وأسلحة لا عهد لأهل البادية بها لكان من المرجو أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري كما وحد ظهور الإسلام كلمتهم في القرن الأول » [(٢)] .

---

(١) راجع « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٤٠) .

(٢) « دعوة الشيخ » ، (ص : ١٠٤) نقلًا عن د . طه حسين في « الحياة الأدبية في جزيرة العرب » ، (ص : ١٣-١٤) .

حالة الحجاز في العهد العثماني :

كانت الحجاز تحت نفوذ المماليك ، وبعد انتصار الأتراك العثمانيين على المماليك في موقعة (مرج دابق) شمالي مدينة حلب بسوريا سنة ٩٢٢هـ (الموافق ١٥١٦م) ، استولى السلطان العثماني سليم الأول [١] على الشام ومصر سنة ٩٢٣هـ ، وبتزعم العثمانيين للعالم الإسلامي سارع شريف مكة (بركات) [٢] ببعث ابنه حاملًا مفاتيح الكعبة للسلطان سليم الأول ، والذي تَسَمَّى باسم (خادم الحرمين الشريفين) .

وعلى ذلك تولى السلاطين العثمانيون الزعامة الدينية للعالم الإسلامي ، وصار لهم تقليد كسوة الكعبة سنويًا ، وإرسال المحمل السنوي ؛ وقد أبقى العثمانيون على حكم الأشراف للحجاز ، فكانت إمارة مكة ـ وتتبعها المدينة المنورة ـ من شريف إلى آخر تحت حماية الدولة العثمانية ، وقد اتخذ العثمانيون من (جدة) قاعدة عسكرية لهم ، وتولوا الدفاع عن الحجاز ، وترويج التجارة عبر ميناء جدة على البحر الأحمر ، وقد انتاب الحجاز ما انتاب العالم الإسلامي في ظل ضعف الحكم العثماني مع دخول القرن الثاني عشر الهجري .

هذا من الناحية السياسية ، أما من الناحية الدينية فقد انتاب الحجاز ما انتاب حواضر العالم الإسلامي من الانحراف العقائدي وانتشار البدع والخرافات .

---

(١) حكم السلطان سليم الأول من عام ٩١٨هـ إلى ٩٢٦هـ (الموافق ١٥١٢م-١٥٢٠م) .

(٢) تولى الشريف زين الدين بركات الإمارة من ١٤٩٧م إلى عام ١٥٢٥م .

حركات انفصالية عن الدولة العثمانية

لم تكن دولة آل سعود الأولى أول حركة ذات نفوذ بعيد عن الدولة العثمانية ، فقد شجع ضعف الدولة العثمانية العديد من الحركات السياسية للظهور ، ولكن دولة آل سعود لم تكن ذات طابع سياسي فقط ، ولكنها جمعت بين الطابع الديني والطابع السياسي .

فمن الحركات الانفصالية التي عاصرت ظهور وتكوين دولة آل سعود الأولى :

□ حركة الشيخ ظاهر العمر الزيداني في أواسط القرن الثاني عشر الهجري ، وكان جده نزح من المدينة المنورة إلى صفد ، وتولى أبوه إمارتها ، ثم خلفه ابنه ، ووصل نفوذه إلى دمشق وسواحل الشام ، وبسط سلطانه على (عكا) ، فحصنها وبنى لها سورًا ، واتخذها مقرًا لإمارته ، وذلك عام ١١٨٢هـ (الموافق ١٧٦٨م) ، ولكن الحكومة التركية استطاعت عن طريق حاكم جبل لبنان ووالي دمشق من هزيمة ظاهر العمر ، حيث ألقي القبض عليه ، وقتل سنة ١١٨٩هـ (الموافق ١٧٧٥م) [١] .

□ وفي مصر انتهز علي بك الكبير أحد أمراء المماليك في مصر انشغال الدولة العثمانية بحربها مع روسيا فأعلن استقلاله بمصر عام ١١٨٣هـ (الموافق ١٧٦٩م) ، ولكن السلطان العثماني استطاع استعادة مصر من جديد ، وفر علي بك الكبير إلى الشام [٢] .

---

(١) راجع « صور من التاريخ » ، (ص : ٢٩-٣٠) .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ٣٠) .

□ ولا يخفى أن محمد علي باشا يعد أيضًا صاحب حركة استقلالية استطاع أن يقيم لنفسه دولة مستقلة ولأولاده من بعده ، وذلك في القرن الثالث عشر الهجري .

□ وقد رأى البعض أن قتال آل سعود للمعاندين وإقامة دولة لهم في نجد هو بمثابة حركة انفصالية جديدة ، والحقيقة أن هذه الدعوى مبنية على عدم إدراك حقيقة موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الخلافة ، وعدم التنبه إلى عدم إدراك حكام الدولة العثمانية لحقيقة الدعوة الوهابية في ظل الافتراءات والأكاذيب التي نشرت ونسجت حولها ، فالحركة الوهابية ليست حركة انفصالية ولا تعمل لمصالح واعتبارات شخصية أو فردية ، ونجيب على تلك الشبهة من وجوه نذكرها باختصار :

أولًا : أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قرر بوضوح في عقيدته السلفية أنه يرى وجوب الطاعة لإمام المسلمين ، وعدم الخروج علي الأئمة وإن جاروا ما لم يظهر منهم الكفر البواح .

فمن رسالته لأهل القصيم يقول رحمه الله : « وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، برهم وفاجرهم ، ما لم يأمروا بمعصية الله ، ومن ولي الخلافة ، واجتمع عليه الناس ، ورضوا به ، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة ، وجبت طاعته وحرم الخروج عليه »[1] .

ويقول رحمه الله في موضع آخر : « أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدًا حبشيًا ، فبَيَّنَ الله هذا بيانًا شائعًا كافيًا بوجوه من أنواع البيان

---

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣٤) نقلًا عن « مجموعة مؤلفات الشيخ » جـ ٥/ ١١ .

شرعًا وقدرًا »[1] .

ثانيًا : أن نجدًا وإن كانت تخضع في الجملة للدولة العثمانية ، لكنها سادها الصراع بين قبائلها فيما بينها دون تدخل من دولة الخلافة ، وعندما تغلب آل سعود على بلدان نجد لم تلتفت إليهم الدولة العثمانية رغم كل ما نقل لحكامها عنهم ، والتشنيع الذي شنعه أشراف الحجاز وولاة العراق والشام عليهم ، وعدوه من باب الصراع والتنافس الدائم بين حكام بلاد نجد مع بعضهم البعض ، وإنما ألتفت العثمانيون لآل سعود بعد أن بسطوا نفوذهم على الحجاز واستولوا على مكة والمدينة ، مما رآه العثمانيون أنه يذهب بهيبتهم أمام الأمة الإسلامية ، رغم أن الوهابيين وآل سعود كان همهم الأكبر إقامة التوحيد والسنة ، وإزالة الشركيات والبدع في الحجاز ، كما فعلوا في سائر بلاد نجد .

ومعلوم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب توفي قبل استيلاء آل سعود على مكة والمدينة ، ولكن الصراع بينه وبين علماء الحجاز حول قضايا التوحيد كان شديدًا ، حيث عارضوه وشنعوا عليه في بلادهم وعند الحكام العثمانيين .

يقول الدكتور صالح العبود :

« لم تشهد نجد على العموم نفوذًا للدولة العثمانية ، فما امتد إليها سلطانها ، ولا أتى إليها ولاة عثمانيون ، ولا جابت خلال ديارها حامية تركية في الزمان الذي سبق ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله »[2] .

---

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣٤) نقلًا عن « مجموعة مؤلفات الشيخ » جـ ١/ ٣٩٤ .

(٢) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣٥) نقلًا عن « عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي » للدكتور صالح العبود جـ ١/ ٢٧ .

ويقول الدكتور عبد الله العثيمين :

« ومهما يكن فإن نجدًا لم تشهد نفوذًا مباشرًا للعثمانيين عليها قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما أنها لم تشهد نفوذًا قويًا يفرض وجوده على سير الحوادث داخلها لأية جهة كانت ، فلا نفوذ بني جبر ، أو بني خالد في بعض جهاتها ، ولا نفوذ الأشراف في بعض جهاتها الأخرى أحدث نوعًا من الاستقرار السياسي ، فالحروب بين البلدان النجدية ظلت قائمة ، والصراع بين قبائلها المختلفة استمر جادًا عنيفًا » [١] .

ويقول أمين سعيد : « وكان كل شيخ أو أمير في نجد مستقلًا استقلالًا تامًا في إدارة بلاده ، وما كان يعرف الترك ولا الترك يعرفونه » [٢] .

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله :

« لم يخرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب على دولة الخلافة العثمانية ـ فيما أعلم وأعتقد ـ فلم يكن في نجد رئاسة ولا إمارة للأتراك ، بل كانت نجد إمارات صغيرة وقرى متناثرة ، وعلى كل بلدة أو قرية ـ مهما صغرت ـ أمير مستقل ... وهي إمارات بينها قتال وحروب ومشاجرات ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يخرج على دولة الخلافة وإنما خرج على أوضاع فاسدة في بلده ، فجاهد في الله حق جهاده وصابر حتى امتد نور هذه الدعوة إلى البلاد الأخرى » [٣] .

يقول الشيخ محمد نسيب الرفاعي في ذلك : « لم يكن ليخطر على بال الشيخ

---

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣٥) نقلًا عن « محمد بن عبد الوهاب : حياته وفكره » .

(٢) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣٦) نقلًا عن أمين سعيد .

(٣) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣٧) نقلًا عن ابن باز رحمه الله من محاضرة مسجلة له في جامعة الملك سعود ١٤٠٢هـ ، وتأمل قول ابن باز رحمه الله : « وإنما خرج على أوضاع فاسدة في بلده » .

محمد بن عبد الوهاب أن ينقلب على خليفة المسلمين ولا مر بخاطره ذلك ، ولكن الملتفين حول الخليفة إذ ذاك من الطرقيين المتصوفة قلبوا له الأخبار ، وشوهوها ليوغروا صدر الخليفة عليهم وحرضوه عليهم بحجة أنهم أهل حركة انقلابية على الخليفة نفسه ، تقصد إرجاع الخلافة إلى العرب .. مع أن صميم عقيدة الشيخ رحمه الله التي هي العقيدة الإسلامية الحقة أنه لا تنقض الأيدي من طاعة الخليفة القائم إلا أن يروا فيه كفرًا بواحًا صراحًا »(١) .

ثالثًا : يدل على ذلك « ما جاء في رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لفاضل آل مزيد رئيس بادية الشام حيث قال له : إن هذا الذي أنكروا عليَّ وأبغضوني من أجله إذا سألوا عنه كل عالم في الشام أو اليمن أو غيرهم يقول : هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله ، ولكن ما أقدر أن أظهره في مكاني لأجل أن الدولة ما يرضون ، وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره(٢) ، بل لما عرف الحق اتبعه »(٣) .

فيبدو من النص سلامة موقف الشيخ من دولة الخلافة ، وأنه أراد إعلاء الدين والتوحيد وإن خالف رضا حكام الدولة .

رابعًا : أن صورة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لدى الحكام العثمانيين كانت سيئة بسبب الأكاذيب والافتراءات التي نقلت إليهم عن الدعوة ومظهرها ، وما وصل إليهم ما يعرفهم بحقيقة الدعوة وأهدافها .

« لقد كانت صورة حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لدى دولة الخلافة صورة قد بلغت من التشويه والتشويش مداه ، فلم تطلع دولة الخلافة إلا على

---

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣٧) نقلًا عن محمد نسيب الرفاعي .

(٢) أي محمد بن مسعود رحمه الله .

(٣) انظر دعاوى المناوئين ، (هامش ص : ٢٣٦) .

الوجه المعادي لحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سواء عن طريق التقارير التي يرسلها ولاتها في الحجاز أو بغداد أو غيرهما ... أو عن طريق بعض الأفراد الذين يصلون إلى الأستانة يحملون الأخبار »[(١)] .

يقول المؤرخ التركي سليمان بن خليل العزي : « إن المراسلات التي وصلت إلى القسطنطينية من الشريف مسعود بن سعيد شريف مكة تبين أن ملحدًا لا دينيًا باسم محمد بن عبد الوهاب قد ظهر من الشرق ، قام بضرب وإجبار سكان تلك المنطقة لإخضاعهم لنفسه عن طريق اجتهاد زائف ... »[(٢)] .

هل خرج الوهابيون على الدولة العثمانية ؟

مما يثار على الدعوة الوهابية ما يزعمه خصومها من أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قد خرج على الدولة العثمانية ، خاصة وأن أتباع الدعوة قد دخلوا في قتال مع جيوش محمد علي باشا والي مصر المكلف من قبل السلطان العثماني بمحاربة الوهابيين في الجزيرة العربية .

ولأهمية هذه القضية فإننا نزيد الأمر وضوحًا وبيانًا فوق ما سبق بذكر أمور نرى أنها ينبغي أن تكون في الحسبان لتفهم حقيقة الأوضاع التي أدت إلى هذا الصدام بين الطرفين .

• فنقول :

١ـ إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قد نص في مواضع عديدة من كتبه ورسائله التي ألفها بنفسه في بيان عقيدته أنه على معتقد أهل السنة والجماعة في

---

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣٩) نقلًا عن « مجلة المجتمع » عدد ٥٠٤ محرم ١٤٠٠هـ .

(٢) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣٩) نقلًا عن « الوهابيون الأوائل » لعبد الباري عبد الباقي ، (ص : ٥) .

عدم جواز الخروج على إمام المسلمين برًا أو فاجرًا ، وكذلك مؤلفات أتباع الشيخ من بعده وإلى يومنا هذا على التأكيد على ذلك ، وهذا أمر ظاهر لا يُنكر .

٢ـ إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يتعرض لذكر أي سلطان عثماني بسوء ، ولم يصرح ـ أو يلمح ـ بالخروج على أي سلطان عثماني [١] طوال حياته ، وهذا واضح مع كثرة مؤلفاته ورسائله ومكاتباته وخطبه وهي مجموعة ومطبوعة ، ورغم أنه تعاقب عليه في حياته وخلال دعوته العديد من السلاطين العثمانيين حتى وفاته ، وهذا أمر ظاهر لا يُنكر أيضًا .

ومؤلفات أتباع الدعوة من بعد الشيخ على كثرة ردودها على مخالفيها ليس فيها إظهار الخروج على السلاطين العثمانيين .

من : ١١٤٣هـ إلى : ١١٦٨هـ	**السلطان محمود الأول**	من : ١٧٣٠م إلى : ١٧٥٤ م
من : ١١٦٨هـ إلى : ١١٧١هـ	**السلطان عثمان الثالث**	من : ١٧٥٤ م إلى : ١٧٥٧ م
من : ١١٧١هـ إلى : ١١٨٧هـ	**السلطان مصطفى الثالث**	من : ١٧٥٧ م إلى : ١٧٧٣ م
من : ١١٨٧هـ إلى : ١٢٠٣هـ	**السلطان عبد الحميد الأول**	من : ١٧٧٣ م إلى : ١٧٨٨ م
من : ١٢٠٣هـ إلى : ١٢٢٣هـ	**السلطان سليم الثالث**	من : ١٧٨٨ م إلى : ١٨٠٧ م

السلاطين العثمانيون الذين عاصروا فترة الدعوة في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(١) فضلًا عن تكفير أي سلطان عثماني ، أو إعلان خلع أي سلطان عثماني .

لذا يقول د . عجيل النشيمي :

« نستطيع القول باطمئنان أن كتابات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليس فيها تصريح بموقف عدائي ضد دولة الخلافة » (١) .

ويقول أيضًا : « ولم نعثر على أي فتوى له تكفر الدولة العثمانية بل حَصَرَ إفتاءاته في البوادي القريبة منه التي كان على علم بأنها على شرك » (٢) .

ويقول رحمه الله أيضًا : « إن موقفه من دولة الخلافة هو موقف الناصح الآمر بالمعروفِ ، المُنكِر لما يخالف الشرع ، دون أن يتعداه إلى الصدام المسلح بل كان يتجنبه ويتحاشاهِ ، كما هو واضح في موقفه من الأشراف الذين يحكمون الحجاز باسم دولة الخلافة » (٣) .

ويقول أيضًا : « لم تحرك دولة الخلافة ساكنًا ، ولم تبدر منها أية مبادرة امتعاض ، أو خلاف يذكر رغم توالي أربعة من سلاطين آل عثمان في حياة الشيخ » (٤) .

وقد ذكرنا من قبل قول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله : « والشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يخرج على دولة الخلافة ، وإنما خرج على أوضاع فاسدة في بلده فجاهد في الله حق جهاده ، وصابر ، وثابر حتى امتد نور هذه الدعوة إلى البلاد الأخرى ... » (٥) .

ويقول محمد نسيب الرفاعي عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : « حتى وإن الحركة من أولها إلى آخرها لم يكن للخليفة والخلافة أي علاقة في الدعوة ألبتة ،

---

(١) دعاوى المناوئين ، ص (٢٣٨) نقلًا عن مجلة المجتمع .

(٢) ، (٣) ، (٤) : المصدر السابق .

(٥) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣٧) نقلًا عن محاضرة مسجلة للشيخ ابن باز رحمه الله .

حتى ولما استتب لهم الأمر في نجد والحجاز ، أنهم انتقضوا على الخليفة ، ولم يكن للخليفة ذكر قط في مراحل الدعوة »[١] .

٣ـ إن نجد وما حولها شهدت أوضاعًا خاصة :

أ ـ فنجد لم تشهد تدخلًا مباشرًا من حكام الدولة العثمانية ، إذ لم يرسل الحكام العثمانيون لنجد واليًا يحكمها حكمًا مباشرًا مِنْ قِبَلِهم ، ولا يعني ذلك أن نجد لم تكن تابعة للدولة العثمانية ـ كما يرى البعض [٢]ـ فكل المسلمين يدينون بالولاء والطاعة للسلطان العثماني ، ولا يلزم لوجود ذلك أن يفتح العثمانيون بلاد نجد بالقوة ، أو يعينوا عليها واليًا يحكمها حكمًا مباشرًا مِنْ قِبَلِهم .

وقد اكتفى العثمانيون بالخضوع المعنوي ـ أو بالاسم ـ من أهل نجد لولاتهم من الأشراف في الحجاز ، أو لولاتهم في الأحساء ، خاصة وأن بلاد نجد صحراء مترامية الأطراف ، وعرة المسالك ، وليس لها أهمية كبيرة وقتها تستدعي إخضاعها إخضاعًا مباشرًا للحكم العثماني ، وتعيين والي مخصص لها ، خاصة وأن اعتناء العثمانيين كان أكبر بالحجاز لوجود الحرمين الشريفين بها ، وبسواحل الخليج العربي لحمايتها من مهاجمة الأوربيين الغزاة لها للاستيلاء عليها [٣] .

ب ـ إن نجدًا عاشت لقرون عديدة في ظل ما ذكرناه عنها تتصارع قبائلها ويتنافس أمراؤها على الحكم فيها ، فعايشت صراعات داخلية مستمرة حول حكم مدنها وقراها ، وكان حكامها يخضعون للنفوذ المعنوي لوالي الأحساء أو لأشراف

---

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣٨) نقلًا عن بحث غير منشور للشيخ نسيب الرفاعي .

(٢) انظر ما ذكره صاحب « دعاوي المناوئين » في ذلك ، (ص : ٢٣٥-٢٣٧) .

(٣) البرتغاليون ثم الإنجليز من بعدهم .

الحجاز حال قوة السلطة المركزية العثمانية ، ويقل هذا النفوذ ـ أو ينعدم ـ عند بعض حكام نجد فيستقل بحكم ما تحت يده عند ضعف تلك السلطة المركزية . وكان الصراع على الحكم صراعًا دنيويًا ، أوقع نجدًا في حالة من عدم الاستقرار وفقد الأمان لأهلها ، وكثر فيها القتل والاقتتال من قبائلها وحكامها .

والدولة العثمانية لا تلتفت إلى تلك الصراعات الداخلية في نجد خاصة مع انشغالها بصراعاتها الخارجية مع الدول الأوروبية ومشاكلها الداخلية ، واكتفاءًا بالسلطة المعنوية للدولة على سائر بلاد المسلمين في المعمورة شرقًا وغربًا .

ويقول أمين سعيد في هذا الشأن :

« ولقد حاولنا كثيرًا في خلال دراستنا لتاريخ الدولتين الأموية والعباسية وتاريخ الأيوبيين والمماليك في مصر ثم تاريخ العثمانيين الذين جاءوا بعدهم وورثوهم أن نعثر على اسم وال ، أو حاكم أرسله هؤلاء أو أولئك أو أحدهم إلى نجد أو إحدى مقاطعتها الوسطى أو الشمالية أو الغربية أو الجنوبية فلم نقع على شيء مما يدل على مزيد من الإهمال تحمل تبعته هذه الدول ... على أن الذي استنتجناه في النهاية هو أنهم تركوا أمر مقاطعات نجد الوسطى والغربية إلى الأشراف الهاشميين حكام الحجاز الذين جروا على أن يشرفوا على قبائلها إشرافًا جزئيًا » [1] .

يقول د . عجيل النَشَيمي : « إن نجدًا وما جاورها لم تعرها دولة الخلافة أهمية تذكر ، وربما كانت سياستها هذه تجاه بلاد نجد لسعة أراضيها ، وترامي أطرافها ، هذا من جانب ، ولتمكن التوزيع القبلي والعشائري من جانب آخر ... » [2] .

---

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣٦) نقلًا عن « تاريخ الدولة السعودية » من مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، (ص : ٢٣) .

(٢) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣٥-٢٣٦) نقلًا من « مجلة المجتمع » عدد ٥٠٩ في ٢٣ صفر ١٤٠١هـ .

ويقول حسين خزعل : « وإن كانت الجزيرة العربية لم تشتمل بالحكم العثماني المركزي المباشر ، بل اكتفت الدولة العثمانية بالسلطة الاسمية عليها ، كان كل قطر من أقطار الجزيرة العربية مستقلًا بذاته ولاسيما نجد ، فقد كانت العصبيات فيها قائمة على قدم وساق ، لكل عشيرة دولة ، ولكل حاكم من أولئك الحكام حوزته الخاصة يحكمها حكمًا مطلقًا »[1] .

جـ ـ إن الدولة العثمانية لم تتخذ أي تحرك كبير فعال ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه طوال حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رغم ما كان يصلها من أنباء ـ كانت مشوهة وغير صحيحة ـ عن الشيخ ودعوته ، خاصة من أشراف الحجاز الذين حاولوا استعداء الدولة العثمانية على الشيخ ودعوته ، وغالب الظن أن الدولة العثمانية اعتبرت ما يجري بين الوهابيين وأشراف الحجاز هو صورة من صور الصراع الداخلي في المنطقة ، خاصة مع انشغال الدولة العثمانية بحروبها الخارجية ومشاكلها الداخلية ، ولم تتحرك الدولة العثمانية التحرك الفعال ضد الدعوة الوهابية إلا بعد استيلاء الوهابيين على الحرمين الشريفين مما عده العثمانيون عملًا مؤثرًا ومهددًا لسيادتهم ومكانتهم في العالم الإسلامي .

ويؤكد ذلك أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدأ دعوته كما ذكرنا عام ١١٥٧هـ ، وتم فتح الرياض في عام ١١٨٧هـ وإخضاع بلاد نجد للدعوة بهذا الفتح ، وقد توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عام ١٢٠٦هـ . وقد تم استيلاء الوهابيين على مكة والمدينة بين عامي ١٢١٨هـ-١٢٢١هـ .

---

(١) دعاوى المناوئين ، (ص : ٢٣٦-٢٣٧) نقلًا عن « تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب » دار مكتبة الهلال ، (ص : ٣٨-٣٩) .

أما بدء حملة محمد علي باشا بتكليف من السلطان العثماني لمهاجمة أتباع الدعوة الوهابية بالجزيرة العربية فبدأت من عام ١٢٢٦هـ (١٨١١م) وانتهت بسقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ (١٨١٨م) .

٤ ـ إن حكام الدولة العثمانية قد أخذوا انطباعًا أوليًا سيئًا للغاية عن الدعوة الوهابية نتيجة الأكاذيب والافتراءات والمعلومات المشوهة ـ عمدًا ـ التي وصلت إليهم عن طريق أعداء الدعوة ، حيث نسبت للدعوة الوهابية زورًا وبهتانًا ما ليس منها ، ورماها علماء السوء بالكفر والخروج عن الدين ، فتصور الحكام العثمانيون أن الدعوة الوهابية تمثل خروجًا عن الإسلام وانحرافًا عنه ، فلم تجد أي غضاضة في قتالها والقضاء عليها واستئصالها .

٥- إن الدولة العثمانية لم تتعرض لإصلاح الفساد الديني المنتشر في الأمة ـ بما فيها نجد ـ رغم استفحاله ، فقد تمكنت الصوفية من البلاد ، وعمت الشركيات الظاهرة ، وانتشرت الفواحش والمنكرات ، وسادت المظالم ، ووقع التهاون في إقامة الحدود الشرعية ، وعم التفريط في أداء الفرائض الدينية . وكانت الأمة ـ في نجد وفي غيرها ـ في حاجة إلى من يصحح لها عقيدتها وفكرها ، ويقيم الحدود ، ويلزم الناس بأداء الفرائض الدينية . وهذا ما أظهره الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته فخليفة المسلمين يجب عليه إقامة الدين ، فإن عجز أو قصر لزم المسلمين القيام بذلك فهم المخاطبون بإقامة هذا الدين ، وهو فرض كفاية على الأمة ، والخليفة ينوب عنهم في إقامة الدين ، وإلا فعليهم السعي لإقامة الدين وتنبيه إمام المسلمين بذلك بحسب العلم والقدرة .

إن الغرض من الإمامة هو إقامة الدين ، وسياسة الدنيا بالدين ، أي إقامة الواجبات الشرعية المنوطة بالأمة الإسلامية .

يقول ابن تيمية ﷺ : « والأصل أن هذه الواجبات تقام على أحسن الوجوه ، فمتى أمكن إقامتها من أمير لم يحتج إلى اثنين ، ومتى لم يقم إلا بعدد ومن غير سلطان أقيمت إذا لم يكن في إقامتها فساد يزيد على اضاعتها ، فإنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن كان في ذلك من فساد ولاة الأمر أو الرعية مايزيد على إضاعتها لم يدفع فساد بأفسد منه والله أعلم »[١] اهـ .

ويقول الشوكاني في السيل الجرار عند قول المصنف[٢] : « ولمن صلح لشيء ولا إمام فعله بلا نصب على الأصح » : « وإن كان الأئمة هم المقدمون في ذلك والأحقون به ، ولكن إذا فعلوا كان ذلك مسقطًا لهذا الفرض المعلوم بالأدلة القطعية في الكتاب والسنة والمجمع عليه من جميع الأمة . وإن لم يفعلوه أو لم يطلعوا على ذلك فالخطاب باق على أفراد المسلمين لاسيما العلماء ، فإن الله سبحانه قد أخذ عليهم البيان للناس »[٣] .

وقال الإمام الجويني في الغياثي : « وإذا لم يصادف الناس قوامًا بأمورهم يلوذون به فيستحيل أن يؤمروا بالقعود عما يقتدرون عليه من دفع الفساد فإنهم لو تقاعدوا عن الممكن عم الفساد العباد والبلاد »[٤] .

وقال : « فإن شغر الزمان عن الإمام وخلا عن سلطان ذي نجدة وكفاية

---

(١) مجموع الفتاوي ط . دار التقوى بلبيس جـ ٣٤/ ١٧٦ ، وسيأتي نص كلامه بأكمل من ذلك ، مع التنبيه على مراعاة المصالح والمفاسد في تغيير المنكرات باليد مع القدرة وما يحتاجه ذلك من ضوابط شرعية وفقه وفهم عميق لجوانب الأمر ، وهذا شأن العلماء المعتبرين في ذلك لا لآحاد الناس .

(٢) السيل الجرار للشوكاني جـ ٣/ ٣٣١ .

(٣) راجع في ذلك « العمل الجماعي بين الإفراط والتفريط » بصوت الدعوة العدد الرابع ـ ذو الحجة ١٤١٢هـ ، (ص : ٢٥) .

(٤) المصدر السابق ، (ص : ٢٦) .

ودراية فالأمور موكولة إلى العلماء وحق على الخلائق على اختلاف طبقاتهم أن يرجعوا إلى علمائهم »[(١)] .

٦ ـ إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب هاله ما عليه بلاده من الشركيات والخرافات والمنكرات والبدع ، وجعل همه إقامة الدين بمحاربة هذه الشركيات ومنع هذه المنكرات والبدع ، ولتغيير هذه المنكرات احتاج إلى قوة تسانده ، فجاءت هذه المساندة من حكام آل سعود ، الذين تبنوا مبادىء دعوة الشيخ عن إيمان وتصديق .

فهذه الدعوة دعوة على الحق المبين والدين القويم ، غايتها نصرة الدين وإقامة الشرع لا الخروج عليه ، وسعت إلى تغيير المنكر بما أوتيت من قوة ، ولم يخطر ببال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومسانديه من آل سعود أمر الخروج على السلطان العثماني أو الدخول معه في صراع ، ولم يظهروا الخروج عليه ، أو خلع اليد من طاعته[(٢)] .

٧- إن الدولة العثمانية كان ينبغي عليها قبل مواجهة الدعوة الوهابية وقتالها للقضاء عليها أن تتحرى عن حقيقة الدعوة الوهابية ومخاطبة أهلها ودعاتها قبل الحكم عليها بكون أتباعها من البغاة أو من الخارجين على الدولة ، إذ أن على الإمام أن ينظر في أحوال من ظن فيهم عدم طاعته والولاء له ، فيتعرف على

---

(١) المصدر السابق ، (ص : ٢٦) .

(٢) يقول مؤلف « الدولة السعودية فجر التكوين وأفاق الإسلام » ، (ص : ٨٢) : « لم يكن يخطر ببال الأئمة من آل سعود حرب العثمانيين أو الوقوف في مواجهتهم ، وكان ما يشغلهم هو تصحيح عقيدة أهلهم وذويهم من القبائل العربية المنتشرة في الصحراء العريضة ، ولم يكن الأئمة من آل سعود ليتخلوا عن دينهم وعقيدتهم لأن هذا يهدد سلطان آل عثمان في تداعيات لم تكن لتخطر ببال السعوديين آنذاك » اهـ .

أسباب ما هم عليه ، فإن كانوا أصحاب حق في دعواهم أجابهم إليه ، وإن كانوا على غير الحق أقام الحجة عليهم ، وبين لهم بطلان ما يزعمون ، فإن أصروا على باطلهم جاز له عندئذ مواجهتهم وقتالهم . وللأسف فإن السلاطين العثمانيين لم يتحروا حقيقة ما نقل إليهم عن الدعوة الوهابية ، وحكموا عليها بما وصل إليهم من افتراءات وأكاذيب ، ولم يراجعوا الوهابيين فيما نسب إليهم ، حتى بعد القبض على عبد الله بن سعود نقل إلى الأستانة حيث قتل هناك دون مقابلة السلطان له والتحدث معه .

٨ ـ إن التحرك الفعلي الكبير من حكام الدولة العثمانية ضد الدعوة الوهابية جاء بعد استيلاء الوهابيين على مكة والمدينة وفيهما الحرمان الشريفان ، مما عده العثمانيون تهديدًا لمكانتهم في العالم الإسلامي .

•• ولنا هنا وقفة تتعلق بدخول الوهابيين للحجاز فـ « معلوم لكل من قرأ شيئًا في التاريخ أن الأشراف في مكة كانوا هم نواب السلطان العثماني في بلاد الحجاز ، وهؤلاء الأشراف ما كادوا يسمعون بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة حتى خافوا على أنفسهم منها ، ورأوا أنها ستسلبهم الإتاوات والسحت الذي كانوا يأخذونه من القبور المقامة في بلاد الحجاز ، وعلموا أن دعوة شيخ الإسلام هدم القبور وتحريم الذبح لها والصلاة عندها ولذلك سيروا جيوشهم ، الجيش تلو الجيش ، يحاربون ابن عبد الوهاب في نجد ، ولم يقم الشيخ بأكثر من رد العدوان عن نفسه ودعوته »[١] .

---

(١) من محاضرة مسجلة للشيخ : محمد إسماعيل ـ حفظه الله ـ بعنوان « الوهابيون والعثمانيون : طاعة أم خروج » . نقلًا عن : « حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ، (ص : ٣٢٢) .

وقد أرسل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بوفد إلى الشريف أحمد بن سعيد شريف مكة ، وكان على رأس هذا الوفد عبد العزيز بن عبد الله الحصين ، وكان مع هذا الوفد هدايا وتحف كثيرة [١] .

وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع هذا الوفد كتابًا للشريف أحمد قال فيه بالنص [٢] : « المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين ، وأعز به دين جده سيد الثقلين ﷺ أن الكتاب لما وصل إلى الخادم [٣] ، وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن تبعها وعداوة من خرج وهذا هو الواجب على ولاة الأمور » [٤] .

ويقول في ختام رسالته : « فإذا كان الله سبحانه قد أخذ ميثاق الأنبياء إن أدركوا محمدًا ﷺ على الإيمان به ونصرته ، فكيف بنا يا أمته ، فلا بد من الإيمان به ، ولابد من نصرته ، لا يكفي أحدهما عن الآخر ، وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت الذي بعثه الله منهم وشرفهم على أهل الأرض به ، وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته ﷺ ، وغير ذلك يعلم الشريف أعزه الله أن لِلْمَلَكة من جملة الخدام ثم أنتم في حفظ الله وحسن رعايته » [٥] اهـ .

---

(١) من محاضرة « الوهابيون والعثمانيون : طاعة أم خروج » ، نقلًا عن : « حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » للشيخ : عبد الرحمن عبد الخالق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) يعني بالخادم نفسه تواضعًا منه رحمه الله .

(٤) ، (٥) وهذه الوثيقة من كتاب « حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » للشيخ : عبد الرحمن عبد الخالق ، (ص : ٣٢٢) .

« ومع هذا فقد جاء من الأشراف بعد ذلك من جمع العلماء من أهل السوء الذين أفتوا بكفر محمد بن عبد الوهاب وخروجه على الناس بدين جديد ، وعدم جواز تمكين أتباعه من حج البيت الحرام ، ولذلك مُنع أهل نجد من أهل الدعوة من الحج .

ثم جهز الشريف غالب بعد ذلك جيشًا كثيفًا لحرب الشيخ ابن عبد الوهاب في نجد ولما لم يستطيعوا أن يبلغوا غايتهم في إخماد الدعوة استعانوا بالسلطان العثماني ، الذي تباطأ في هذا الأمر ، ثم أوعز إلى محمد علي والي مصر ، وأمره بقتال من سماهم الوهابيين ، وذلك عندما أفتى له علماء السوء أنهم كفار مارقون ، ومعلوم أيضًا أن محمد علي جهز عدة جيوش لحرب أتباع الشيخ ابن عبد الوهاب ، وكان ذلك بعد وفاة الشيخ »(١) .

ومع أن الدولة العثمانية حاربت أتباع محمد بن عبد الوهاب بدعوى أنهم كفار عن طريق محمد علي باشا والي مصر إلا أن أهل نجد والأمراء من أتباع الشيخ ابن عبد الوهاب لم يرفعوا لهم يدًا من طاعة فيما يطيعون فيه الله ورسوله ﷺ(٢) .

وقد كتب الأمير عبد الله بن سعود مجموعة من الرسائل إلى محمد علي باشا والي مصر والسلطان محمود الغازي العثماني يعلنه في كل واحدة منها أنه عبد من عبيدهم ، وأنهم ما قاموا بدعوتهم في نجد إلا إصلاحًا لأهلها وإبعادًا لهم عن الشرك والخرافة وإقامة الصلاة والزكاة فيهم ، وأنهم من جملة الأتباع والخدام للباب العالي العثماني ولواليه محمد علي باشا(٣) .

ولقد كان دخول الوهابيين إلى الحجاز نتيجة لاحتدام الصراع بينهم وبين

---

(١) ، (٢) ، (٣) المصدر السابق .

شريف مكة ، الذي وصل إلى حد منع أهل نجد من الحج [1] ، والاقتتال بين الطرفين ، وللقضاء على عداوة شريف مكة ، استطاع الوهابيون دخول الطائف ، ثم مكة ، وهرب شريف مكة إلى جدة ، وتحصن بها ، ثم إنه سالم الوهابيين ، وأظهر الدخول في طاعتهم ، فأخذوا عليه العهد أن يمنع ما كان موجودًا من المنكرات ، كمنع شرب التنباك ـ التبغ ـ في المسعى بين الصفا والمروة ، وترك لبس الحرير والمقصبات ، وإبطال المكوس والمظالم وإبطال مصادرة أموال الناس ، وملازمة الصلوات الجامعة ودفع الزكاة ... إلخ .

وتعهد الشريف بالقيام بذلك كله ، فأعاده الوهابيون مكرمًا [2] إلى ما كان عليه .

وكان الوهابيون قد أزالوا بعد دخول الحرمين ـ مكة والمدينة ـ ما فيها من مظاهر الشرك ، ومنعوا البدع والمنكرات ، ورفعوا المكوس والمظالم عن الناس [3] .

ولكن شريف مكة لم يحافظ على ما تعهد به أمام الوهابيين ، وعاد إلى ما كان عليه من المظالم ، وسعى على استعداء السلطان العثماني ومحمد علي باشا ، وقام بتسهيل دخول جيوشه إلى الحجاز .

وما ذكرناه يبين كيف أن استيلاء الوهابيين على الحجاز جاء بعد صراع مع أشراف مكة ، وأن مرادهم إنما هو إزالة الشركيات ورفع المظالم ومنع المنكرات

---

(١) وذلك عام ١٧٨٤م ، وقد أرسل الوهابيون وفدًا من شيوخهم للحوار مع شيوخ مكة ، فلما أفحموهم بالحجة ، استعدوا عليهم الشريف الذي أمر باعتقال الوفد ، وانظر : « السعوديون والحل الإسلامي » ص (١٦١) .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٧٦) .

(٣) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٧٧) .

والبدع ، ولم يمانعوا مسالمة الشريف غالب ـ شريف مكة ـ وإعادته إلى ما كان عليه ما دام قد تعهد أمامهم بإقامة الدين ومنع المنكرات والمظالم ، ولكنه لم يلتزم بذلك كله ، وغدر بهم ، وعاد لمعاداتهم ومعاونة محمد علي باشا عليهم .

ولقد كتب الأمير عبد الله بن سعود إلى السلطان محمود الغازي رسالة ، فكان مما جاء فيها :

« أنه لما كان عبدكم هذا من المسلمين الذين لا ينفكون عن أداء شروط الإسلام التي هي إعلان كلمة الشهادة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام ومنع الظلمة من الإضرار بالناس وكف أيديهم »[(١)] . ثم سرد كيف أن أشراف مكة افتروا عليه عند السلطان العثماني لقتاله وأنهم قدموا عرائض مزورة للسلطان باسم الأمير سعود بن عبد العزيز تعلن العصيان ثم يقول : « فإن كل ما نسب إلى عبدكم هذا من أمور الطغيان والخروج كلها ناشيء عن خدعة الشريف المشار إليه دسيسة »[(٢)] .

ثم يقول في ختام رسالته : « قدمت عريضتي هذه التي هي أشهر من المثل السائر مصداقًا لصداقتي على ألا أنفك عن قيد الطاعة ، وأن أعد من عبادكم القائمين لجميع خدمات الدولة العلية فهي برهان قاطع يشهد بأني قائم بالدعوات في الأعياد والمحافل وعلى المنابر بدوام عمركم ودولتكم » اهـ[(٣)] .

كما كتب الأمير عبد الله بن سعود إلى محمد علي والي مصر يقول : « وبعد :

---

(١) من المحاضرة السابقة للشيخ محمد إسماعيل نقلًا عن « الدولة السعودية الأولى » لعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، (ص : ٣٩٢) .

(٢) من المحاضرة السابقة .

(٣) من المحاضرة السابقة بتصرف يسير .

فغير خافٍ على جنابكم حقيقة ما نحن عليه ، وندعو الناس إليه ، أننا جاهدنا الأعراب حتى أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وألزمناهم صيام رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، ومنعناهم من ظلم العباد والسعي في الأرض بالفساد ، وعن قطع السبيل ، والتعرض لحجاج بيت الله من الوافدين ، فبعد ذلك شكوا إلى والي مكة غالب ، ورمونا بالكذب والبهتان وخَرَّجونا وبَدَّعُونا ، وقالوا فينا ما نحن منه براء فسير علينا بأجناد وعدد فأعجزه الله ، وله الحمد والمنة فقاتلناه دفعًا لشره ومقابلة لفعله القبيح ومكره ، فرده الله بغيظه لم ينل خيرًا ، واستولينا على الحرمين الشريفين وجدة وينبع ، فلما تمكنا من أوطانه فعلنا معه كل جميل واقررناه على ما كان تحت يده من البلدان ووجهنا مدخول البنادر إليه وأكرمناه غاية الإكرام توقيرًا للنسب الشريف وتعظيمًا للبلد الحرام »(١) .

٩- إن العلماء المنصفين قد أثنوا على الدعوة الوهابية وشيخها رغمْ ما علموه من اقتتال اتباعها مع جيوش محمد علي المرسلة من قبل السلطان العثماني ، وسنذكر إن شاء الله من أقوال هؤلاء في الثناء على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته نماذج على ذلك ، ولا غرابة في ذلك : فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندهم دعوة إصلاحية تقوم على التوحيد النقي وفق فهم السلف الصالح ، وتقيم الحدود الشرعية ، وتلزم الناس بأحكام الدين ، وتمكنت من القيام بذلك في نجد وما حولها ودانت لهم الأمور عبر الدعوة والجهاد قرابة خمسين عامًا .

أما الدولة العثمانية فقد انتشرت في ربوعها الشركيات والخرافات والبدع والمنكرات والتهاون في إقامة الحدود والفرائض ، والسلطان العثماني لا يسعى

---

(١) من المحاضرة السابقة .

للتغيير ، بل وَجَّهَ من يحارب الوهابيين ، وينصر من يدافع عن الانحراف الذي تعاديه الدعوة الوهابية ، حتى وإن قلنا إن السلاطين العثمانيين كانوا معذورين في ذلك بسبب الدعاية الكاذبة التي شوهت حقيقة الدعوة الوهابية لديهم ، فإن دفاع الوهابيين عن بلادهم التي أقاموا فيها التوحيد وعن دعوتهم الساعية إلى إقامة الدين وتنفيذ أحكامه هو اجتهاد منهم رأوه ، خاصة وإن لهم منعة وقوة في بلادهم ، وهذا واضح ، إذ لم يكن الأمر ميسرًا لجيوش محمد علي للقضاء على الدعوة لقوتها وصلابتها واستماتة أتباعها في الدفاع عنها ، وقد استمر الاقتتال بين الفريقين قرابة الثماني سنوات .

• ومعلوم أن تغيير المنكر باليد مشروع إن وجدت القوة القادرة عليه ، واستخدام هذه القوة في تغيير المنكر مرتبط بالنظر في المصالح والمفاسد المترتبة عليه .

يقول الإمام الجويني ﷺ : « إن المتصدي للإمامة إذا عظمت جنايته ، وكثرت عاديته ، وفشى احتكامه [١] واهتضامه [٢] ، وبدت فضاحته [٣] ، وتتابعت عثراته وخيف بسببه ضياع البيضة [٤] ، وتبدد دعائم الإسلام ، ولم يجد [٥] من ننصبه للإمامة حتى ينتهض لدفعه حسب ما يدفع البغاة فلا يطلق للآحاد في أطراف البلاد أن يثوروا فإنهم لو فعلوا ذلك لاصطُلِموا [٦] وأُبيدوا ، وكان ذلك

(١) يريد تحكمه بالباطل .
(٢) وامتضاضه : هضم حقوق الناس .
(٣) فضيحته .
(٤) حوزة المسلمين .
(٥) ولم نجد .
(٦) الاصطلام هو : الإبادة .

سببًا في ازدياد المحن ، وإثارة الفتن [١] ، ولكن إن [٢] اتفق رجل مطاع ذو أتباع وأشياع ويقوم محتسبًا آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر ، وانتصب بكفاية المسلمين ما دفعوا إليه ، فليمض في ذلك قدمًا ، والله نصيره على الشرط المقدم في رعاية المصالح والنظر في المناجح ، وموازنة ما يندفع ويرتفع بما يتوقع » [٣] انتهى كلام الجويني .

وخلاصة كلام الجويني رحمه الله أنه ينبغي ألا يقوم بالحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا رجل مطاع ومعه أتباع وذو قوة ومنعة ، ولا يصح قيام آحاد الناس بالثورة ضد السلطان الظالم للمفسدة المترتبة على ذلك ، كما ينبغي عند القيام بذلك مراعاة المصالح والمفاسد المترتبة عليه [٤] .

وجمع الأعوان من الرجل المطاع وشهر السلاح مما ينبغي فيه مراعاة المصلحة والمفسدة [٥] .

ففي مجموع الفتاوى (كتاب الحدود) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [٦] :

« خاطب الله المؤمنين بالحدود والحقوق خطابًا مطلقًا ، كقوله : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ ﴾ ، وقوله : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ﴾ ، وكذلك قوله : ﴿ وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ﴾ لكن قد علم أن المخاطب بالفعل لابد أن يكون قادرًا عليه ،

---

(١) الفتنة

(٢) إذا .

(٣) غياث الأمم للجويني : (٧٣١) .

(٤) راجع محاضرات شرح « فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » للشيخ : ياسر برهامي ـ حفظه الله ـ .

(٥) راجع المصدر السابق .

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ط دار التقوى ـ بلبيس (٣٤/ ١٧٥-١٧٦) .

والعاجزون لا يجب عليهم ، وقد علم أن هذا فرض على الكفاية ، وهو مثل الجهاد ، بل هو نوع من الجهاد ، فقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ ، وقوله ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، وقوله : ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ ﴾ ونحو ذلك هو فرض كفاية من القادرين .

والقدرة هي السلطان ، فلهذا وجب إقامة الحدود على ذلك السلطان ونوابه ، والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد والباقون نوابه فإذا فرض أن الأمة خرجت عن ذلك ، لمعصية من بعضها ، وعجز عن الباقين ، أو غير ذلك ، فكان لها عدة أئمة ، لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود ، ويستوفي الحقوق ، ولهذا قال العلماء إن أهل البغي ينفذ من أحكامهم ما ينفذ من أحكام أهل العدل ، وكذلك لو شاركوا الإمارة وصاروا أحزابًا لوجب على كل حزب فعل ذلك في أهل طاعتهم ، فهذا عند تفرق الأمراء وتعددهم ، وكذلك لو لم يتفرقوا ، لكن طاعتهم للأمير الكبير ليست طاعة تامة ، فإن ذلك أيضًا إذا أسقط عنه إلزامهم بذلك لم يسقط عنهم القيام بذلك ، بل عليهم أن يقيموا ذلك وكذلك لو فرض عجز بعض الأمراء عن إقامة الحدود والحقوق أو إضاعته لذلك ، لكان ذلك الفرض على القادر عليه [1] وقول من قال : لا يقيم الحدود إلا السلطان ونوابه إذا كانوا قادرين فاعلين بالعدل ، كما يقول الفقهاء : « الأمر إلى الحاكم إنما هو العادل القادر ، فإن كان مضيعًا لأموال اليتامى ، أو عاجزًا عنها : لم يجب تسليمها إليه مع إمكان حفظها بدونه [2] ، وكذلك الأمير إذا كان مضيعًا للحدود أو عاجزًا عنها لم يجب تفويضها إليه مع إمكان إقامته بدونه [3] .

---

(١) تأمل قوله عند إضاعة الأمراء لإقامة الحدود والحقوق : « لكان ذلك الفرض على القادر عليه » .

(٢) ، (٣) تأمل قوله : « لم يجب تسليمها إليه مع امكان حفظها بدونه » ، وقوله : « لم يجب تفويضها إليه مع إمكان إقامته بدونه » .

والأصل أن هذه الواجبات تقام على أحسن الوجوه ، فمتى أمكن إقامتها من أمير لم يحتج إلى اثنين ، ومتى لم يقم إلا بعدد ومن غير سلطان أقيمت إذا لم يكن في إقامتها فساد يزيد على إضاعتها ، فإنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فإن كان في ذلك من فساد ولاة الأمر أو الرعية ما يزيد على إضاعتها لم يدفع فساد بأفسد منه . والله أعلم » انتهى كلام ابن تيمية .

قال ابن القيم في إعلام الموقعين : « إنكار المنكر أربع درجات :

الأولى : أن يزول ويخلفه ضده .

الثانية : أن يقل وإن لم يزل بالكلية .

الثالثة : أن يخلفه ما هو مثله .

الرابعة : أن يخلفه ما هو شر منه .

فالدرجتان الأوليان مشروعتان ، والثالثة : موضع اجتهاد ، والرابعة محرمة »(١) .

قال ابن تيمية : « ولهذا قيل وليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر ، وإن كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة ، إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ ، بل كل ما أمر الله به فهو صلاح ، وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذم المفسدين في غير موضع ، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله ، وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم »(٢) .

---

(١) ، (٢) انظر « فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » للشيخ : ياسر برهامي ـ حفظه الله ـ ط دار الخلفاء الراشدين بالإسكندرية ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

ويقول ابن تيمية ﷺ أيضًا في موضع آخر : « وقد تكلمت في قتال الأئمة في غير هذا الموضع ، وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد ، والحسنات والسيئات ، أو تزاحمت ، فإنه يجب ترجيح الراجح منها ، إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت » ، « لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة ، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها ، وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر ، وقل أن تُعْوِزَ النصوصُ من يكون خبيرًا بها وبدلالتها على الأحكام » (١) اهـ .

* والمراد :

أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليست بخروج على الدولة العثمانية بقدر ما هي محاولة لإصلاح الفساد الذي انتشر في البلاد ، فلم يكن الخروج على السلطان العثماني هدفًا للدعوة ، ولكن تغيير الأوضاع الفاسدة وإصلاح الأمة وإقامة الدين كان هو الهدف .

ولهذا قامت الدعوة الوهابية بتغيير المنكرات باليد لما وجدت في نفسها القدرة على ذلك وأقامت الحجة على مخالفيها . والله تعالى أعلم (٢) .

لقد رأى الوهابيون في أنفسهم أنهم أصحاب حق في الدفاع عن دولتهم التي أقاموها على التوحيد ، وأن لها أن تستكمل مسيرتها التي بدأتها لعشرات السنين ، وقاتلت من يناصر أعداءها ، ويريد أن يهدم ما بنته ، إذ أن إقامة الدين مقدم على مراعاة إقامة الدولة ، وما أقيمت الدولة إلا لإقامة الدين ، فكيف تراعى الدولة

---

(١) الحسبة ، (ص : ٧٥) .

(٢) راجع ما ذكرناه عن « القتال من أجل الدعوة » ، (ص : ٣٤) من الكتاب ، وما نقلناه عن الأستاذ محمد السيد الوكيل هناك .

إن ضيعت الدين التي قامت لحراسته وإقامته .

وهذا اجتهاد منهم دفعهم إليه ما كان لدولتهم من القبول والتأييد والاتباع والقوة والمنعة مما يتيح لهم الإبقاء على نصرة الدين والتوحيد الذي دعوا إليه وأقاموا دولتهم عليه .

فليست القضية خروج وبغي ، وإنما هي قضية طائفة قامت على الحق العدل أمام إمام فيه ظلم وتقصير ، ودولة دبت المفاسد في أوصالها ، واحتاجت من يقيم فيها الدين ، ويرفع المنكرات ، ويراعي في ذلك ما يراعي في تغيير المنكر ورفع الظلم من مراعاة حفظ المصالح ودفع المفاسد بقدرها .

فقيام طائفة فيها العدل والحق ولها أسباب القوة والمنعة بتغيير المنكرات الظاهرة ورفع المظالم والمفاسد القائمة إنما مدار مشروعيتها قائم على تقدير ما سينتج عن قيامها من تحقيق المصالح التي يأمر بها الشرع ودرء المفاسد والأضرار التي لا يقرها الشرع .

وهذا من الأمور التي تحتاج إلى نظر العلماء وأرباب الفقه فيها ، ولم نجد من العلماء المعتبرين من قال بخطأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما قام به بل أثنى هؤلاء العلماء المعتبرون على الشيخ ودعوته ، والله تعالى أعلم .

إن الحكام والولاة إن قصّروا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن ذلك لا يلغي مسألة الاحتساب أصلًا ، ويبقى الخطاب الشرعي متعلق بعموم الأمة ، خاصة العلماء ، فينبغي عليهم القيام بالاحتساب ، لأن الأوامر الشرعية في القرآن والسنة هي خطاب للأمة ككل ، فهي عامة مطلقة للأمة ككل ، والحكام ينوبون عن الأمة في تنفيذها ، فإن قصروا لزم الأمة ككل إقامتها .

وقد جاء في الحديث المرفوع : « **ما من نبي بعثهُ الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحابٌ يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلفُ من بعدهم خُلُوفٌ ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبةُ خردل** » (١) .

« **فمن جاهدهم بيده** » أي بتغيير منكراتهم وإزالتها ، ولا يلزم من جهادهم الخروج عليهم ، فإنه ﷺ نهى عن الخروج على من لم يظهر الكفر البواح منهم من أجل المفاسد في ذلك ، وإنما يكون تغيير منكراتهم ورفع مظالمهم لمن قدر على ذلك ، ويزيله إن أمكنه ذلك ، في إطار مراعاة المصالح والمفاسد .

ومن استطاع التغيير بيده (٢) فلم يغير واكتفى بالتغيير باللسان فهو مقصّر وآثم .

وهذا يدخل في فروض الكفايات المتعلقة بالأمة ككل ، قال تعالى : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، وفي الحديث المرفوع : « **من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** » (٣) .

والمراد بالاستطاعة القدرة على ذلك ، مع مراعاة ألا يترتب على التغيير بالقوة حدوث منكر أكبر أو زوال مصلحة أرجح كما هو معلوم .

---

(١) رواه مسلم (٥٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥٦٠) .

(٢) بضوابط ذلك ، فلا يترتب على تغيير المنكر حدوث منكر أكبر منه أو فوات مصلحة أرجح كما هو معلوم في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد من جنسه .

(٣) رواه مسلم ، واللفظ له ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وأحمد ، وابن حبان .

وقد استنكر الإمام أحمد رحمه الله حديث « **فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن** » لكونه يخالف المعروف من النهي عن الخروج على الأئمة ، والحديث ـ كما ذكرنا ـ رواه مسلم في صحيحه .

والحق أنه يمكن الجمع بين الأدلة بحيث يغير منكراتهم من غير الخروج عليهم ، أو يقال : « يغير المنكرات مع مراعاة المصالح والمفاسد في الإنكار » .

ولقد كان ابن تيمية رحمه الله يتخذ الأعوان من أصحابه ويخرج بهم فيزيل المنكرات باليد ، وكان لابن تيمية منزلة عند السلطان والعلماء والقضاة والعوام مما يعلم بها عدم وجود المفسدة من هذا الإنكار باليد واتخاذ الأعوان .

ثناء العلماء على الشيخ

أثنى على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ودعوته الإصلاحية الكثير من العلماء الفضلاء والإصلاحيين المعروفين والكتاب المشهورين والمؤرخين المنصفين، بل أثنى عليه وعلى جهوده الإصلاحية العديد من غير المسلمين من المؤرخين والكتاب والمستشرقين.

□ فمن هؤلاء [1] :

من العلماء الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني مؤلف كتاب (سبل السلام)، والشيخ محمد بن علي الشوكاني مؤلف كتاب (نيل الأوطار)، وعلامة العراق الشيخ محمود شكري الآلوسي (صاحب تفسير روح المعاني)، والشيخ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، والأستاذ محمد رشيد رضا، والشيخ عبد الكريم الخطيب في كتابه (محمد بن عبد الوهاب)، والشيخ محمد بشير السهسواني الهندي مؤلف كتاب (صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان)، والإمام محمد عبده في كتابه (٥٠ عامًا في جزيرة العرب)، وغيرهم.

ومن المؤرخين والكتاب: الشيخ حسين بن غنام الأحسائي مؤلف كتاب (روضة الأفكار والأفهام)، والأستاذ عبد المتعال الصعيدي في كتابه (المجددون في الإسلام)، والأستاذ حافظ وهبه في كتابه (جزيرة العرب)، والزركلي في الأعلام، والدكتور محمد بن عبد الله ماضي في كتابه (الحلقة المفقودة في تاريخ

---

(١) راجع «الشيخ محمد بن عبد الوهاب» لابن حجر آل بوطامي، (ص: ٨٠-١٢١).

العرب) ، والأستاذ على الطنطاوي في كتابه (محمد بن عبد الوهاب) ، والأستاذ أحمد حسين مؤسس حزب مصر الفتاة في كتابه (مشاهداتي في جزيرة العرب) ، الأستاذ أحمد أمين في كتابه (زعماء الإصلاح الإسلامي) .

وممن أثنى عليه أيضًا : الأمير شكيب أرسلان [1] في تعليقه على كتاب

---

(١) الأمير شكيب أرسلان على ما له من جهود في نصرة العروبة ومواقفه تجاه المؤامرات التي كانت تحاك ضد الأمة فهو درزي ، والدروز من غلاة الشيعة وكفرهم كفر عين ، فينبغي التنبه لذلك ، والدروز يقوم مذهبهم على تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي ، الذي قتل سنة ٤١١هـ/ ١٠٢١م ، فيقولون بغيبته وأنه سيرجع ، والقيامة هي رجوعه ، يبدأ التاريخ عندهم من سنة ٤٠٨ هـ التي أعلن فيها ألوهية الحاكم ، ويقولون بتناسخ الأرواح ، ويرون أن شريعتهم نسخت شريعة الإسلام ، وأنها آخر الشرائع ، ويحرصون على كتم عقائدهم ، فلا يبوحون بها لأحد إلا لأتباعهم ، ولا يأخذون بتعدد الزوجات ، ولا يتزوجون إلا من طائفتهم ، والطلاق عندهم لا رجعة فيه ، ويقولون بإسقاط التكاليف ، ومناطق تواجدهم في الشام ، وهي خالية من المساجد ، إذ لهم معابدهم الخاصة للاجتماع فيها ، ولهم خلوات للانقطاع فيها للعبادة ، وهم يظهرون الإسلام ويخفون ما هم عليه أخذًا بمبدأ التقية ، للاستزادة يراجع :

ـ الموسوعة الميسرة ، (ص : ٢٢٣-٢٢٧) .

ـ صبح الأعشى للقلقشندي جـ ١٣/ ٢٤٨ .

ـ مجلة الأزهر عدد شوال ١٤١٤هـ ـ مارس ١٩٩٤م .

ـ حاشية ابن عابدين جـ ٤/ ٢٦٣-٢٦٤ .

ـ « عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة وأهل البيت والرد على الشيعة الإثني عشرية » جـ ١/ ٢٢٧-٢٣١ للمؤلف .

وانظر :

ـ شكيب أرسلان من رواد الوحدة العربية . تأليف الشيخ أحمد الشرباصي .

ـ شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام « سلسلة أعلام العرب » . تأليف الشيخ أحمد الشرباصي .

وقد ولد شكيب أرسلان في أول ليلة من رمضان سنة ١٢٨٦هـ الموافقة ٢٥ من ديسمبر سنة ١٨٦٩م . وأبوه هو الأمير حمود بن حسن الأرسلاني ، في قرية الشويفات التي تبعد عن بيروت بقرابة عشرة أميال . واسم (شكيب) فارسي ، ومعناه في الفارسية (الصابر) .

ويقول عنه الشيخ أحمد الشرباصي : « وشكيب منسوب من الناحية السياسية الطائفية الرسمية الشكلية إلى طائفة الدروز » .

=

(حاضر العالم الإسلامي) للمؤلف ستودارد الأمريكي ، والمستشرق بروكلمان في (تاريخ الشعوب الإسلامية) ، والمستشرق سيديو في (تاريخ العرب العام) ، والعالم الفرنسي (برنادلوس) في كتابه (العرب في التاريخ) ، والمستشرق النمساوي جولدتسيهر في كتابه (العقيدة والشريعة) ، والمستشرق الإنجليزي جب في كتابه (المحمدية) ، وويلفرد في كتاب (الإسلام في نظر الغرب) ، والمؤرخ الألماني داكبرت في كتابه (عبد العزيز) ، والمؤرخ اللبناني فيليب حتى في كتابه (تاريخ العرب) وغيرهم .

وكتب شكيب في مقال له في مجلة الشورى عام ١٩٢٥م : « الدروز فرقة من الفرق الإسلامية ، أصلهم من الشيعة الاسماعيلية الفاطمية ، والشيعة الاسماعيلية الفاطيمة أصلها من الشيعة السبعية القائلين بالأئمة السبعة ، وهؤلاء هم من جملة المسلمين كما لا يخفى » !! ، ويقول بعدها : « وإذا قيل إنه مع كل هذه المظاهر تحتوي عقيدتهم الباطنية التي تعرفها طبقة العقال [طبقة العقال عند الدروز هي رجال الدروز الذين يحتفظون بأسرار المذهب الدرزي ويتكتمونها فهم رؤوس الطائفة الدرزية] على ما يصادم أركان عقيدة السنة والجماعة ولا يتفق معها في شيء ، فالجواب : قد وجد في الإسلام أئمة كبار يترضى عنهم عند ذكرهم ولهم قباب تزار وتعلق فيها القناديل ، وكانوا يقولون بوحدة الوجود فهل وحدة الوجود مما يطابق السنة ؟ لا . فهل أخرج المسلمون هؤلاء الأئمة من الإسلام ؟ كلا » !!

ولشكيب في كتابه (عروة الاتحاد) فصل كتبه عن الدروز يدافع فيه عن عروبتهم ، وكتب في مقاله السابق بمجلة الشورى يقول : « وما وجه الضرورة ، لفتح مسألة ديانة الدروز وما فيها من مخالفة الإسلام في وقت يسفك فيه الدروز دماءهم بإسراف في الدفاع عن حوزة تسعة أعشارها ـ لا بل أكثر من تسعة أعشارها للمسلمين ؛ لأن الدروز في سورية ١٥٠ ألف نسمة والمسلمين يزيدون على المليونين » .

وقد توفي شكيب أرسلان في ديسمبر ١٩٤٦م .

□ نماذج من الثناء على الشيخ :

يقول الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله في قصيدته [١] :

سلامي على نجد ومَنْ حل في نجد
وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
وقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا
رباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت أسير بنشد الريح إن سرت
ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
قفي واسألي عن عالم حل سوحها
به يهتدي مَنْ ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد
فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله
بلا صَدرٍ في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل
وما كل قول واجب الرد والطرد

---

(١) (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) لابن حجر آل بوطامي : ص (٨٠-٨٢) .

يزعم البعض أن الإمام الصنعاني رجع عن مدحه وثنائه للشيخ محمد بن عبد الوهاب ونقض قصيدته هذه بقصيدة أخرى تخالفها ، والراجح أن هذا كذب على الصنعاني رحمه الله إذ أن المعروف عنه رحمه الله اتباع السنة وذم البدع ، وقرر الصنعاني عقيدة التوحيد الصافية في رسالته القيمة (تطهير الاعتقاد) بما يؤكد اعتناقه لفكر الدعوة الوهابية ، والظاهر أن هذه القصيدة الثانية المزعومة هي ليوسف بن إبراهيم الأمير وهو حفيد الإمام الصنعاني فقد كان مناهضًا للدعوة السلفية ؟! ، وله شرح للقصيدة بعنوان (محو الحوبة في شرح أبيات التوبة) !! ، وانظر دعاوى المناوئين ، (ص : ٣٩) الهامش .

سوى ما أتى عن ربنا ورسوله
فذلك قول جل يا ذا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها
تدور على قدر الأدلة في النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه
يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهرًا ما طوى كل جاهل
ومبتدع منه ، فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادمًا
مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله
يغوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها
كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة
أهلت لغير الله جهرًا على عمد
وكم طائف حول القبر مقبل
ومستلم الأركان منهن باليد
لقد سرني ما جاءني من طريقه
وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي
يصب عليه صوت ذم وغيبة
ويجفوه من قد كان يهواه عن بعد
ويعزى إليه كل ما لا يقوله
لتنقيصه عند التهامي والنجدي

فيرميــه أهــل الــرفض بالنصــب فريــة
ويرميـه أهـل النصـب بـالرفض والجحـد
ولــيس لـــه ذنـــب ســـوى إنـــه أتـــى
بتحكـــيم قـــول الله في الحـــل والعقـــد
ويتبـــع أقـــوال الـــنبي محمـــد
وهـل غـيره بـالله في الشـرع مَـنْ يهـدي
لــئن عـــده الجهـــال ذنبـًــا فحبـــذا
بـــه حبـــذا يـــوم انفـــرادي في لحـــدي
ســلامي علـــى أهـــل الحـــديث فـــإنني
نشـأت علـى حـب الأحاديـث مِـنْ مهـدي
هـــم بـــذلوا في حفـــظ ســـنة أحمـــد
وتنقيحهـا مـن جهـدهم غايـة الجهـد
أأنـــتم أهـــدى مـــن صـــحابة أحمـــد
وأهـل الكسـا هيهـات مـا الشـوك كـالورد
أولئـــك أهـــدى في الطريقـــة منكمـــو
فهـــم قـــدوتي حتـــى أوســـد في لحـــدي

ويقول الشيخ الشوكاني يرثي الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويثني عليه في قصيدة له (١) :

مصـــاب دهـــا قلـــبي فـــأذكى غلائلـــي
وأصـــمى بســـهم الافتجـــاع مقـــاتلي
وخطـــب بـــه أعشـــار أحشـــائي صـــدعت
فأمســـت بفـــرط الوجـــد أي تـــواكلي

---

(١) « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٨٣-٨٤) .

ورزء تقاضاني ، صفاء معيشتي
وأنهلني قسرًا أمرَّ المناهل
مصاب به ذابة حشاشة مهجتي
وعن حمله قد كل متني وكاهلي
مصاب به الدنيا قد اغبرَّ وجهها
وقد شمخت أعلام قوم أسافل
به انهد ركن الدين وانبت حبله
وشد بناء الغي مع كل باطل
وقام على الإسلام جهرًا وأهله
نعيق غراب بالمذلة هائل
وسيم منار الأتباع لأحمد
هوان انهدام جاء من كل جاهل
لقد مات طود العلم قطب رحى العلا
ومركز أدوار الفحول الأفاضل
وماتت علوم الدين طرًا بموته
وغيب وجه الحق تحت الجنادل
إمام الهدى ماحي الردى قامع العدا
ومروي الصدى من فيض علم ونائل
إمام الورى عَلاَّمة العصر قدوتي
وشيخ الشيوخ الجد فرد الفضائل
(محمد) ذو المجد الذي عز دركه
جل مقامًا عن لحوق المطاول
إلى عابد الوهاب يعزى وإنه
سلالة أنجاب زكي الخصائل

عليـــه مـــن الـــرحمن أعظـــم رحمـــة
تبـــل نـــراه بالضـــحى والأصـــائل
لقـــد أشـــرقت نجـــد بنـــور ضـــيائه
وقـــام مقامـــات الهـــدى بالـــدلائل
ومـــن شـــأنه قمـــع الضـــلال ونصـــره
لمـــن كـــان مظلومًـــا ولـــيس بخـــاذل
وكـــم كـــان في الـــدين الحنيـــف مجاهـــدًا
بماضـــي ســـنان دامـــغ للأَباطـــل
وكـــم ذب عـــن ســـامي حمـــاه وذاد مـــن
مضـــل وبـــدعيٍ ومعفـــو نائـــل
ففـــيم اســـتباح أهـــل الضـــلال لعرضـــه
ومـــا نكســـت أعلامـــه لـــلأراذل
فلـــولاه لم تحـــرز رحـــى الـــدين مركـــزًا
ولا اشـــتد للإســـلام ركـــن المعاقـــل
ولا كـــان للتوحيـــد واضـــح لا حـــب
يقـــيم اعوجـــاج الســـير مـــن كـــل عـــاذل
فمـــا هـــو إلا قـــائم في زمانـــه
مقـــام الـــنبي في إماتـــة باطـــل
ســـتبكيه أجفـــاني حيـــاتي وإن أمـــت
ســـيبكيه عـــني جفـــن طـــل ووابـــل
أفـــق يـــا معيـــب الشـــيخ مـــاذا تعيبـــه
لقـــد عِبـــت حقـــًا وارتحلـــت بباطـــل
نعـــم ذنبـــه التقليـــد قـــد جـــد حبلـــه
وبـــل التعصـــب بالســـيوف الصـــياقل

ولمـــا دعـــا الله في الخلـــق صـــارخًا
صـــرختم لـــه بالقـــذف مثـــل الزواجـــل
أفيقـــوا أفيقـــوا إنـــه لـــيس داعيًـــا
إلى ديـــن آبـــاء لـــــه وقبائـــــل
دعـــا لكتـــاب الله والســـنة الـــتي
أتانـــا بهـــا طـــه الـــنبي خـــير قائـــل

وكتب الشيخ عَلَّامة العراق محمود شاكر الآلوسي في آخر تاريخه لنجد يقول في حق الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله [١] : « كان الشيخ محمد من بيت علم في نواحي نجد ، وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب عالمًا فقيهًا على مذهب الإمام أحمد ، وكان قاضيًا في بلد العيينة ، ثم في حريملاء ، وذلك أوائل القرن الثاني عشر ، وله معرفة تامة بالحديث والفقه وله أسئلة وأجوبة .

وكان والد عبد الوهاب الشيخ سليمان ، عالمًا فقيهًا ، أعلم علماء نجد في عصره ، له اليد الطولى في العلم ، وانتهت إليه رياسة العلم في نجد ، صنَّف ودرَّس وأفتى ، إلا أن الشيخ محمدًا لم يكن على طريقة أبيه وجده ، وكان شديد التعصب للسنة ، كثير الإنكار على من خالف الحق من العلماء .

والحاصل : أنه كان من العلماء الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، وكان يعلم الصلاة وأحكامها ، وسائر أركان الدين ، ويأمر بالجماعات ، وقد جد في تعليم الناس ، وحثهم على الطاعات ، وأمرهم بتعلم أصول الإسلام وشرائطه ، وسائر أحكام الدين ، وأمر جميع أهل البلاد بالمذاكرة في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشائين بمعرفة الله ، ومعرفة دين الإسلام ، ومعرفة أركانه ،

---

(١) « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٨٨-٨٩) .

ومعرفة النبي محمد ﷺ ونسبه ومبعثه وهجرته .

وأول ما دعا إليه كلمة التوحيد ، وسائر العبادات التي لا تنبغي إلا لله ، كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والتوكل والإنابة وغير ذلك ، فلم يبق أحد من عوام نجد جاهلًا بأحكام دين الإسلام ، بل كلهم تعلموا ذلك ، بعد أن كانوا جاهلين إلا الخواص منهم ، وانتفع الناس به من هذه الجهة الحميدة أي سيرته المرضية وإرشاده النافع » اهـ .

وقال الزركلي في الأعلام (الجزء السابع) ما مختصره [1] : « محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان التميمي النجدي ، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب ، ولد ونشأ في العيينة بنجد ، ورحل مرتين للحجاز ، ثم ذهب إلى المدينة ، ورحل إلى البصرة ، وعاد إلى نجد ، وسكن حريملاء ، ثم انتقل إلى العيينة ، ناهجًا منهج السلف الصالح ، وداعيًا إلى التوحيد الخالص ، ونبذ البدع ، وتحطيم ما علق بالإسلام من الأوهام ، وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله ، تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها » اهـ . باختصار .

ومما كتبه الدكتور/ محمد عبد الله ماضي في كتابه (حاضر العالم الإسلامي) تحت عنوان (النهضة العربية السعودية) كتب يقول [2] :

« كما بعث الرسول ﷺ محمد بن عبد الله بين العرب وهم في فوضى شاملة وانحطاط عام وتفكك وانحلال ليس لهم وحده تربطهم ولا فكرة صالحة تجمعهم فنشر مبادئ الإسلام بينهم ، وجمعهم على التوحيد ، فوحد بينهم في العقيدة ،

---

(١) « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٩٨) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ٩٨-٩٩) .

فأصبحوا يدينون بمبدأ واحد ، ويعبدون الله وحده ، فوحد بينهم في المظهر ، وجعل منهم أمة واحدة عربية مسلمة ، قوية عزيزة الجانب ، وأقام لهم دولة على أساس من الدين الحنيف ، فكذلك أخذ المصلح الديني والزعيم الإسلامي محمد ابن عبد الوهاب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري ، يدعو إلى تصحيح العقيدة والرجوع إلى مبادئ الإسلام الصحيحة ، واعتناقها من جديد بين النجديين ، وكانوا قد فسدت عقيدتهم وضلت سيرتهم ، وأخذ الزعيم السياسي النجدي محمد بن سعود يناصر ابن عبد الوهاب في دعوته الدينية الإصلاحية ، ويعمل على نشرها واعتناق الناس لها » اهـ .

وكتب الشيخ عبد الكريم الخطيب في كتابه (محمد بن عبد الوهاب العقل الحر) في الفصل الخامس يقول [(١)] :

« الكلمة الطيبة كلمة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء لأنها كلمة الحق ، والحق في ظل الله يباركه وينتصر له ، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الكلم الطيب ، لأنها تستند إلى الحق ، وتدعو له ، وتعمل في سبيله ، لهذا كانت دعوة مباركة وفيرة الثمر ، كثيرة الخير ، لقد قام صاحبها يدعو إلى الله لا يبغي بهذا جاهًا ولا يطلب سلطانًا وإنما يضيء للناس معالم الطريق ، ويكشف لهم المعاثر والمزالق التي أقامها الشيطان وأعوان الشيطان » اهـ .

وفي كتابه (محمد بن عبد الوهاب) ذكر الأستاذ/ علي طنطاوي ما كان في الجزيرة العربية من البدع قبل ولادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقال [(٢)] : « واعتقد الناس النفع والضر بالرسول ﷺ والصالحين ، وبالقبور والأشجار

---

(١) « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ١٠١) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ١١٢) .

والقباب والمزارات ، فيطلبون منهم الحاجات ، ويرجعون في الشدائد إليهم ، وينذرون لهم ، ويذبحون لهم ، واشتد تعظيم الأموات ، وكان حظ نجد في هذه الجاهلية الجديدة أكبر الحظوظ ، فقد اجتمع على أهله الجهل والبداوة والفقر ، والانقسام في كل ناحية من نواحي نجد ، من الأمراء ، بمقدار ما كان فيها من القرى ، ففي كل قرية أمير ، وفي كل ناحية جمعية أمم ، وكان في كل إمارة قبر عليه بناء ، أو شجرة لها أسطورة ، يقوم عليها سادن من شياطين الإنس ، يزين للناس الكفر ، ويدعوهم إلى الاعتقاد بالقبر والذبح له ، والتبرك به ، والدعاء عنده » .

وقال [1] : « وكان العلماء قلة ، والحكام عتاة ظلمة ، والناس فوضى يغزو بعضهم بعضًا ، ويعدو قويهم على ضعيفهم ، في تلك البيئة نشأ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فرأى شمس الإسلام إلى أفول ، ورأى ظلمة الكفر إلى امتداد وشمول ، وأراد الله له الخير ، فقدر له أن يكون أحد الذين أخبر الرسول أنهم يبعثون ليجددوا لهذه الأمة دينها ، بل لقد كان أحق بهذا الوصف من كل ممن وصف به في تاريخنا ، فقد حقق الله على يديه عودة نجد إلى التوحيد الصحيح ، والدين الحق ، والألفة بعد الاختلاف ، والوحدة بعد الانقسام .

ولا أقول : إن الرجل كامل ، فالكمال لله ، ولا أقول : إنه معصوم ، فالعصمة للأنبياء ، ولا أقول : إنه عار عن العيوب والأخطاء ، ولكن أقول : إن هذه اليقظة التي عمت نجد ، ثم امتدت حتى جاوزته إلى أطراف الجزيرة ، ثم إلى ما حولها ، ثم امتدت حتى وصلت إلى آخر بلاد المسلمين ليست إلا حسنة من حسناته عند الله إن شاء الله » اهـ .

---

(١) المصدر السابق ، (ص : ١١٣) .

انتشار الدعوة خارج موطنها

لم يقتصر انتشار الدعوة الوهابية السلفية على الدولة السعودية وحدها ، ولكنه تعداها إلى العديد من البلاد داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها ، وظهر أثرها على العديد من الحركات الإصلاحية التي ظهرت في العالم الإسلامي بعدها ، وتختلف مظاهر التأثر بالدعوة الوهابية من حركة إلى أخرى ، ومن مكان إلى آخر ، وينبغي أن نضع في الاعتبار أن تأثر أي دعوة بدعوة أخرى لا يعني أخذها بجميع ما جاءت به الدعوة التي سبقتها ، ولكن يكفي في إظهار هذا التأثر بها أن تدعو إلى أهم أسسها ، أو تقتفي أثرها في العديد من جوانبها ، أو يتأثر مؤسسوها بفكر وأراء أصحاب الدعوة الأولى سواء قرب الزمن بينهما أو تباعد ، وتقاربت المسافات أم تناءت ، وإذا كنا نعد الدعوة الوهابية دعوة سلفية متأثرة بدعوة ابن تيمية وابن القيم مع التباعد الزمني والمكاني بين الدعوتين ، فلا غرابة أن نعد الحركات الإصلاحية التي ظهرت بعد الدعوة الوهابية متأثرة بها طالما شاركتها في عقيدتها السلفية وما دعت إليه من مبادئ وأسس .

□ ويؤيد ما سنذكره عن بعض هذه الحركات الإصلاحية المتأثرة بالدعوة الوهابية أمور عديدة منها :

١- أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مهدت للدعوات الدينية الإصلاحية بعدها ، فقد كانت الحركات الإصلاحية قبلها حركات سياسية ، قام بها من يطمع في الحكم والاستقلال بحكم بلد أو دولة لنفسه وأولاده من بعده ـ خاصة مع ضعف الدولة العثمانية ـ ، دون الأخذ بأي جوانب دينية . أما دعوة الشيخ رحمه الله فكانت دعوة دينية في المقام الأول ، ووجدت الدعم السياسي والعسكري ممن آمن بها واعتنق مبادأها ، وسعى لإقامة دولة على أسسها .

٢- أن أصحاب هذه الدعوات الإصلاحية الدينية وجدوا في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسيرته القدوة والأسوة التي دفعتهم إلى إظهار دعوتهم الإصلاحية ، والأخذ بالمنهج السلفي في الدعوة ، وتنوعت ـ كما سنرى ـ دعواتهم بين الأخذ بالأسلوب السلمي والأخذ بالأسلوب المسلح .

٣- أن الدعوات الإصلاحية القريبة زمنيًا من وقت دعوة الشيخ كانت تميل أكثر إلى الأخذ بالأسلوب المسلح ، وأنه كلما بعد الزمن عن دعوة الشيخ مالت إلى الأسلوب الإصلاحي السلمي ، خاصة وإن فشل هذه الدعوات الإصلاحية في أسلوبها المسلح جعلها بعد انكسارها تستمر في تواجدها ولكن بصورة سلمية .

٤- أن من هذه الدعوات ما تركز حول قضايا التوحيد ، ومحاربة مظاهر الشرك ، خاصة في البلاد الإسلامية التي ينتشر فيها التصوف ببدعه القائمة على تعظيم الصالحين والمقبورين ، ومن الدعوات ما تركز حول قضايا الاجتهاد ، ونبذ التقليد ، والدعوة إلى تحرر الأمة من الجمود والركود ، الذي استمرت فيه لقرون عديدة .

وهذه القضايا : قضايا التوحيد وقضايا الاجتهاد ونبذ التقليد من أبرز ما أظهرته الدعوة الوهابية السلفية ، فالصلة بين الدعوة الوهابية وغيرها مما ظهر بعدها من الدعوات الإصلاحية إما عن طريق الاقتباس أو المحاكاة أو مجرد التأثر بالأفكار والمبادئ ، كما أن هذه المبادئ تبناها علماء إصلاحيون لهم جهودهم الإصلاحية الطيبة المثمرة في أزمانهم فصاروا متبعين للنهج السلفي ولهم أتباعهم المتأثرون بهذا النهج من بعدهم .

☐ ويرجع بقاء الدعوة الوهابية وانتشار فكرها ومبادئها بعد فضل الله تعالى إلى عوامل عديدة منها :

١- جهود الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تأسيس الدعوة :

فلقد بذل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله جهدًا كبيرًا ولم يدخر وسعًا في نشر دعوته ، وخاطر بحياته من أجلها ، وجمع لدعوته الأتباع والأعوان ، وجعل لها من تلاميذه علماء ودعاة من بعده ، فدرس وربى ، وألف الكتب ، وكتب الرسائل ، فكانت لرسائله ولكتبه ولتلاميذه ولأتباعه قوة دفع استمرت بعد وفاة الشيخ رحمه الله ، ووجدت الدعوة تراثًا علميًا لها ، وكتب علماؤها ودعاتها وألفوا الكثير من الكتب والرسائل في نشر هذه الدعوة ، والرد على مخالفيها ، فكان لذلك بفضل الله تعالى الأثر الكبير في استمرار الدعوة وانتشارها بين العلماء والدعاة وطلاب العلم والمصلحين والمفكرين جيلًا بعد جيل في شتى بقاع الأرض التي وصلتها هذه المؤلفات والكتب والرسائل ، خاصة أنها تحمل دعوة الإسلام الصافية النقية القائمة على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ، والتي لسهولة فهمها وقوة تقبلها تجد الاستجابة العالية عند الكثيرين ممن يبحثون عن الحق ويتوقون إليه [1] .

٢- وجود القوة السياسية المساندة للدعوة :

فلقد وجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودعوته السلفية من بعده ، الدعم والسند السياسي لدعوته الدينية الإصلاحية متمثلة في الأمير محمد بن سعود ، ثم حكام آل سعود من بعده ، ولقد كان لهذا الدعم السياسي أثره في التمكين للدعوة ، وإبلاغ صوتها إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وربما لو لم يحظ الشيخ بهذا الدعم - بفضل الله تعالى - لما تمكن من نشر دعوته كما أراد ، وربما لم تستمر دعوته بعد وفاته .

---

(١) راجع « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٧٦) .

لقد بذل أنصار الدعوة من (آل سعود) من التضحية بأنفسهم وأموالهم الكثير ، وحملوا مع الشيخ في حياته ـ ثم مع علماء الدعوة من بعد وفاته ـ مشعل الدعوة ، فشدوا من أزره حيًا ونصروا دعوته ميتًا ، وما ضنوا على نصرتها بشيء ، حتى زالت دولتهم السعودية الأولى عام ١٢٣٣هـ (الموافق ١٨١٨م) ، ثم انتقلت هذه النصرة وتبنى الدعوة من جديد ومساندتها إلى الدولة السعودية الثانية ، حتى زالت ، ثم عادت لنصرة الدعوة سياسيًا من جديد في العصر الحديث في ظل الدولة السعودية الثالثة القائمة حاليًا [١] .

٣- البيئة التي احتضنت الدعوة :

ظهرت الدعوة في بلاد نجد ، وهي بيئة صحراوية ، أهلها رغم ما هم فيه من التقشف وشظف العيش ـ بالمقارنة بغيرهم ـ لهم صفات طيبة من المروءة والشجاعة والنصرة ، ونجد كذلك لم تكن مطمع لقوى أجنبية أو سياسية كبيرة ، حتى أن الدولة العثمانية التي بسطت نفوذها على كل البلاد العربية والإسلامية لم تتطلع إلى بسط السيطرة العسكرية على نجد ، فلم تدخلها حامية تركية ، أو يُعَيَن لها والٍ تركي ، اكتفاءًا بالخضوع المعنوي لحكام نجد لسلطة الخلافة وللسلطان العثماني .

ولهذا وجدت الدعوة الوقت الكافي لتثبيت أقدامها وتربية أعوانها وتعليم أتباعها ، لذا بقيت الدعوة رغم مرور القرون الثلاثة عليها ، ولم يفت في عضدها ما تعرضت له دولة آل سعود من الانكسار السياسي والهزيمة العسكرية في بعض الفترات ، وكلما أقام آل سعود لهم دولة وجدوا من أتباع الدعوة الوهابية الأعوان

---

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ٧٧) .

والأتباع والأنصار والمؤيدين .

إن أي دعوة تحتاج في تأسيسها وبنائها إلى فترة من الوقت طويلة تبني فيه نفسها ، دون أن يتآمر عليها من يستأصلها ويسقطها قبل أن تقف على أقدامها ، فإنها إن وجدت القاعدة الأساسية لها طال بعد ذلك بقاؤها [(١)] .

٤- دور علماء الدعوة ودعاتها :

لعلماء الدعوة الوهابية قديمًا وحديثًا الدور الكبير في نشر الدعوة السلفية وبقائها ، فعن طريق جهودهم في التعليم والتدريس والتربية والتأليف والكتابة ، والرد على المخالفين ، والنصح والإرشاد ، وصلت أخبار الدعوة ومبادؤها إلى الكثير من البلدان الإسلامية شرقًا وغربًا ، وصار لهم تلاميذ وطلاب علم يقصدونهم من كل مكان للأخذ عنهم ، وحمل علمهم في شتى بقاع الأرض ، كما أن الحكومات التي تبنت الدعوة سياسيًا قامت ـ وتقوم ـ بإرسال العلماء والدعاة لنشر مبادئ الدعوة داخل وخارج الجزيرة العربية [(٢)] ، كما أنهم أنشأوا المعاهد والكليات العلمية التي يؤمها طلاب العلم من كل مكان يتعلمون فيها وفق المنهج السلفي .

٥- الاستفادة من مواسم الحج في نشر الدعوة بين الحجيج :

وهذا العامل من أهم العوامل التي ساعدت على نشر الدعوة الوهابية في أرجاء العالم الإسلامي ، فدخول الحجاز تحت نفوذ الدعوة الوهابية أعطى الفرصة للالتقاء بين حجاج العالم الإسلامي ككل وعلماء ودعاة الدعوة ، وغالبًا

---

(١) راجع « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٧٧-٧٨) .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ٧٨) .

ما تثمر المناقشات واللقاءات عن عودة الكثير من الحجيج وقد اقتنعوا بمبادئ الدعوة ، بل وصار منهم من تحمل عبء الدعوة إليها في بلاده ، خاصة وقد رأوا ثمار تطبيق مبادئ الدعوة في بلاد نجد والحجاز ، ولمسوا بأنفسهم ما يعيش فيه أهلها ـ من الأمن والاستقرار والأمان بتطبيق ما جاءت به هذه الدعوة الوهابية السلفية المباركة [١] .

---

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ٧٩) .

نماذج من انتشار الدعوة خارج موطنها

□ في أطراف الجزيرة العربية :

امتدت الدعوة الوهابية إلى أطراف الجزيرة العربية خاصة بعد دخول الدعوة الحجاز ، وامتداد نشاط الدعوة الديني والسياسي إلى الأطراف الشمالية والجنوبية والغربية لبلاد نجد ، من خلال إرسال الدعاة والمرشدين المنتمين للدعوة إليها ، أو دخول بعض هذه المناطق أو القبائل المتواجدة فيها في إطار النفوذ السياسي لحكم آل سعود عبر الحروب المتتالية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين ، قبل استقرار الدول السعودية الثالثة بحدودها الجغرافية الحالية .

ومن أشهر من تأثروا بالدعوة ، وتبنوا مبادأها ، وسعوا إلى نشرها بين الناس ، حتى صار لهم أتباع ، ووقعت بينهم وبين خصوم الدعوة الوهابية منازعات ومناقشات ، اثنان من العلماء اليمنيين البارزين وهما :

الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني :

الذي ولد في عام ١٠٩٩هـ ، وتوفي في عام ١١٨٢هـ ، وقام بجهد مشكور في دعوة أهل اليمن إلى التوحيد الخالص ، بما يوافق مبادئ الدعوة الوهابية [١] . وللصنعاني قصيدة طويلة بعث بها للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، يمدح فيها دعوته ، ويثني عليها ويشيد بأهميتها ومطلعها [٢] :

---

(١) انظر « دعوة الشيخ » ، (ص : ٨٣) .

(٢) انظر المصدر السابق ، (ص : ٨٣) .

سلامي على نجد ومن حل في نجد
وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

الشيخ محمد بن علي الشوكاني :

الذي ولد عام ١١٧٢هـ ، وتوفي عام ١٢٥٠هـ ، وله أيضًا جهد مشكور في دعوة أهل اليمن في عصره إلى التوحيد ، ومحاربة البدع ، ونبذ التقليد ، كما يظهر من مؤلفاته تأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ ، وكتابه (نيل الأوطار) الذي هو أشهر كتبه هو شرح كتاب ابن تيمية الجد (منتقى الأخيار) ، وللشوكاني ﷺ قصيدة في رثاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب حينما بلغه نبأ وفاته ، مطلعها [1] :

مصاب دها قلبي فأذكى غلائلي وأصمى بسهم الافتجاع مقاتلي

□ من آثار الدعوة الوهابية في الهند :

انتشرت مبادئ الدعوة الوهابية السلفية بين كثير من المسلمين في الهند منذ القرن التاسع عشر الميلادي ، ويعد الشيخ أحمد بن عرفان الباريلي من أوائل من حملوا الدعوة إلى الهند ، وقد ولد ﷺ عام ١٢٠١هـ (الموافق ١٧٨٦م) ، في مدينة (باريلي) في الهند ، وإليها ينسب ، حيث نشأ في أسرة مسلمة محافظة ، وعايش ما يعانيه المسلمون من ضعف وتأخر ، في ظل الاستعمار الإنجليزي للهند ، ولمس بنفسه ما فيه مسلمو الهند من انحراف عن العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وانتشار البدع وانحراف وتقديس الصالحين ، إلى جانب التأثر بعادات وطقوس الهندوس الوثنيين .

---

(١) انظر « دعوة الشيخ » ، (ص : ٨٣) .

وفي عام ١٢٣٦هـ (الموافق ١٨٢١م) زار الشيخ مكة لأداء فريضة الحج ، فقابل بعض علماء الدعوة الوهابية فيها ، فعرضوا عليه مبادئ الدعوة السلفية فأقتنع بها سريعًا ولما عاد إلى بلاده تولى نشر مبادئ الدعوة فيها ، حيث استجاب لدعوته الآلاف من المسلمين ، ويتضح من رسائله وكتاباته أنه سعى لمحاربة البدع والخرافات ، ومقاومة الإنجليز لاستعادة الحكم الإسلامي من جديد ، وأسس بالفعل دولة مستقلة في البنجاب (شمال غرب الهند) وما حولها ، وامتدت دولته حتى وصل نفوذها إلى السند وبلوخستان من أفغانستان ،ولكن الإنجليز والهنود السيخ تعاونوا على محاربته ، فاستشهد ﷺ في قتاله لهم في عام ١٢٤٦هـ (الموافق ١٨٣١م) ، واضمحلت دولته من بعده ، ولكن اتباع دعوته ظلوا على دعوتهم الإصلاحية في الهند [١] .

□ من آثار الدعوة الوهابية في بلاد البنغال :

بلاد البنغال هي ما يطلق عليه الآن اسم دولة (بنجلاديش) ، أو باكستان الشرقية ، وكانت في القرن التاسع عشر الميلادي جزءًا من الهند ، وشهدت دعوة مماثلة لدعوة الشيخ أحمد الباريلي وأتباعه في البنجاب ، متأثرة بها ، ولكنها اتخذت طابعًا سلميًا حيث تعدد فيها الدعاة إلى تصحيح أحوال المسلمين هناك ، وكان بعضهم قد تلقى علوم الدين على يد علماء الدعوة السلفية في نجد والحجاز من آل الشيخ وغيرهم ، مثل عبد الله وعمر ابني حسن حفيدي الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقد تأثر بالدعوة السلفية هناك داعية مشهور اسمه (أحمد خان) ،

---

(١) راجع في ذلك « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٨٤-٨٦) و « من زعماء الإصلاح » لأحمد أمين ، (ص : ١٧-١٨) .

الذي ولد عام ١٢٣٧هـ (الموافق ١٨١٧م) ، وقام بدعوة إصلاحية في (بتنا) ببلاد البنغال ، ومنها إلى ما حولها من أرجاء الهند ، داعيًا إلى التمسك بالإسلام وتنقيته من البدع والخرافات ، واتخذت دعوته الطابع السلمي الخالص ، ومن جهوده : تأسيس جماعة (عليكره) العلمية عام ١٨٦١م ، وإنشاء صحيفة (تهذيب الأخلاق) ، والمساهمة في تأسيس كلية (عليكره) ، وقد توفي ﷺ عام ١٣١٦هـ الموافق ١٨٩٨م [١] .

□ من آثار الدعوة الوهابية في سومطرة بأندونسيا :

جزيرة سومطرة جنوب الملايو ، أكبر الجزر الإندونسية ، وقد دخلتها الدعوة السلفية أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، الموافق القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث عاد بعض الأشخاص من أهل الجزيرة إلى جزيرتهم عام ١٢١٨هـ - ١٨٠٣م متأثرين بالدعوة السلفية في الحجاز بعد أداء فريضة الحج في مكة والاتصال بعلماء الدعوة الوهابية ، والاطلاع على مبادئها والاقتناع بها ، فقاموا بالدعوة إلى التوحيد ومحاربة البدع والخرافات في بلادهم ، فصار لهم قوة كبيرة من الاتباع ، ودخلوا في حرب مع خصوم لهم من غير المسلمين ، فتدخلت حكومة الاستعمار الهولندي في أندونسيا في ذلك الوقت ضد اتباع الدعوة ، واستمرت الحرب بين اتباع الدعوة وبين المستعمرين الهولنديين قرابة ستة عشر عامًا ، انتهت بالقضاء على النفوذ السياسي لأتباع الدعوة السلفية في الجزيرة ، ولكن ظل أتباعها متمسكين بمبادئ دعوتهم الإصلاحية ، وتولوا نشرها بالطرق السلمية ، وحققوا نجاحات في هذا المجال ، ويفد العديد من طلاب العلم المسلمين من جزيرة

(١) راجع في ذلك « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٨٦-٨٧) .

سومطرة وما حولها إلى نجد والحجاز لدراسة مبادئ الدعوة السلفية على شيوخ الدعوة ، حيث يقومون بنشرها بعد العودة إلى بلادهم ، مما يساهم في تصحيح عقائد المسلمين هناك وتنقيتها من البدع والخرافات المنتشرة هناك نتيجة الجهل بالدين [١] .

□ من آثار الدعوة في التركستان :

ظهر في التركستان داعية اسمه (صوفي بادال الخوقندي) من (قوقند) بالتركستان الغربية ، تحمس لنشر مبادئ الدعوة السلفية هناك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ، الموافق النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، وقاد ثورة ضد روسيا القيصرية ، ولكن القوات الروسية تغلبت عليه وعلى اتباعه في نهاية الأمر ، فاقتصر نشاط اتباعه بعد ذلك على الدعوة السلمية [٢] .

تنبيه هام :

أما ما يقال عن تأثر بعض الشخصيات الإصلاحية ، وبعض الحركات الإصلاحية ، بالدعوة الوهابية مع كونهم لم يتبنوا قضايا التوحيد التي تبنتها الدعوة الوهابية ، ولا يُعرف عنهم أنهم أظهروا التتلمذ على كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومؤلفاته ، أو طبقوا ما فيها ، بل في بعضها اتجاهات مخالفة للدعوة الوهابية ، فذكر تأثرهم بالوهابية محل نظر ، وإلا فأين مثلًا الحركة المهدوية في السودان ـ وقد زعم مؤسسها أنه المهدي ـ من عقيدة السلف في المهدي .. وما نقل

(١) راجع في ذلك « دعوة الشيخ » ، (ص : ٨٨-٨٩) ، « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٧٩) .
(٢) راجع « دعوة الشيخ » ، (ص : ٨٩) .

عن بعضهم من مدح للشيخ محمد بن عبد الوهاب في رحلات حج ونحوها وإبداء الموافقة لها لا يكفي في ضمهم إلى من تأثروا بالدعوة فعليًا ، طالما لم تترجم هذه الأعمال إلى الأخذ بقضايا الدعوة السلفية في مؤلفاتهم وحركاتهم الإصلاحية وتبنيها ، وتبني المنهج السلفي .

يقول الدكتور صالح العبود عن ذلك ما مختصره :

« كل ذلك يحتاج إلى دقة وتحقيق ودليل يثبت أن هذه الدعوات والحركات تأثرت بعقيدة الشيخ وحركته ودعوته وقيام أنصاره ، والحقيقة أن هذه الدعوات والحركات نابعة من أهلها ، وهم لا يذكرون أنهم من أتباع الشيخ ، ولا أنهم تتلمذوا عليه ، أو قرأوا كتبه ومؤلفاته ، وأرادوا تطبيقها [1] ، ويبدو أن ادعاء بعض الكُتَّاب عن بعض المصلحين ، أو بعض الدعوات الإصلاحية ، أنها تأثرت بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يرجع إلى وجود وجه للشبه بينها وبين دعوة الشيخ ، فجعلوا هذه الجزئية من التشابه كافية لإثبات التأثر بالوهابية ، دون النظر لباقي الجوانب والتي فيها الاختلاف الواضح عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب [2] . فمثلًا دعوة الأستاذ محمد عبده هاجمت التصوف ، ونادت بنبذ التقليد ، وفتح باب الاجتهاد في الدين ، وتبنت الإصلاح عن طريق التربية والتعليم ، ونبذ البدع والخرافات ، وهذه جوانب فيها ما فيها من الاتفاق مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكن شتان بين منهج محمد عبده العقلاني ، ومنهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفي .

---

(١) انظر « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٢٨) ، نقلًا عن د. صلاح العبود في « عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » جـ ٢ (٩١٨-٩٢٠) مع الاختصار .

(٢) راجع « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٢٨-٢٩) .

يقول د . محمد محمد حسين مشيرًا إلى هذا الخلط بين المنهجين ما مختصره [١] :

« حتى خلطوا بهم كل من دعا بهذه الدعوة (أي مهاجمة التصوف) واعتبروه منهم ، غافلين عن أن التصوف يمكن أن يهاجم من منطلقين مختلفين ، من منطلق سلفي يهاجم الابتداع ، ومن منطلق علماني ينكر الغيبيات ، ويخضعها للتفكير الحر ، ومن هذا المنطلق خلطوا بين الأفغاني ومحمد عبده وبين محمد بن عبد الوهاب » .

□ في الصين :

ظهر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي داعية إسلامي اسمه (الشيخ نوح ماكويوان) قام بعد عودته من أداء فريضة الحج والتأثر بمبادئ الدعوة السلفية من علمائها بالحجاز بالدعوة إلى التوحيد ، ومحاربة البدع والشركيات ، في بعض مقاطعات الصين ، وتسمى اتباعه بـ (الإخوان) ، وظهر لهم نشاط إصلاح كبير ، استمر حتى قيام الثورة الشيوعية في الصين عام ١٩٤٩م [٢] .

---

(١) راجع « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٢٩) ، نقلًا عن د. محمد محمد حسين في « دعوة الإمام بين التأييد والمعارضة » ، من بحوث أسبوع الشيخ باختصار .

(٢) راجع « دعوة الشيخ » ، (ص : ٩٠) .

من آثار الدعوة في مصر

الشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا

تتلمذ الشيخ محمد عبده على يد جمال الدين الأفغاني [١] ، وتأثر به ، واشتغل معه في السياسة لفترة ، لكنه رأى أن السبيل للإصلاح يبدأ بالجانب التربوي وتصحيح عقائد المسلمين مما شابها من صور الانحراف ، مع فتح باب الاجتهاد ومحاربة التقليد ، وهذا في مجمله يوافق ما تدعو إليه الدعوة السلفية من تصحيح العقيدة ، ونبذ التقليد ، وفتح باب الاجتهاد [٢] .

يقول الأستاذ / أحمد أمين في كتابه (من زعماء الإصلاح) [٣] :

« وفي مصر شب الشيخ محمد عبده فرأى تعاليم ابن عبد الوهاب تملأ الجو ، فرجع إلى هذه التعاليم في أصولها من عهد الرسول إلى عهد ابن تيمية إلى عهد ابن عبد الوهاب ، وكان أكبر أمله أن يقوم في حياته للمسلمين بعمل صالح ، فأداه اجتهاده وبحثه إلى هذين الأساسين اللذين بنى عليها محمد بن عبد الوهاب تعاليمه وهما :

١- محاربة البدع وما دخل على العقيدة الإسلامية من فساد بإشراك الأولياء والقبور والأضرحة مع الله تعالى .

٢- فتح باب الاجتهاد الذي أغلقه ضعاف العقول من المقلدين ، وجرد نفسه لخدمة هذين الغرضين .

---

(١) ولد الشيخ محمد عبده عام ١٢٦٦هـ الموافق ١٨٤٩م ، وتوفي عام ١٣٢٣هـ الموافق ١٩٠٥م .

(٢) راجع « دعوة الشيخ » ، (ص : ٩١-٩٢) .

(٣) من زعماء الإصلاح لأحمد أمين ط . مكتبة الأسرة ١٩٩٥م ، (ص : ١٩) .

« ففي دروسه في التفسير التي كان يلقيها في الرواق العباسي بالأزهر كان ينتهز كل إشارة لآية ولو من بعيد تندد بالشرك فيفيض في الحملة على عبادة الصالحين وزيارة القبور والشفاعة والتوسل وما إلى ذلك »[١] .

« وينتهز فرصة وجود جماعة من العلماء عنده في يوم مولد النبي ودعوته للعشاء عند أحد المحتفلين فيبين لهم أن هذه الموالد كلها منكرات »[٢] ، « ويضع الشيخ تفسيرًا لجزء عم للناشئة فيلتمس كل وسيلة للحملة على كل ما يشوب التوحيد من شرك بعبادة المشايخ والقبور والأضرحة ، والتخريف ، راجيًا أن ينشأ الشباب نشأة دينية صحيحة خيرًا مما عليه أباؤهم »[٣] .

ويذكر الشيخ حافظ وهبه في كتابه (٥٠ عامًا في جزيرة العرب) أنه سمع الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي مصر يثني في دروسه بالأزهر على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ويلقبه بالمصلح العظيم ، ويلقي تبعة وقف دعوته الإصلاحية على الأتراك ، وعلى محمد علي الألباني لجهلهم ومسايرتهم لعلماء عصرهم ، ممن ساروا على سنة من سبقهم من مؤيدي البدع والخرافات ، ومجافاة حقائق الإسلام[٤] .

وأعانه في هذا السبيل تلميذه وصديقه محمد رشيد رضا في مجلة المنار ، فقد ملأها كذلك بمثل هذه الدعوة ومثل هذه الحجج ، يسمع بها المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية[٥] .

---

(١) المصدر السابق ، (ص : ٢٠) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ٢٠) .

(٣) المصدر السابق ، (ص : ٢١) .

(٤) انظر « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ١١٨) .

(٥) « من زعماء الإصلاح » لأحمد أمين ، (ص : ٢١) .

بل يعد الشيخ محمد رشيد [1] رضا من أكبر أنصار الدعوة السلفية في مصر في وقته ، وله كتب توضح ارتباطه بها منها كتاب (الوهابيون والحجاز) ، وكتاب (السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة) ، وكتاب (المنار والأزهر) وغيرها ، كما قامت مطبعة المنار في مصر بطبع عدد من مؤلفات شيوخ الدعوة السلفية ومريديها [2] .

الاتجاه السلفي للشيخ محمد رشيد رضا :

وقد قام الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله بتحقيق كتاب (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) ، تأليف محمد بشير السهسواني الهندي ، مما يدل على اعتنائه بالدعوة الوهابية السلفية ، بنشر أحد الكتب الهامة في الدفاع عنها ، والرد على افتراءات مناوئيها ، كما تشهد مقدمته للكتاب المذكور ، وتعليقاته عليه ، على تأييده الكامل لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتأثره بأفكار دعوته وإيمانه بها .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في مقدمة كتاب (صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان) : « لم يخل قرن من القرون التي كثرت فيها البدع من علماء ربانيين ، يجددون لهذه الأمة أمر دينها ، بالدعوة والتعليم وحسن القدوة ، وعدول ينفون عنه تحريف الظالمين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، كما ورد في الأحاديث ، ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين ، قام يدعو إلى تجديد التوحيد ، وإخلاص العبادة لله وحده ، بما شرعه

---

(١) ولد الشيخ محمد رشيد رضا في عام ١٢٨٢هـ الموافق ١٨٦٥م ، وتوفي في عام ١٣٥٤هـ الموافق ١٩٣٥م .

(٢) انظر « دعوة الشيخ » ، (ص : ٩٢) .

في كتابه ، وعلى لسان رسوله خاتم النبيين ﷺ ، وترك البدع والمعاصي ، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة ، وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة ، فنهضت لمناهضته واضطهاده ، القوى الثلاث : قوة الدولة والحكام ، وقوة أنصارها من علماء النفاق ، وقوة الغوام الطغام ، وكان أقوى سلاحهم في الرد عليه أنه خالف جمهور المسلمين [(١)] .

وكان قد كتب في هذه المقدمة يمهد لكلامه هذا في الثناء على الشيخ يقول : « حتى إذا فشت البدع وكثر أهلها أيدها الحكام الجاهلون المستبدون إرضاء للعامة ، وأيدها المعممون المقلدون إرضاء للفريقين ، وأعقب ذلك إنكار الثلاثة على أنصار السنة ، وتسميتهم مبتدعة مخالفين للجماعة [(٢)] ، وهكذا انعكست القضية ، وانقلبت البدعة سنة والسنة بدعة ، وتحول المعروف منكرًا ، والمنكر معروفًا ، وصار أهل البدع يحتجون على دعاة الكتاب والسنة بمخالفة الجماعة ، والخروج على السواد الأعظم من الأمة وتبديعهم وتضليلهم ، بدعوى أن الأكثر هم المسلمون لا سواهم ، ولم يقتصروا في ذلك على البدع الإضافية العملية كالأوراد المخالفة للمأثور في صفتها وتوقيتها ، وجعلها كالشعائر ، في الاجتماع لها ، ورفع الأصوات بها ، وبدعة محمل الحج ، بل أدخلوا فيها البدع الوثنية بعبادة الصالحين بالدعاء وغيره ، والعوام يتبعون من يدافع عنهم ، ويدعي اتباع أئمتهم ،

---

(١) « صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان » لمحمد بشير السهسواني الهندي ، ط . مكتبة ابن تيمية القاهرة ، بتحقيق الشيخ محمد رشيد رضا ط . الرابعة ١٤١٠هـ ، (ص : ٧) من المقدمة .

(٢) وما أحسن ما قال أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل في كتاب (الحوادث والبدع) حيث قال : « حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان التمسك به قليلًا والمخالف له كثيرًا ؛ لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم » .

وتؤيده حكوماتهم ، ونبز [(١)] داعي السنة بلقب المجتهد المحاول لهدم المذاهب ، المحتقر للأئمة ، وباب الجدل واسع لا نهاية له ، والعمدة في اتباع السنة والجماعة ما كان عليه أهل الصدر الأول في أمر الدين ـ ومنهم أئمة الحديث والفقه المعروفين ـ ولا سيما العبادات والقربات ، ومنهم تعظيم الرسول ﷺ وآل بيته وأصحابه والمهتدين بهديهم من غير غلو ولا ابتداع » [(٢)] .

ويقول ﷾ في موضع آخر من المقدمة : « كنا نسمع في صغرنا أخبار الوهابية المستمدة من رسالة دحلان هذا ورسائل أمثاله ، فنصدقها بالتبع لمشايخنا وآبائنا ، ونصدق أن الدولة العثمانية هي حامية الدين ، ولأجله حاربتهم ، وخضدت شوكتهم ، وأنا لم أعلم بحقيقة هذه الطائفة إلا بعد الهجرة إلى مصر والإطلاع على تاريخ الجبرتي [(٣)] ، وتاريخ الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى ، فعلمت منهما أنهم هم الذين كانوا على هداية الإسلام دون مقاتليهم ، وأكده الاجتماع بالمطلعين على التاريخ من أهلها ، ولا سيما تواريخ الأفرنج ، الذين بحثوا عن حقيقة الأمر فعلموها ، وصرحوا أن هؤلاء الناس أرادوا تجديد الإسلام وإعادته إلى ما كان عليه في الصدر الأول ، وإذًا تجدد مجده ، وعادت إليه قوته وحضارته ، وأن الدولة العثمانية ما حاربتهم إلا خوفًا من تجديد ملك العرب ، وإعادة الخلافة الإسلامية سيرتها الأولى » [(٤)] .

---

(١) أي : رمي .

(٢) مقدمة « صيانة الإنسان .. » ، (ص : ٦) .

(٣) يذكر للجبرتي ﷾ إنصافه في الكتابة عن الوهابية وبيان حقيقة دعوتها وتأييدها رغم ما كانت عليه مصر في ذلك الوقت تحت حكم محمد علي باشا من عداء ومحاربة للوهابيين في الجزيرة العربية .

(٤) مقدمة « صيانة الإنسان .. » ، (ص : ٨) .

ويقول أيضًا : « ثم اطلعت على أكثر كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله وفتاواه وكتب أولاده وأحفاده ورسائلهم ورسائل غيرهم من علماء نجد في عهد النهضة التجددية ، فرأيت أنه لم يصل إليهم اعتراض ولا طعن فيهم إلا وأجابوا عنه ، فما كان كذبًا عليهم قالوا : (سبحانك هذا بهتان عظيم) ، وما كان صحيحًا أو له أصل بينوا حقيقته وردوا عليه ، وقد طُبِعَتْ أكثر كتبهم ، وعرف الألوف من الناس أصل تلك المفتريات عنهم »[1] .

ولهذا قال رحمه الله في الرد على مفتريات الشيخ دحلان الفظيعة وأكاذيبه ردًا مجملًا ، فقال : « وإذا فرضنا أن الشيخ أحمد دحلان لم ير شيئًا من تلك الكتب والرسائل ، ولم يسمع بخبر عن تلك المناظرات والدلائل ، وأن كل ما كتبه في رسالته قد سمعه من الناس وصدقه ، أفلم يكن من الواجب عليه أن يتثبت فيه ، ويبحث ويسأل عن كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله ، ويجعل رده عليها ، ويقول في الأخبار اللسانية قال لنا فلان أو قيل عنه كذا فإن صح فحكمه كذا ؟ إن علماء السنة في الهند قد بلغهم كل ما قيل في هذا الرجل فبحثوا وتثبتوا وتبينوا كما أمر الله تعالى ، فظهر لهم أن الطاعنين فيه مفترون لا أمانة لهم وأثنى عليه فحولهم في عصره ، وبعد عصره ، وعدُّوه من أئمة المصلحين المجددين للإسلام ومن فقهاء الحديث كما نراه في كتبهم »[2] اهـ .

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا في تعليق له على الكتاب : « الحق الواقع أن ما دعا إليه الشيخ من التوحيد هو ما دعا إليه رسول الله ﷺ وخلفاؤه وأصحابه

(١) مقدمة « صيانة الإنسان .. » ، (ص : ٩) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ٩-١٠) .

وجميع المسلمين في خير القرون ، ثم نجمت قرون الشرك وسمي بغير اسمه فلما فشا في العوام كان شيخ الإسلام ابن تيمية أول من قاومه وأطال الحجج في دحض شبهاته وتفنيد خرافاته ، ولم يخالفه في هذا أحد من علماء عصره ، بل قال بعضهم إنه نبهنا لأمر كنا غافلين عنه ، اللهم إلا ابن البكري ألف رسالة في الرد عليه ، وعرضها على علماء الأزهر وغيرهم ليجيزوها ، فلم يوافقه عليها أحد ، وكان من فروعها بدع الزيارة وشد الرحال ، خالفه فيها تقي الدين السبكي ، ولكنه لم يبح دعاء غير الله تعالى لا النبي ﷺ ولا غيره ، وإنما كثر المضلون في هذه المسألة بعد ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؛ لأن الجهل بالتوحيد صار أعم ، ولأن الله سخر له آل سعود فأسسوا للإسلام دولة عربية أفزعت الدول التركية فقاتلت الدولة العربية وجعلت دعوى الدين حجة لها » [1] .

وكتب في الرد على أكاذيب اتهمت بها الدعوة الوهابية وإمامها مبينًا حقيقة ما في كتب علماء الدعوة الوهابية ودعاتها : « بل في هذه الكتب خلاف ما ذكر وضده ، ففيها أنهم لا يكفرون إلا من أتى بما هو كفر بإجماع المسلمين ، وأنهم في الأصول على مذهب جمهور السلف الصالح ، وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد ، وأنهم يحترمون مذاهب الأئمة الأربعة ، ولا يفرقون بين أحد من مقلديهم ، وإنما قال ابن عابدين ومن تبعه ما قاله تصديقًا لأكاذيب الشيخ أحمد دحلان ومفترياته ، مع عدم وجود شيء من كتب الشيخ وكتب أولاده وأحفاده في الأيدي ، ونحن كنا نصدق هذه الإشاعات التي أشاعتها السياسة التركية عنهم تصديقًا لابن عابدين وأمثاله ، وقد طبعت كتبهم وكتب أنصارهم في عصرنا فلا

---

(١) تحقيق « صيانة الإنسان .. » ، (هامش ص : ٤٧) .

عذر لأحد في تصديق الحشوية والمبتدعة وأهل الأهواء منهم ، وقد ذكرت هذه الاشاعات مرة بمجلس الأستاذ الأكبر الشيخ أبي الفضل الجيزاوي شيخ الأزهر في إدارة المعاهد الدينية فاستحضرت لهم نسخًا من كتاب (الهدية السنية) فراجعها الشيخ الأكبر ، وعنده طائفة من أشهر علماء الأزهر ، فاعترفوا بأن ما فيها هو عين مذهب أهل السنة والجماعة »[(١)] .

وقال ﷺ في موضع آخر مدافعًا عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب : « ولكن الحق الواقع أن الشيخ لم يكفر الأمة كلها في زمنه فضلًا عما قبله ، وإنما كفر من أشرك بالله بغير عذر الجهل »[(٢)] .

فائدة :

ذكر ناشر كتاب (الصحيح المسند في دلائل النبوة)[(٣)] عن الشيخ ناصر الدين الألباني ﷺ أنه سئل في محاضرة ألقاها بِعَمان عن موقف السلفيين من مدرسة محمد رشيد رضا ، فأجاب الألباني ﷺ تعالى بعد ما أثنى على الله بما هو أهله وصلى على نبيه ﷺ ما ملخصه : « فالذي أعتقده أن السيد محمد رشيد رضا ﷺ له فضل كبير على العالم الإسلامي بصورة عامة وعلى السلفيين بصورة خاصة ، وذلك في مجلته المنار المشهورة في العالم الإسلامي كله ، وذلك لأنه كان من الدعاة النوادر الذين نشروا المنهج السلفي بواسطة مجلته هذه في سائر أقطار

---

(١) تحقيق « صيانة الإنسان .. » ، (هامش ص : ٥١٠-٥١١) .

(٢) المصدر السابق ، (هامش ص : ٤١٩) .

(٣) ناشر الكتاب هو الأستاذ / عبد الفتاح الزيني صاحب مكتبة ابن تيمية بالقاهرة والكتاب هو (الصحيح المسند من دلائل النبوة) ، للشيخ أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ، ط . مكتبة ابن تيمية بالقاهرة الطبعة الثانية .

العالم الإسلامي ، وجاهد في سبيل ذلك جهادًا يشكر عليه ، ويرجى أن يكون أجره مدخرًا له عند ربه ، بالإضافة إلى أنه كان داعية إلى اتباع السلف الصالح فيما كانوا عليه من عقيدة وفكر وسلوك ، وقد كانت له عناية تُشكر من حيث تمييز الأحاديث الصحيحة من الأحاديث الضعيفة ، وذلك في حدود ما ساعده وضعه العلمي والاجتماعي والسياسي ، وإذا كان من الحق أن يعترف أهل الفضل لذوي الفضل فأنا أجد نفسي في هذه المناسبة الطيبة أسجل ـ ويطلع على ذلك كل من بلغته هذه الكلمة ـ أنني بفضل الله ﷻ بما أنا فيه من الاتجاه إلى المذهب السلفي أولًا ، وإلى تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة ثانيًا ، يعود الفضل الأول إلى السيد رشيد رضا ﷺ بواسطة عدد من أعداد مجلته المنار ، التي كنت وقفت عليه في أول اشتغالي بطلب العلم ، إلا أن السيد رشيد رضا ﷺ لا يجعلنا تقديرنا له وإجلالنا إياه على ألا نذكر ما فيه من انحراف قد لا ينجو منه إنسان ، أو خطأ ، من باب تحذير الناس أن يتورطوا بزلة عالم كالسيد رشيد رضا ﷺ ، ولقد كان متأثرًا بالأجواء التي يعيشها العالم الإسلامي في العصر الحاضر ، من التأثر بالماديات ، والابتعاد عن الإيمان بالغيبيات ، هذا الإيمان الذي هو أصل الإسلام كله ، والركن الأول من أركان الإيمان ، فبسبب هذه الموجة الطاغية التي أحاطت بالعالم الإسلامي من الاهتمام بالماديات ، والانصراف عن الإيمان بالغيبيات ، تأثر من تأثر من العلماء الذين كان لهم توجيه المسلمين إلى دينهم ببعض التأثيرات المادية ، فضعف إيمانهم في كثير من الإيمان بالنصوص الغيبية ، وإذا كان السيد رشيد رضا من المعلوم أنه كان تلميذ ملازم للشيخ محمد عبده ، فمن المعلوم أيضًا أن محمد عبده كانت له جهود لا بأس بها في تطوير دراسة الأزهر ، وحمله على أن يكون متحررًا من كثير من التراث الذي ورثه من علم الكلام ، ولكن مع ذلك

فهو لم يكن كالسيد رشيد رضا من حيث الحرص على التمسك بما كان عليه السلف الصالح من حيث العقيدة والمنهج ، إلا أن السيد رشيد رضا ﷀ قد تأثر بشيخه هذا تأثرًا كبيرًا إلى حد ما بعدم الإيمان ببعض الغيبيات بسبب ما ذكرناه آنفًا ، على أنه يتأول ما استطاع بعض النصوص المتعلقة ببعض الغيبيات ، بل ويشكك في كل شيء منها ما استطاع إلى ذلك سبيلًا ، ولعل من الأمثلة المشهورة على ذلك أنه كان ينقل عن محمد عبده في تفسير الجن الذين جاء ذكرهم في القرآن والسنة بما يُقرب معنى الجن إلى العقل المادي المثقف في هذا اليوم ، وإن كان يبتعد في الوقت نفسه عن تعريف الجن المذكور بالكتاب والسنة ، حيث أنه ادعى أن الجن عبارة عن هذه الميكروبات وهذه الجراثيم الخفية ، والتي تؤثر في صحة الإنسان ، وتوهن من قواهم ، ونحو ذلك ، فالسيد رشيد نقل مثل هذا ، وما أذكر الآن بأنه رد عليه ، وألزمه بأن هذا التأويل يشبه طريقة الباطنية والمعتزلة وغيرهم من الفرق التي انحرفت عن الكتاب والسنة بسبب التأويل ، بل لقد ذهب السيد رشيد رضا ﷀ إلى أن أنكر أحاديث صحيحة بل متواترة ألا وهي أحاديث عيسى عليه السلام ، فضلًا عن أحاديث خروج المهدي في آخر الزمان ، مع أن أحاديث كل من عيسى والمهدي متواترة عند أهل العلم والنقد من علماء الحديث ، وبخاصة أحاديث عيسى عليه السلام ، فهي أكثر وأقوى بكثير من أحاديث المهدي ، ومع ذلك شكك السيد رضا ﷀ في ثبوت هذه الأحاديث ، ولعل من أسباب ذلك أيضًا هو رده على طائفة القاديانية التي ظهرت آنذاك ، والتي ادعت المهدية والعيسوية ، وآفة الاستعجال جعلته ينكر هذه الأحاديث ، فالباعث حسن ، ولكن من المُسَلَّمِ لدينا معاشر المسلمين أن الغاية لا تبرر الوسيلة .

بالإضافة إلى ذلك كله فله بعض التساهلات في روايته بعض الأحاديث التي قد لا تثبت من حيث النقد الحديثي ، وتصحيحه لبعض الأحاديث التي ليست من الصحة بسبيل ، مثل أنه خرج بإسناد حديث « إذا زل العرب زل الإسلام » » اهـ . كلام الألباني ملخصًا من أحدى المحاضرات التي ألقاها بعمان .

وجاء في كتاب (الأصولية في العالم العربي) عن الشيخ محمد رشيد رضا أنه (أنشأ مجلة المنار عام ١٨٩٧م ، وقد كانت هذه المجلة وسيلة نشر أفكار ابن تيمية في شمال أفريقيا) [١] ، وأنه أيد (بحكم مذهبه الحنبلي حركة الإحياء النقية التي قام بها الوهابيون) [٢] .

جماعة أنصار السنة المحمدية :

ظهرت في مصر (جمعية أنصار السنة المحمدية) والتي تبنت المنهج السلفي ، وسعت منذ إنشائها إلى تصحيح عقائد المسلمين ، ومحاربة البدع والخرافات ، وللجمعية نشاطها الكبير ، ولها فروعها الكثيرة المتغلغلة في أنحاء مصر كلها ، وتصدر الجمعية مجلة شهرية باسم (التوحيد) ، وقد ألف رئيسها ومؤسسها الشيخ محمد حامد الفقي ﷺ كتابًا عن الدعوة الوهابية السلفية باسم (أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب) [٣] .

وقد تأسست جماعة أنصار السنة المحمدية عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٨م) ، بمدينة القاهرة ، على يد الشيخ محمد حامد الفقي ﷺ ، في الوقت الذي كانت

---

(١) « الأصولية في العالم العربي » تأليف : ريتشارد هرير دكميجيان ، وترجمة عبد الوارث سعيد ، ط . دار الوفاء ـ المنصورة ، ط الثالثة ١٤٢١هـ / ١٩٩٢م .

(٢) الأصولية في العالم العربي ، (ص : ٤١) .

(٣) راجع « دعوة الشيخ » ، (ص : ٩٢-٩٣) .

تعج فيه مصر ـ كغيرها من بلدان العالم الإسلامي ـ بالشركيات والبدع والخرافات بسبب تسلط التصوف والصوفية على المؤسسات الدينية ، وكان الهدف من تأسيس الجماعة هو الدعوة إلى التوحيد الخالص والسنة الصحيحة ومحاربة الشرك والبدع في كافة صورها .

أصدرت الجماعة مجلة (الهدي النبوي) لتكون المعبرة عن دعوتها ، وتولى الشيخ محمد حامد الفقي رئاسة تحريرها ، كما أنشأت الجمعية مطبعة السنة المحمدية لنشر كتب السلف ، وبعد وفاة مؤسس الجماعة تولى رئاستها مجموعة من العلماء البارزين منهم : الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، والشيخ عبد الرحمن الوكيل ، والشيخ محمد علي عبد الرحيم ، والشيخ صفوت نور الدين .

وقد أدمجت الحكومة المصرية جماعة أنصار السنة في الجمعية الشرعية عام ١٩٦٩م لتجميد نشاطها ، ثم أعيد إشهار جماعة أنصار السنة المحمدية مرة أخرى عام ١٩٧٢م على يد الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي ، والذي يعد المؤسس الثاني للجماعة ، وأصدرت الجماعة مجلة اسمتها (التوحيد) . وقد صار للجماعة قرابة المائة من الفروع ، ونحو ألف مسجد في مصر ، وللجماعة مراكز للدعوة في السودان وإريتريا وتشاد وأثيوبيا وغيرها ، وتتميز الجماعة بأن لها علاقات وطيدة مع جماعات الدعوة السلفية في مصر ، ومع علماء الدعوة السعودية ، وغيرها من المؤسسات الدينية .

الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله :

ولد عام ١٣١٠هـ (١٨٩٢م) في بيت علم ودين ، ودرس بالأزهر ، وحصل على العالمية ، واشتغل بالدعوة إلى التوحيد والدفاع عن السنة ، وصار له الكثير من الاتباع ، كما تعرض للمضايقات والاضطهاد من أصحاب الطرق

الصوفية ، وأنشأ جماعة أنصار السنة المحمدية وتولى رئاستها ، سافر للحجاز لمدة ثلاثة سنوات ، ثم عاد لنشاطه الدعوي من جديد ، وتولى رئاسة مجلة (الهدي النبوي) ، وأنشأ مطبعة السنة المحمدية ، وساهم في طباعة المنشورات ضد الاحتلال البريطاني لمصر ، ولم يأبه بمضايقات أصحاب الطرق الصوفية ودعاة التغريب والعلمانية رغم اشتداد صراعه معهم ، وتوفي رحمه الله عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٩م) .

الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله :

حصل على الماجستير في الفقه وأصوله ، ثم العالمية (الدكتوراه) من جامعة الأزهر ، وعمل مدرسًا في المعاهد العلمية الأزهرية ، واختير نائبًا لرئيس جماعة أنصار السنة المحمدية عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) ، وشغل رئيس الجماعة بالإسكندرية ، ثم انتقل للتدريس في المملكة العربية السعودية بدار التوحيد بالطائف ، ثم بالمعاهد العلمية وكلية الشريعة بالرياض ، اختير رئيسًا للجماعة خلفًا للشيخ حامد الفقي بعد وفاته عام ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) ، وانتدب للتدريس مرة أخرى بالسعودية ، حيث عين عضوًا في مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة ، ونائبًا لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، توفي عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) ، وقد تخرج على يديه الكثير من علماء المملكة العربية السعودية والعالم الإسلامي ، ومن تلاميذه : الشيخ ابن جبرين ، والشيخ صالح اللحيدان ، والشيخ ابن قاعود ، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ ، والشيخ عبد الله بن غديان والشيخ صالح السدلان ، والدكتور صالح الفوزان ، والدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وغيرهم ، كما كان يحرص رحمه الله على الاتصال بجماعة أنصار السنة المحمدية طوال فترة عمله بالسعودية .

الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله :

ولد عام ١٣٣٢هـ (١٩١٣م) ، درس بالأزهر ، وحصل على الإجازة العالمية من كلية أصول الدين ، التحق بجماعة أنصار السنة عام ١٩٣٦م ، وأصبح وكيلًا للجماعة ، عرف بأبحاثه التي كتبها في مهاجمة الفرق الضالة من أصحاب الطرق الصوفية وغيرها ، حيث كان يتمتع بسعة الإطلاع وقوة اللغة وجمال العبارة ، انتدب للعمل بالمعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧١هـ (١٩٥٢) ، وانتخب نائبًا للجماعة عام ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) ، ثم انتخب رئيسًا للجماعة عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) ، وانتدب للتدريس في كلية الشريعة بمكة المكرمة ، وظل يشغل وظيفة أستاذ للعقيدة بقسم الدراسات العليا إلى أن توفي عام ١٣٩٠هـ (١٩٧١م) ، وله رحمه الله تراث علمي من التأليف والتحقيق يدل على مكانته العلمية العالية .

الشيخ محمد علي عبد الرحيم رحمه الله :

ولد رحمه الله بالإسكندرية ، حفظ القرآن في صغره ، وتخرج من مدرسة المعلمين عام ١٩٢٣م ، عمل في حقل التعليم ، وترقى في وظائفه حتى صار موجهًا ، تعرف على الشيخ محمد حامد الفقي ، واشتغل بدعوة التوحيد في الإسكندرية وما حولها ، وشارك في تأسيس المعاهد العلمية ووضع مناهجها بالمملكة السعودية ، ويذكر له أنه ظل لسنوات يدرس بالحرم المكي ، تم انتخابه رئيسًا لجماعة أنصار السنة المحمدية عام ١٩٧٥م ، وشهدت الجماعة في عهده الكثير من التوسع وتقديم الخدمات لعموم المسلمين ، وقامت الجماعة بدور كبير في تعميق الفهم السلفي لشباب الصحوة الإسلامية ، فكان للجماعة دورها البارز

في محاربة الشرك والبدع ونشر التوحيد والسنة ، وتضاعفت أعداد مجلة التوحيد في عهده من خمسة آلاف نسخة شهرية إلى ستة وثلاثين ألف نسخة ، توفي ﷺ عام ١٤١١هـ (١٩٩٠م) .

الدعوة السلفية :

تأثر قطاع كبير من شباب الصحوة الإسلامية المعاصرة في مصر بالدعوة السلفية ، ومعلوم أن منهج الحركة الطلابية في الجامعات المصرية في السبعينيات من القرن العشرين الميلادي ـ مع بشائر ظهور هذه الصحوة ـ كان ملتزمًا بالمنهج السلفي ، وغلب عليه ضبط أفكاره ومفاهيمه على طريقة السلف الصالح ، خاصة في مواجهة الفكر التكفيري الذي وقع فيه بعض الشباب في ذلك الوقت .

وقد أثمر هذا التوجه للحركة الإسلامية في تقبل الكثير من شباب الصحوة لعقائد السلف بصورة لم تكن موجودة بهذا القدر من قبل ، مع العمل والتمسك بالسنن النبوية ، وهجر ما يخالفها من البدع والمخالفات .

ومن أوائل الكتب التي انتشرت ودرست في فترة السبعينات بين شباب الصحوة (كتاب التوحيد) للشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، وكذلك شروحه خاصة (فتح المجيد) ، وكتاب (معارج القبول) لحافظ أحمد حكمي ، من علماء الدعوة الوهابية ، ورسالة (تطهير الجنان عن أدران الشرك والكفران) لابن حجر آل بوطامي ، من أنصار هذه الدعوة ، إلى جانب مؤلفات لشيخ الإسلام ابن تيمية مجدد الفهم السلفي في عصره وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ .

وبانضمام قيادات من الحركة الإسلامية الطلابية لجماعة الإخوان المسلمين أواخر السبعينات والأخذ بمنهجهم في العمل والدعوة ظهرت « المدرسة السلفية » بالإسكندرية ، التي تمسكت بالتوجه السلفي الذي كان قائمًا عند بداية الصحوة ،

فَقَوَتْ وأَثْرَتْ الفهم للإسلام على منهج السلف بين الشباب .

ويذكر « للمدرسة السلفية » أنها قامت بتصحيح مفاهيم خاطئة ـ أو غير واضحة ـ لدى الشباب في قضايا مهمة منها على سبيل المثال [١] :

١ـ التصدي للفكر التكفيري والحد من انتشاره ، وتوضيح قضية العذر بالجهل ، وبيان الفرق بين كفر النوع وكفر العين ، وبيان ضوابط تكفير المعين .

٢ـ بيان ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما ينبغي مراعاته من المصالح والمفاسد في تغيير المنكرات .

٣ـ بيان ما يثبت به حد الإسلام .

٤ـ توضيح معاني الولاء والبراء وارتباطها بالعقيدة الإسلامية .

٥ـ التعريف بالبدع المنتشرة على اختلاف أنواعها .

وعندما افتتحت « المدرسة السلفية » بالإسكندرية معهدها لإعداد الدعاة كان كتاب « فتح المجيد شرح كتاب التوحيد » في مقدمة الكتب التي يدرسها طلاب المعهد .

وقد حظيت « الدعوة السلفية » بالإسكندرية في الثمانينات وما بعدها

(١) ومما كتب حول تصحيح المفاهيم : « فضل الغني الحميد تعليقات مهمة على كتاب التوحيد » ، « فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » و « منة الرحمن في نصيحة الإخوان » ، « فقه الخلاف » للشيخ ياسر برهامي حفظه الله ، و « تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد » ، « الضوابط الشرعية لتحقيق الأخوة الإيمانية والوحدة الإسلامية » للشيخ سعيد عبد العظيم حفظه الله ، و « الثمرات الزكية في العقائد السلفية » ، « التزكية بين أهل السنة والصوفية » ، « العذر بالجهل » للشيخ أحمد فريد حفظه الله ، « المهدي : حقيقة لا خرافة » ، « فقه أشراط الساعة » للشيخ محمد إسماعيل حفظه الله ، إلى جانب المؤلفات الأخرى العديدة لمشايخ الدعوة السلفية التي صدرت بعد ذلك ، وقبل ذلك ومعه دروس الشيخ محمد إسماعيل حفظه الله الأسبوعية يوم الخميس بمسجد عباد الرحمن ببولكلي وقتها .

بالانتشار الواسع داخل وخارج الإسكندرية ، وصار لها الكثير من المساجد في معظم محافظات مصر . ورغم ما يعانيه التيار الإسلامي من التقييد فإن قيادات الدعوة السلفية تمارس جهودها الدعوية في تصحيح المفاهيم ومواجهة الانحرافات ، ونشر الفهم لقضايا الدين وفق الفهم الذي كان عليه سلف الأمة .

أثر الدعوة الوهابية في غرب أفريقيا

دخل الإسلام غرب أفريقية منذ مطلع القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، وكانت قبيلة (الفلبي) أول من اعتنق الإسلام في هذه المناطق ، وهي قبيلة عرفت بالنشاط الاقتصادي من رعي وزراعة وتجارة ، وأمتاز أفرادها بالكرم والشجاعة ، فكان لهم دورهم في نشر الإسلام في غرب أفريقية .

وقد كان الشيخ الداعية (عثمان دانفوديو) [١] ، من أفراد قبيلة الفلبي (الفولا) [٢] ، زار مكة لأداء فريضة الحج ، فتأثر بالدعوة السلفية ، وعاد إلى بلاده عازمًا على اصلاح عقيدة المسلمين فيها ، وتخليصها من شوائب الشرك والبدع والخرافات ، فبدأ بعشيرته وقومه ، واستطاع أن يجمع قبيلته حوله بعد أن كانت منقسمة إلى عدة وحدات ضعيفة متنازعة ، ثم ابتدأ مرحلة الدعوة بالقوة عام ١٢١٧هـ (الموافق ١٨٠٢م) ضد قبائل (الحوصة) [٣] الوثنية ، وقضى على (مملكة جبير) [٤] ، وأقام مملكة إسلامية كبيرة باسم (مملكة سوكوتو) الإسلامية ، وبعد وفاة المؤسس (عثمان دانفو ديو) عام ١٢٣١هـ الموافق ١٨١٦م تولى المملكة عقبه ، حتى تحولت إلى امبراطورية كبيرة كان لها دورها الكبير في نشر الإسلام في تلك المناطق من أفريقيا طوال القرن التاسع عشر ، حتى قضى الاستعمار الأوربي البريطاني على استقلالها عام ١٣١٨هـ الموافق ١٩٠٠م .

---

(١) أو (عثمان بن فودي) .

(٢) من القبائل الرعاة السودانيين .

(٣) أو (الهوسا) الوثنية .

(٤) أو مملكة غبر ، وكانت تقع على مجرى نهر النيجر .

ولكن لم يمنع قيام الاستعمار الأجنبي في تلك المنطقة انتشار الإسلام سلميًا على يد مسلمي قبائل (الفلبي و الحوصة) وغيرها ، رغم أعمال التبشير فيها المؤيدة بالنفوذ السياسي الأجنبي [١] .

وهناك كثير من الشخصيات الإصلاحية التي تأثرت بالدعوة الوهابية في العديد من دول العالم العربي فمن هؤلاء : الشيخ علي السويدي ، ولد في بغداد ، كان محدثًا وأديبًا ، وله عدة تصانيف ، من أشهرها (العقد الثمين في بيان مسائل الدين) ، وقد توفي رحمه الله بدمشق سنة ١٢٣٧هـ [٢] .

فائدة :

ممن تأثر بمبادئ الدعوة الوهابية الشيخ محمد بن علي السنوسي مؤسس الحركة السنوسية في ليبيا ، وقد ولد رحمه الله في ربيع الأول سنة ١٢٠٢هـ (١٧٨٧م) في الجزائر ، ورحل إلى مدينة (فاس) بالمغرب وتلقى علومه فيها ، حيث مكث فيها قرابة سبع سنوات ، اهتم فيها بالتعرف على الطرق الصوفية الشائعة هناك ، واشتغل فيها بالتدريس ، وانتقل إلى الحجاز عام ١٢٤٠هـ (١٨٢٥م) حيث لازم الشيخ أحمد بن أدريس ، وتعرف على علماء الدعوة الوهابية فيها ، وتأثر بأرائهم ، إلى جانب مباشرته للدعوة على طريقة المتصوفة ، حيث أنشأ عدة زوايا لطريقته بالحجاز ينشر من خلالها تعاليمه .

غادر ابن السنوسي الحجاز سنة ١٢٥٥هـ وقد عزم على جهاد الفرنسيين في

---

(١) راجع في ذلك « دعوة الشيخ » ، (ص : ٩٨-١٠١) ، وانظر « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٧٧-٧٨) ، وانظر « أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على حركة عثمان دانفوديو » للدكتور مصطفى مسعد ـ مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ـ العدد الخامس عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

(٢) راجع « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٢٥) .

الجزائر ، ولكن الظروف منعته من ذلك ، فنزل (برقة) في ليبيا ، ومارس فيها الدعوة لطريقته وإنشاء الزوايا بها ، وعاد ابن السنوسي للحجاز مرة أخرى ، وأقام بها قرابة ثماني سنوات ، آثر بعدها العودة والاستقرار في برقة حيث أقام في (جغبوب) وجعلها مقر قيادة الحركة السنوسية فيها بعيدًا عن السلطة المركزية في الشمال .

وقد آثر ابن السنوسي الدعوة السلمية ، فلم يصطدم بالسلطة العثمانية ، كما لم يدخل في نزاعات مع الطرق الصوفية المنتشرة ببلاده ، ولكنه حرص على محاربة الانحرافات العقائدية للصوفية كالقول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وحرص على ضبط طريقته بالكتاب والسنة ، ورغم أنه كان مالكي المذهب إلا أنه كان يخالف مذهبه إذا رأى الحق في خلافه ، كما حث أعوانه ومريديه على الجهاد ضد الفرنسيين في الجزائر ، وكذلك كان لاتباعه ومريديه الفضل الكبير في مقاومة الإيطاليين في ليبيا .

ويعد الشيخ عمر المختار ﷫ من الجيل الثالث للحركة السنوسية في ليبيا ، توفي الشيخ ابن السنوسي ﷫ في عام ١٢٧٦هـ (١٨٥٩) [١] .

• وكذلك تأثر بالدعوة الوهابية الشيخ محمد بن ناصر الشريف التهامي اليمني ، وهو أحد تلاميذ الإمام محمد بن علي الشوكاني ﷫ ، وقد ألف كتابًا في الرد على دعاوى داود بن جرجيس التي رمى بها الدعوة الوهابية والتي أودعها في كتابه (صلح الإخوان) ، وعنوان الكتاب (إيقاظ الوسنان على بيان الخلل الذي

(١) راجع في ذلك الجزء الأول من « الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا » د. علي محمد علي الصلابي . ط. دار الإيمان بالإسكندرية .

في صلح الإخوان) ، ويسميه بعضهم (فتح المنان في ترجيح الراجح وتزييف الزائف من صلح الإخوان) [١] .

وألف الشيخ سليمان بن صالح الدخيل رسالة بعنوان (حقيقة المذهب الوهابي) في الدفاع عن الدعوة الوهابية في العراق ، والرد على مخالفيها ، وقد ولد رحمه الله في بُرَيْدَة سنة ١٢٩٠هـ ، وله مؤلفات كثيرة ، وبذل جهدًا كبيرًا في نشر الدعوة الوهابية في العراق في زمانه ، وتوفي في بغداد في ١٣٦٤هـ [٢] .

□ وإجمالًا نقول :

لقد حظيت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بالقبول مِنْ قِبَل كثير من علماء المسلمين ، والعديد من الحركات الدينية الإصلاحية ، كما تأثر بها الكثير من المسلمين (لقد عمت الدعوة وآثارها المباركة بلاد نجد ، ثم امتدت إلى الحجاز ، ثم سائر بلاد الجزيرة العربية ، بل تجاوزت تلك البلاد فكان لها أتباع وأنصار في مختلف الأمصار ، كالشام ومصر وبلاد المغرب والهند والكثير من الأقطار) [٣] ، وذلك عبر القرون الثلاثة الماضية ، ولا تزال بحمد الله ـ إلى وقتنا الحاضر تجد القبول والتأثير ، ويشهد الواقع العملي بصدق هذه الدعوة ووضوحها وسلامة منهجها .

ولقد تكلم العديد من الباحثين عن أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على مختلف بلاد المسلمين وعلمائهم ، وتأثر بعض الحركات الإصلاحية بها ،

---

(١) راجع « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٢٦) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ٢٧) .

(٣) المصدر السابق ، (ص : ٢٤) .

وهناك رسائل ألفت في بيان ذلك منها [1] :

١- (عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي) للعبود .

٢- (الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة) ، للأستاذ محمد السكاكر وهي رسالة ماجيستير .

٣- (انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة) لمحمد جمعة .

٤- (الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب) ، لمحمود مهدي الاستانبولي .

٥- (سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب) لأمين سعيد .

(١) المصدر السابق ، (ص : ٢٥) .

لماذا أساء البعض الظن بالدعوة الوهابية السلفية ؟

تعرض الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ ودعوته السلفية لكم هائل من الإساءة عبر تاريخ طويل امتد قرابة الثلاثة قرون ، وقد تعددت أسباب ذلك وتنوعت قديمًا وحديثًا ، وتراكمت آثارها جيلًا بعد جيل ، ومن أهم هذه الأسباب :

١- معاداة مشايخ الصوفية وعلماء الأشاعرة للدعوة الوهابية ، إذ أن الدعوة الوهابية تتبنى العقيدة السلفية التي تخالفها عقائد الصوفية ومعتقدات الأشاعرة ، بل يمتد الخلاف إلى المنهج ، فالصوفية تتخذ الكشف والوجد والذوق منهجًا ، والأشاعرة يأخذون بعلم الكلام وإعمال العقل في مسائل وقضايا الدين ، أما المنهج السلفي فيقوم على الكتاب والسنة ، وتقديم النقل على العقل ، لذا لم يكن غريبًا أن يحارب المتصوفة والأشاعرة الدعوة الوهابية بل ويتمادوا في خصومتها ، ويسعوا إلى إبعاد المسلمين عنها وتنفيرهم منها ، ونظرًا لنقص العلم وانتشار الجهل فإن الصوفية والأشاعرة يكونان معًا أكثرية عددية لها تأثيرها ووزنها في توجيه الأمة والسيطرة والتحكم في مؤسساتها الدينية ، وتلقي الدعم من رجال الدولة قديمًا وحديثًا .

٢- الافتراء والكذب على الدعوة الوهابية بما ليس فيها ، فمنذ ظهور الدعوة تعمد خصومها بث الأكاذيب والافتراءات والتشنيعات عليها وحولها ، وروجوها بين عوام الناس ، حتى عدوها حقائق مسلم بها ، ومِنْ ثَمَّ بنوا عليها كراهيتهم ومعاداتهم للدعوة الوهابية أو على الأقل إساءة الظن بها وبإمامها .

فعند ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد كان الأكثر من أهل نجد قد انغمسوا في البدع والخرافات ومظاهر الشرك الصريح ، ورثوها عن آبائهم السالفين ، تربى عليها الصغير ، وهرم عليها الكبير ، ورأوا بفاسد فكرهم أن فيما يدعو إليه الشيخ تهجينًا لهم ، ونسبتهم إلى الجهل والإشراك ، وإزراءًا بآبائهم ، ولا سيما أدعياء العلم ، رأوا أنهم إن اتبعوه انحط مقامهم ، وصغر شأنهم عند العامة ، حيث إن العوام سيقولون : إن هؤلاء كانوا يزعمون بأنهم علماء هادون إلى الخير ، وكانوا يتصدرون للفتوى والتعليم ، وقد أتى هذا الشيخ وأبان جهلهم وفساد عقائدهم ، وأنهم ليسوا على شيء ، إلى غير ذلك مما أملاه عليهم الشيطان ، وقادهم إليه الهوى وحب الرياسة إلى أن يستكبروا عن قبول الحق ، وتسلحوا بسلاح الجدل والمكابرة ، فأوحوا إلى العوام أن الشيخ عقيدته غير صحيحة ، ومخالف لما عليه المسلمون ، وينتقص مقام الصالحين ، فلا ينبغي أن يتبع ، بل ينبغي أن يزجر ويقمع ، وجادلوا الشيخ بالباطل ، وبالآراء السخيفة ، والشبه الواهية ، ونصر اللهُ الشيخَ ، فأقام عليهم الحجج القويمة المدعمة بآي القرآن وصحاح الأحاديث كما تراها في مؤلفاته ، ومؤلفات أبنائه وأحفاده وأئمة الدعوة ، وفند شبههم ، وأزهق باطلهم ، واشتد نكيره عليهم ، وعندما عجز فضلاؤهم في ميادين الحجج والبراهين ، وباءوا بالفشل ، لجأوا إلى وضع العقبات في سبيل الدعوة وإلى الاعتداء ، الأمر الذي ألجأ الشيخ وحزبه برئاسة الأمير محمد ابن سعود إلى أن يقاومهم بالسنان ، فجرت الحروب الشديدة بين حزب الشيخ وبين أولئك ، فكما فشلوا في ميادين الحجج العلمية وخرجوا صفر اليدين ، فشلوا أيضًا في ميادين المقارعة والحروب ، وكان النصر في الأغلب حليف الشيخ وحزبه ، فلما لم يبق لديهم من سلاح يحاربون الدعوة شرع بعض المدعين للعلم

والأمراء يزيدون في اختلاقهم الأكاذيب والافتراءات ، وينسبونها إلى الشيخ ، وأخذوا في استعمال الدعايات الكاذبة والإشاعات الباطلة ، وطفق بعضهم يكتب إلى الأتراك وإلى الأشراف في الحجاز أن هذا الشيخ مبتدع ومذهبه خامس المذاهب ، ولا يحب الرسول ﷺ ولا الأولياء ، ومنع من زيارة الرسول ﷺ ، وكَفَّر جميع الناس إلا من كان من أتباعه ، ولا يعتبر المذاهب الأربعة بل أمر بإتلاف كتب المذاهب ، وينهى عن الصلاة على الرسول ﷺ [1] حتى أحرق دلائل الخيرات [2] وأن أولئك السعوديين يفسدون قلوب الناس ، ويغيرون عقائدهم ،

---

(١) يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : « وما ذكره المشركون عليَّ أني أنهى عن الصلاة على النبي أو أني أقول لو أن لي أمرًا هدمت قبة النبي ﷺ ... فكل هذا كذب وبهتان » .

انظر مجموعة مؤلفات الشيخ جـ ٥/ ٥٢ .

ويقول الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب معقبًا على مفتريات خصوم الدعوة الوهابية حين دخل مكة في محرم سنة ١٢١٨هـ : « وأما ما يكذب علينا سترًا للحق وتلبيسًا على الحق بأنا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا رمة في قبره ، وعصا أحدنا أنفع له منه ، وليس له شفاعة ، وأن زيارته غير مندوبة ، وأنه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله حتى أنزل عليه ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] ، مع كون الآية مدنية ، وأننا ننهى عن الصلاة على النبي ﷺ .. فلا وجه لذلك فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها ـ أي سئلوا عنها ـ مَنْ ذكر أولًا كان جوابنا في كل مسألة من ذلك سبحانك هذا بهتان عظيم ، فمن روى عنا شيئًا من ذلك أو نسبه إلينا فقد كذب علينا وافترى » اهـ .

انظر « دعاوى المناوئين » ، (ص : ١٠٠) ، نقلًا عن « الدرر السنية » جـ ١/ ١٢٧-١٢٨ ، وإنما كره الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلحاق الصلاة والسلام على النبي ﷺ بألفاظ الأذان والجهر بذلك على المنابر يوم الجمعة لكونه بدعة محدثة ليست من الدين في عهد النبي ﷺ وهذا ما ذكره العلماء قبله وليس منه بجديد .

(٢) ألف « دلائل الخيرات » محمد بن سليمان بن عبد الرحمن المغربي ، وهو صوفي على الطريقة الشاذلية ، توفي عام ٨٥٤هـ والصوفية يعظمون هذا الكتاب وكذلك أورادهم الخاصة ويقدمونها على غيرها .

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أحدى رسائله : « وأما دلائل الخيرات فله سبب وذلك أني أشرت إلى من قبل نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجل من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القرآن وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان فهذا من البهتان » اهـ .

=

ويريدون تحويلهم عن الطريق الموروثة والسبيل التي وجدوا عليها الآباء والأجداد ، ويُحقِرون شعائر الدين بهدم قباب المشايخ والأولياء الكبار التي أطبقت الأجيال على تعظيمها والتبرك بها ، وأن قعود الدولة عن رد هؤلاء المعتدين يذهب بهيبتها من نفوس المسلمين ، ويحقر من شأنها عندهم ، فلا تبقى صاحبة الحق في دعوى الخلافة عليهم ، حتى بلغت بهم الوقاحة وقلة الحياء والإيمان إلى حد أن زعموا أن السعوديين النجديين لا يقولون في الأذان : أشهد أن محمدًا رسول الله ، بل يقولون : ما حد رسول الله ، قال في (جزيرة العرب في القرن العشرين) ما نصه : « سمعت في نجد أن حكام نجد الشمالية أثناء خصومتهم مع آل سعود كانوا يكتبون إلى الأتراك أن آل سعود اتخذوا راية شعارها لا إله إلا الله محد رسول الله (بحذف ميم محمد) ، تنفيرًا للأتراك من خصومهم ، وأنهم يعلمون حق العلم أن هذا كذب » (١) .

ومن الدعايات المنفردة التي استعملها خصوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب نَبْزُهم لاتباع الشيخ (بالوهابية) (٢) ، وجعلهم هذا اللقب على هذه الفرقة السلفية

= انظر « مجموع مؤلفات الشيخ » جـ ٥/ ٣٧ ، والتزام الصوفية بدلائل الخيرات في أوقات معينة والاجتماع لها ورفع الصوت بها وجعلها من قبيل الشعائر يدخلها في عموم البدعة الإضافية ويخرجها من عموم العبادات المطلقة كما حققه الشاطبي في الاعتصام .

(١) انظر « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٩٩) .

وانظر « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٤٠-٤١) نقلًا عن حافظ وهبة في « جزيرة العرب في القرن العشرين » ، (ص : ٣٤٤-٣٤٥) ، ونقلًا عن محمد عبد الله ماضي في « النهضات الحديثة في جزيرة العرب » جـ ١/ ٦٠ .

(٢) نسبة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكان الأولى أن يقال (المحمدية) إذ أن صاحب هذه الدعوة والقائم بها هو الشيخ محمد ، لا أبوه عبد الوهاب ، وهذا الاسم قد يوهم البعض أن الدعوة مذهب جديد مخالف للمذاهب الإسلامية الأربعة المعروفة .

كعنوان لخروج الفرقة عن المذاهب ، وعدم محبة النبي والصالحين ، وكذبوا ـ والله ـ في ذلك ، والقصد الوحيد من تلك الدعايات والإشاعات الباطلة صد الناس عن اعتناق الدعوة [1] ، وأمر آخر وهو أن لا تقوى شوكة السعوديين ويتسع نفوذهم ، ولكن الله رد كيدهم في نحرهم ، وعاملهم بنقيض قصدهم ، فانتشرت دعوة الشيخ في سائر الأقطار ، وعرف كثير من الناس صحتها وحقيقتها ، وأنها لا تخرج عن نطاق الكتاب والسنة ، فأعتنقها كثيرون ، وألف جمع من المعتنقين لها كتبًا في تأييدها والدفاع عنها ، ولازالت الدعوة تزداد نفوذًا وقوة وانتشارًا ماكرَّت الليالي والأيام ، فأعداء الشيخ قصدوا بلقب الوهابية ذمهم وأنهم مبتدعة [2] ، ولا يحبون الرسول كما زعموا ، فصار الآن لقب الوهابية لقبًا لكل من يدعو إلى الكتاب

---

(١) ومن أعجب العجب أنك لا تجد لهذا اللقب أثرًا بنجد بل يستنكر النجديون هذا اللقب ممن يخاطبهم به أو ينسبهم إليه ، وهذا يدلك على أن هذه النسبة جاءت من خارج نجد من خصومة الدعوة [انظر (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) لابن حجر آل بوطامي ، هامش ص (٥٠)] ، واللقب الذي يرتضيه اتباع الشيخ محمد عبد الوهاب ويتسمون به هو السلفيون ، ودعوتهم الدعوة السلفية . [انظر (دعوة الشيخ) لابن سليمان السلمان ، ص (٣٣)] .

(٢) ولهذا نجد من يرفض هذه التسمية أو يتحاشاها كما ذكر الشيخ صالح الفوزان في تعقيبه على كتاب « محمد بن عبد الوهاب » لعبد الكريم الخطيب ، والشيخ عبد الله الجبرين في بعض كتاباته .

ولكن في المقابل فمن أنصار الدعوة من لا يتحاشون استعمال تلك التسمية بل جعلوها في عناوين بعض مؤلفاتهم : كالشيخ ابن سحمان في رسالته « الدرر السنية والتحفة الوهابية النجدية » ، والشيخ محمد حامد الفقي في كتابه « أثر الدعوة الوهابية » والقصيمي في كتابه « الثورية الوهابية والفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم » وسليمان الدخيل في « حقيقة المذهب الوهابي » ومحمد رشيد رضا في « الوهابيون والحجاز » ، ويقول مسعود الندوي في كتابه « محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم » : « وعلى كل حال فنظرًا إلى تلك المحاولات التي بذلت لإظهار الوهابية في صورة مذهب مستقل وطائفة ضالة ، هذا الاسم منتقد أشد الانتقاد ، ولكن بغض النظر عن هذه الأكذوبة والافتراء فلا أرى حرجًا في هذه التسمية » [انظر (ص : ١٦٥) من الكتاب ، راجع « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٧٥-٧٦) ، وراجع ما كتبه عبد الله العثيمين في كتابه « محمد بن عبد الوهاب » ، (ص : ١٠١-١٠٤)] .

والسنة ، وإلى الأخذ بالدليل ، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومحاربة البدع والخرافات ، والتمسك بمذهب السلف ، فترى كل من تنكر عليه ، أو ينكر غيرك عليه بدعة أو منكرًا يقابلك بقوله (أنت وهابي) ، فصار هذا اللقب ـ والحمد لله ـ مدحًا وعَلَمًا على الفرقة التابعة للكتاب والسنة ، وعلى كل من اعتنق مذهب السلف الصالح ، وعلى كل من يدعو إلى توحيد الألوهية والعبادة ، وكفاهم فخرًا وشرفًا .

وما أحسن القائل :

إن كان تابعُ أحمدٍ مُتوهِّبًا ... فأنا المُقِرُّ بأنني وَهَّابي
أنفي الشريك عن الإله فليس لي ... ربٌّ سوى المتفردِ الوهَّاب
لا قبةٌ تُرجى ولا وثنٌ ولا ... قبرٌ له سببٌ من الأسباب
أيضًا ولست معلقًا لتميمة ... أو حلقة أو ودعةٍ أو ناب
لرجاء نفع أو لدفع بليةٍ ... اللهُ ينفعني ويدفعُ ما بي

إن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إنما هي الدعوة إلى الإسلام بكل مبادئه وتعاليمه الخالصة من شوائب الشرك والوثنية والبدع ، وإن كان اتباع الدعوة قد واجهوا في دعوتهم ألوانًا من المعارضة بالسيف والقلم واللسان فما ذاك إلا لأن الإسلام الصحيح أصبح في ذلك الوقت غريبًا في النفوس وبعيدًا عنها [1] .

وصدق القائل حين قال عن هذه الدعوة : « قلت إن هذا المذهب جديد وقديم معًا ، والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين ، ولكنه قديم في حقيقة الأمر ، لأنه ليس إلا الدعوة القويمة إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية ، هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي ﷺ خالصًا لله

(١) انظر « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٣٣-٣٤) .

وحده ملغيًا كل واسطة بين الله والناس [١] .

نماذج من الافتراءات على الشيخ ودعوته :

لم تخلُ المكتبة الإسلامية عبر السنين التي تبعت ظهور الدعوة الوهابية السلفية من مؤلفات في علوم مختلفة تضمنت شيئًا من طعن مؤلفيها في الدعوة الوهابية السلفية ، أو التعرض للشيخ محمد بن عبد الوهاب بالانتقاص وغالبها عن جهل بحقيقة الشيخ ودعوته ، أو بالتحامل عليها مسايرة للاتجاه العام السائد في زمانه .

□ ومن أمثلة ذلك :

ابن عابدين في حاشيته : حيث زعم ـ عفا الله عنا وعنه ـ أن الوهابيين خوارج [٢] .

والصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين : حيث وصف الوهابيين بأنهم خوارج [٣] .

ومحمد فريد بك في كتابه (تاريخ الدولة العلية العثمانية) ، حيث تضمن كتابه العديد من المغالطات في حق الدعوة الوهابية [٤] ، حيث ذكر أن الشيخ ابن

---

(١) انظر « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٣٣) ، نقلًا عن د. طه حسين في (الحياة الأدبية في جزيرة العرب) ، (ص : ١٣) وما بعدها .

(٢) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٨) ، وانظر حاشية ابن عابدين على الدر المختار ، ط . ٢ مكتبة الحلبي مصر ١٣٨٦هـ ، جـ٤/ ٢٦٢ .

(٣) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٩) ، وانظر حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، دار إحياء التراث بيروت جـ٣/ ٣٠٧-٣٠٨ .

(٤) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٩) ، وانظر « تاريخ الدولة العثمانية » لمحمد فريد بك ، تحقيق إحسان حقي ط. دار النفائس بيروت ١٤٠١هـ ، ص (٤٠٤-٤٠٦) .

عبد الوهاب ولد في الدرعية ، ودرس المذهب الحنفي ، وسافر إلى أصفهان ، ثم أنشأ لنفسه مذهبًا جديدًا .

ومحمد أبو زهرة في كتابه (تاريخ المذاهب الإسلامية) ، حيث أدعى ـ عفا الله عنا وعنه ـ العديد من المفتريات ضد الدعوة الوهابية السلفية [(١)] .

والدكتور محمد البهي في كتابه (الفكر الإسلامي في تطوره) ، حيث تحامل فيه على الدعوة الوهابية ، ووصفها بما ليس فيها [(٢)] .

بل إن بعض الموسوعات العربية قد تضمنت بعض المعلومات الخاطئة عن الدعوة الوهابية السلفية منها [(٣)] :

(دائرة معارف القرن العشرين) لمحمد فريد وجدي ، ط . دار المعرفة ط ٣. بيروت ١٩٧١م ، ج ١٠/ ٨٦٩-٨٧٠ .

(الموسوعة العربية الميسرة) لمحمد شفيق غربال ، ط . دار نهضة لبنان ـ بيروت ـ ط ١٤٠١هـ ، ص (١٩٦٨) (مادة وهابية) .

•• ومن أشهر الطاعنين المتهجمين على الدعوة الوهابية عبر تاريخها هو الشيخ (أحمد زيني دحلان) ، وقد ألف في مهاجمة الدعوة حاشدًا الأكاذيب والافتراءات على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومعارضًا لما جاء به من دعوة التوحيد ، وساعده على نشر دعوته بين الناس وفي الآفاق ، مشوهًا بذلك الدعوة

---

(١) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٩) ، وانظر « تاريخ المذاهب الإسلامية » ط . دار الفكر العربي ، ص (٢٠٨-٢١١) .

(٢) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٩) ، وانظر « الفكر الإسلامي في تطوره » ، ط . دار الفكر الأولى ١٩٧١م ، (ص : ٧٥-٩٠) ، حيث كتب المؤلف فصلًا عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(٣) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٩) .

الوهابية ، تواجده في مكة [١] ، كما أنه أُنشِئت في زمنه أول مطبعة في مكة المكرمة ، فطبع ما كتبه من مصنفاته فيها ، فكانت توزع بمساعدة رجال الدولة على حجاج الأفاق ، لينشروها في بلادهم على أنها حقائق مسلم بها ، فتناقل الناس مفترياته في كل البلاد ، وصدقها العوام ، وكثير من الخواص [٢] ، ولم يحرص أكثرهم على التثبت مما ذكر لهم ، وقد رأوا هذه الكتابات تخرج من أرض الحرم الشريف ، وتتولى نشرها رجالات الدولة وأمراؤها ، وقد توارت وذهبت كتابات الشيخ دحلان ، ولكن بقت الألسن والأقلام تتناقل ما كان فيها ، خاصة ممن لهم غرض في ذلك من أصحاب الأهواء .

كتب الشيخ أحمد بن زيني دحلان في رسالته (الدرر السنية في الرد على الوهابية) يشنع على الوهابيين يقول : « وكانوا ملكوا الطائف في ذي القعدة سنة ١٢١٧هـ قتلوا الكبير والصغير ، والمأمور والآمر ، ولم ينج إلا من طال عمره ، وكانوا يذبحون الصغير على صدر أمه ، ونهبوا الأموال وسبوا النساء » [٣] ، ويقول : « فإنهم كانوا يحكمون على الناس بالكفر منذ ستمائة ، وغفلوا أيضًا عن استباحتهم أموال الناس ودماءهم ، وانتهاكهم حرمة النبي ﷺ بارتكابهم أنواع التحقير له ولمن أحبه ، وغير ذلك من مقابحهم التي ابتدعوها وكفروا الأمة بها ،

---

(١) كان الشيخ دحلان مفتي الشافعية في مكة .

(٢) راجع مقدمة (صيانة الإنسان ..) للشيخ محمد رشيد رضا ، ص (٧-٨) ، وقد ولد الشيخ دحلان سنة ١٢٣٢هـ بمكة ، وتولى الإفتاء بها ، وتوفي بالمدينة سنة ١٣٠٤هـ ، وقد عاصر الدولة السعودية الثانية ، ولم تكن لها أي نفوذ على أرض الحجاز .

(٣) نقلًا من (صيانة الإنسان من وسواس الشيخ دحلان) ، للسهسواني الهندي ، ص (٤٧٨) ، وانظر (الدرر السنية في الرد على الوهابية) ، للسيد أحمد بن السيد زيني دحلان ، ط . دار جوامع الكلم ـ القاهرة ط .الثانية ، ص (١٥٦-١٥٧) .

وكانوا إذا أراد أحد أن يتبعهم على دينهم طوعًا أو كرهًا يأمرونه بالإتيان بالشهادتين أولًا ثم يقولون له اشهد على نفسك أنك كنت كافرًا ، أو اشهد على والديك أنهما ماتا كافرين ، واشهد على فلان وفلان أنه كان كافرًا ، ويسمون له جماعة من أكابر العلماء الماضين ، فإن شهدوا بذلك قبلوهم ، وإلا أمروا بقتلهم ، وكانوا يصرحون بتكفير الأمة من منذ ستمائة سنة ، وأول من صرح بذلك محمد ابن عبد الوهاب ، فتبعوه على ذلك ، وإذا دخل إنسان في دينهم وكان قد حج حجة الإسلام قبل ذلك يقولون له حج ثانيًا فإن حجتك الأولى فعلتها وأنت مشرك فلا يسقط عنك الحج ، ويسمون من اتبعهم من الخارج المهاجرين ، ومن كان من أهل بلدتهم يسمونهم الأنصار ، والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعي النبوة إلا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك ، وكان في أول أمره مولعًا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبًا كمسيلمة الكذاب ، وسجاح ، والأسود العنسي ، وطليحة الأسدي وأضرابهم ، فكأنه يضمر في نفسه دعوى النبوة ، ولو أمكنه إظهار هذه الدعوة لأظهرها ، وكان يقول لأتباعه : إني آتيكم بدين جديد ، ويظهر ذلك من أقواله وأفعاله ، ولهذا كان يطعن في مذاهب الأئمة وأقوال العلماء ، ولم يقبل من دين نبينا ﷺ إلا القرآن ، ويؤوله على حسب مراده ، مع أنه إنما قبله ظاهرًا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فيكشفوا عنه ، بدليل أنه هو وأتباعه أنما يؤولونه على حسب ما يوافق أهواءهم ، لا بحسب ما فسره النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير ، فإنه كان لا يقول بذلك ، ولا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي ﷺ وأقاويل الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ، ولا بما استنبطه الأئمة من القرآن والحديث ، ولا يأخذ بالإجماع ، ولا بالقياس الصحيح ، وكان يدعي الانتساب إلى مذهب الإمام أحمد ؒ كذبًا

وتسترًا وزورًا ، والإمام أحمد بريء منه »[1] .

يقول الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي تعقيبًا على كل هذا المنقول عن دحلان : « الجواب على هذه الأقوال كلها أنها على طولها وكثرتها كاذبة خبيثة ، فلا تعجبك كثرة الخبيث »[2] .

فصارت أرض الحجاز مركز دعاية ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وجماعته بعد ما أقصت الوهابيين قواتُ محمد علي باشا حاكم مصر آنذاك على إيعاز من الحكومة العثمانية ، وأضحت تنتشر في الحجاز ـ فيما يتصل بالشيخ ـ أمور مستهجنة إن سمعها مسلم لا يكره شخصه فحسب بل يعتبره أكفر الكافرين في العالم كله .

وبما أن الحرمين الشريفين هما مركز المسلمين الروحي والديني ومهد الدعوة الإسلامية ومنتجع الحجيج من المسلمين في العالم كله ، يختلف إليها المسلمون ولاسيما في مناسبة الموسم ، فساعد كل ذلك على انتشار كل ما يحاك فيها ضد الوهابيين أو يدور حولهم في المحافل والنوادي ، أو يقال ويكتب في المؤلفات ، ساعده على انتشار في طول العالم وعرضه[3] .

وقد زالت بحمد الله أثار ذلك في أرض الحجاز بعودة نفوذ آل سعود إليها ، ولكن بقت أثاره في كثير من بلاد الإسلام البعيدة عن الحجاز ولا تعلم عن حقيقة الدعوة الوهابية شيئًا .

---

(١) نقلًا عن « صيانة الإنسان .. » ، (ص : ٤٧٨-٤٧٩) ، وانظر « الدرر السنية » لدحلان ، (ص : ١٦٠-١٦٢) .

(٢) « صيانة الإنسان .. » ، (ص : ٤٧٩) .

(٣) انظر « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٥١-٥٢) ، نقلًا عن محمد منظور النعماني في « دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب » ، مكتبة الفرقان ط . ١٤٠٠هـ ، (ص : ٢٦-٢٧) .

•• وفي خلال القرن العشرين الميلادي الماضي ظهر في استانبول بتركيا المدعو حسين حلمي ايشيق [١] ليتصدر عداوة ومحاربة الدعوة الوهابية السلفية ، فجعل مكتبته تقوم بطبع ونشر الكتب المناوئة للدعوة ، ويوزعها في سائر الأقطار بالمجان ، باللغة العربية والفارسية والإنجليزية وغيرها من اللغات ، وقد أعاد طباعة العديد من الكتب المناوئة للوهابية عدة مرات وتوزيعها ، كما أن له كتبًا باللغة التركية ، بعضها تمت ترجمته إلى اللغة العربية ، وهي تحوي الطعن والتجريح للدعوة السلفية ، وتدعو إلى محاربة الدعوة الوهابية ومعادتها [٢] .

•• ومن النماذج البالغة السوء ، والداعية إلى التحسر والأسف على ما وصلت إليه أحوال أهل البدع من المتصوفة ، ما تقوم به مجلة صوفية باسم (الإسلام وطن) ، تصدرها مشيخة الطريقة العزمية بمصر ، ورئيس مجلس إدارتها شيخ الطريقة العزمية الصوفية ، والذي جعل المجلة مخصصة للتهجم على الدعوة الوهابية ، والدفاع عن شركيات وبدع وضلالات الصوفية ، حيث كونت ما اسمته بـ (لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية) ، وتنشر رسائل توزع مع المجلة شهريًا تردد فيه ما اندثر من افتراءات وأكاذيب حول الدعوة الوهابية ، وقد بلغ من بجاحة هذه اللجنة أن أطلت علينا بجرأة لا تحسد عليها بكم من الشناعات في حق الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ، مِنْ وصفهم بيهود هذه الأمة [٣] ، وأنهم من المأجورين ، وعملاء .

---

(١) ولد حسين حلمي ايشيق سنة ١٩٠٥م ، التحق بالدراسة العسكرية ، واشتغل بالسياسة ، التزم بالطريقة النقشبندية ، وهو يمتلك صحيفة يومية وصاحب مكتبة في استانبول ، يطبع ويوزع عن طريقها وبمختلف اللغات الكتب المناهضة للدعوة الوهابية السلفية وله شطحات وانحرافات متعددة .

(٢) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٥٨-٧٢) .

(٣) رسالة « موحدون لا قبوريون » الجزء الأول مع عدد شوال ١٤٢٧هـ / نوفمبر ٢٠٠٦م من مجلة الإسلام =

وتناولت حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ودعوته فيها فذكرت لجنة البحوث أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما هو إلا صنيعة (مستر همفر) من وزارة المستعمرات البريطانية ، وأنه كانت هناك صداقة حميمة بين مستر همفر وابن عبد الوهاب [١] .

وتذكر اللجنة إياها أنه كتب ابن عبد الوهاب إلى البلدان المجاورة المسلمة أن تقبل دعوته ، وتدخل في طاعته ، وكان يأخذ ممن يطيعه عشر المواشي والنقود والعروض ، ومن أبي غزاه بأنصاره ، وقتل الأنفس ، ونهب الأموال ، وسبى الذرارى ، فليس أمام أي مسلم إلا الوهابية أو القتل ، فترمل نساؤه ، وتيتم أولاده [٢] ، إلى أخر ما ذكرته اللجنة !! وصدق النبي ﷺ : « **إن مما أدركه الناس من النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت** » أو كما قال ﷺ .

ولما كان الموضع لا يتحمل الرد التفصيلي فنحن نورد ردًا مجملًا على ذلك داعين كل من تعلقت بنفسه ـ أو ساورته شكوك ـ بشبهات حول حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يرجع بنفسه إلى ما كتبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعاة الوهابية من بعده من زمنه إلى زماننا وهي كثيرة متداولة مطبوعة وسيجدها خالية مما يبثه أهل الأهواء والبدع ، الحانقين الكارهين الرافضين لما جاءت به الدعوة الوهابية السلفية من الحق المبين المؤيد بأدلة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة .

= وطن . انظر (ص : ٩) ، (ص : ١٤) ، (ص : ١٩) ، (ص : ٢٥) وغيرها .

(١) رسالة « موحدون لا قبوريون » الجزء الأول ، (ص : ١١) . وشخصية مستر همفر شخصية وهمية مختلقة لا يوجد تاريخيًا ما يثبت وجودها وما نسب إليها .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ١٤-١٦) .

فيقال للمخالفين وللمفترين : أرونا هذه المفتريات ، أو بعضها ، في شيء من مؤلفات الشيخ ، أو مؤلفات أبنائه ، أو مؤلفات أئمة الدعوة ، ولا شك أنهم لا يستطيعون أن يثبتوا حرفًا واحدًا في كتب الشيخ أو أتباعه [(١)] ، و هذه كتبهم تطبع وتنشر ، وقد بينا لكم معتقد الشيخ وما دعا له ، فإن كنتم في شك ، فاقرءوا شيئًا من كتبه أو كتب أبنائه وأحفاده لتطلعوا على الحقيقة ، وتعرفوا كذب أولئك الأفاكين الذين اغتر بهم الأكثرون ، وحسبوهم علماء محققين ، ولا يقولون إلا الحق والصواب ، والحال قد بان بأنهم ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النور : ٣٩] .

وها هو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن مؤلف كتاب (منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس) ، يرد في زمنه على العديد من الافتراءات والأكاذيب ، والتي ما زالت يرددها أعداء الدعوة الوهابية يلبسوا بها على العوام وعلى الذين لم يتعرفوا على حقيقة الدعوة الوهابية السلفية ، فجاء في رده على تلك التخرصات يقول : « وأما القول بأنا نكفر الناس عمومًا ، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه ، وأنا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل ، ومثل هذا وأضعاف أضعافه فكل هذا من الكذب والبهتان ، الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله ، وإذا كنا لا نكفر مَنْ عبد القبور من العوام لأجل جهلهم ، وعدم مَنْ ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ولم يقاتل ، ﴿ سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [(٢)] [النور : ١٦] .

---

(١) « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٦٠) .

(٢) انظر « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل موطامي ، (ص : ٦٢-٦٣) ، نقلًا عن الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله .

٣- أسلوب بعض رجال الدعوة الذين يسيئون إلى مبادىء الدعوة نفسها بتصرفاتهم التي لا تتفق مع أفكار الدعوة ومبادئها ، ومع أن هؤلاء قلة إلا إن أعداء الدعوة استغلوا تطرفهم على حساب الدعوة وأفكارها .

ومثل هذه الاساءات التي مصدرها تصرفات خاطئة من بعض دعاتها لا تخلو منها دعوة من الدعوات ، والواجب في الحكم على الدعوة ذاتها النظر في مبادئها وأفكارها ومنهجها ليرى هل توافق هذه المخالفات حقيقة الدعوة أم لا .

ولا يخفى أن من مخالفات بعض رجال الدعوة ما يكون سببه وجود مواقف حدثت فيها تجاوزات ربما اضطر إليها فاعلوها ، ولو كان الأمر بأيديهم وحدهم ما وقعت ، فينظر المخالف إليها على أنها من صميم الدعوة وسماتها ، فتتهم الدعوة لذلك بما ليس فيها ولا من سماتها [1] .

□ فمثلًا :

اتهم البعض أتباع الدعوة الوهابية وبالتالي الدعوة نفسها ـ بالشدة والتشدد وروجوا لذلك بين الناس ، مستغلين أن الدعوة تخالف ما عليه الكثير من العوام من البدع والشركيات المتوارثة من جهة ، وبعض المواقف التي وقعت فيها تجاوزات من بعض أتباع الدولة عبر تاريخها ، أو بعض المواقف التي أسيء فهمها وكان لأتباع الدعوة وجهة نظر لم يتفهمها المخالفون .

□ فمن أمثلة ذلك في تاريخ الدعوة الوهابية :

- ما أثير حول تجاوزات أتباع الدعوة الوهابية بارتكاب مذبحة في كربلاء

---

(١) « دعوة الشيخ » ، (ص : ٧٥) نقلًا عن حمد الجاسر في « ملاحظات وتعليقات وردود » ـ مجلة العرب ـ جـ(٩، ١٠) سنة ١٣٩٠هـ ، (ص : ٧٦٤) ، (ص : ٩٣٧) .

عام ١٢١٦هـ (١٨٠١م) ، حيث ذكر في الكثير من الكتب مبالغات كثيرة حول هذا الموضوع ، وهذه التجاوزات ـ وإن بالغ المتكلمون فيها ـ لا تقع تبعتها على الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بقدر ما تقع على والي العراق الذي ساعد أهل الأحساء في تمردهم على الإمام عبد العزيز ، وأرسل جيشًا لمحاربة الوهابيين ، وقتل مجموعة من الذين يدينون بالولاء للإمام عبد العزيز ، فلما طالبه الإمام بتأديب المعتدين وتسليم ديات القتلى لم يلتفت إلى ذلك ، فأرسل الإمام عبد العزيز سرية بقيادة ابنه (سعود بن عبد العزيز) ، فانضم إليها الكثير من أهل البادية ممن يعادون والي العراق وليسوا من الموالين للدعوة الوهابية والإمام عبد العزيز ، فأحدثوا تجاوزات لا تتفق مع تعاليم الدعوة الوهابية ، فاتخذها البعض وسيلة للطعن في الدعوة وإمامها (١) .

– وكذلك ما أثير حول دخول آل سعود مكة والمدينة المنورة في عهد دولة آل سعود الأولى أيضًا ، وما زعمه الخصوم من استباحة الحرمين الشريفين ، ونهب الأموال التي كانت موجودة بالحجرة النبوية الشريفة ، وحقيقة الأمر كما ذكرها المؤرخون للدعوة أن دخول الحرمين لم يصحبه استباحة أو سفك دماء ، بل انقاد أهل الحرمين لآل سعود في صلح وأمن وآمان ، وأموال الحجرة النبوية جعلت بعد مشورة أهل العلم في حاجات أهل المدينة بإطلاع أعيان المدينة وغيرها .

يقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب واصفًا دخول الإمام سعود مكه سنة ١٢١٨هـ (٢) : « أما بعد : فإننا ـ معاشر غزو الموحدين ـ لما مَنَّ الله علينا

---

(١) راجع في ذلك « دعوة الشيخ » لابن سليمان السلمان ، (ص : ٦٤-٦٦) .

(٢) من رسالة للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ضمن كتاب « الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية » ، وانظر « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٥٤-٥٥) .

وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت ٨ شهر محرم الحرام سنة ١٢١٨هـ بعد أن طلب أشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو سعود ـ حماه الله ـ الأمان ، وقد كانوا تواطأوا مع أمراء الحجيج وأمير مكة على قتاله أو الإقامة في الحرم ليصدوه عن البيت ، فلما زحفت أجناد الموحدين ، ألقى الله الرعب في قلوبهم ، فتفرقوا شذر مذر ، كل واحد يعد الإياب غنيمة ، وبذل الأمير حينئذ الأمان لمن بالحرم الشريف [1] ودخلنا شعارنا التلبية آمنين محلقين رؤوسنا ومقصرين غير خائفين من أحد من المخلوقين ، بل من مالك يوم الدين ، وحين دخل الجند الحرم وهم على كثرتهم مضبوطين متأدبون لم يعضدوا به شجرًا ولم ينفروا صيدًا ولم يريقوا دمًا إلا دم الهدي ، أو ما أحل الله من بهيمة الأنعام ، على الوجه المشروع » اهـ .

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في جواب له حول نفس الموضوع [2] :

---

(١) دأب شريف مكة على منع أتباع الدعوة الوهابية من الحج ، بل وجهز الشريف غالب جيشًا لقتالهم عام ١٢٠٥هـ ، ولم يستطع دخول نجد وانهزم جيشه ، ووقعت بين الفريقين وقعات كثيرة ، حتى وصل آل سعود إلى تملك الطائف عام ١٢١٧هـ ، ثم قصدوا مكة في المحرم سنة ١٢١٨هـ ، فترك لهم الشريف مكة لعدم قدرته على قتالهم ونزل جدة ، فدخل آل سعود مكة وقد أعطوا الأمان لأهلها ، ولم يستطيعوا دخول جدة ، فاكتفوا ببسط نفوذهم على مكة ، ثم استعاد الشريف غالب مكة من أتباع الدعوة الوهابية ، فحاصرها آل سعود من جديد ودخلوها صلحًا بعد عقد صلح بينهم وبين الشريف غالب .

* وانظر للمزيد في ذلك :

تاريخ الجبرتي أحداث عام ١٢٢٢هـ ، ١٢٢٣هـ .

و « السعوديون والحل الإسلامي » ، (ص : ١٧٤-١٧٥) .

(٢) من مناظرة بين الشيخ عبد اللطيف وداود بن جرجيس البغدادي نقلها الشيخ محمود شاكر الألوسي في كتابه « تاريخ نجد » ، وانظر « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ٦٣-٦٤) .

« وأما ما ذكره السائل من استباحة الحرمين الشريفين : فاعلم أيها السائل الفاضل ، أن هذا من الكذب والبهت المبين ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل : ١٠٥] ، لم يقع فيهما قتال بحمد الله ، فضلًا عن الاستباحة ، وإنما دخلها المسلمون في حال أمن وصلح وانقياد من شريف مكة ورؤساء المدينة ، وجلس المشايخ منا في الحرمين الشريفين للتعليم والتدريس ، وكتبت الرسائل في بيان التوحيد والتنزيه والتقديس حتى جاءت العساكر [١] ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولًا .

وأما الأموال التي أخذت من الحجرة الشريفة ، فلم تؤخذ ولم تصرف ، إلا بفتاوى أهل العلم من سكان المدينة ، ووضع خطوطهم عليها [٢] ، وحاصل ما كتب أن هذه الأموال وضعت توسعة لأهل المدينة ، وصدقة على جيران رسول الله وأرصدت لحاجاتهم ، وأُعدت لفاقتهم ، ولا حاجة لرسول الله ﷺ إليها وإلى اكتنازها وادخارها في حال حياته فضلًا عن حال مماته ، وقد تقطعت أسباب أهل المدينة ومرتباتهم بمنع الحاج في تلك السنة ، وأخرجت تلك الأموال لما وصفنا من الحال بإطلاع وكيل الحرم وغيره من أعيان المدينة وغيرها ، وما وقع من خيانة وغلول لا تجوز نسبته إلى أهل العلم والدين ، أو أنهم راضون ، أو غير منكرين له ، ولا يجوز أن يسمى ما وقع استباحة للحرمين كما ذكرت أيها السائل . وقد

---

(١) أي عساكر جيوش محمد علي من المصريين .

(٢) أي توقيعاتهم بأسمائهم .

* وانظر للمزيد في ذلك :

تاريخ الجبرتي أحداث عام ١٢٢٢هـ وما بعده .

و « السعوديون والحل الإسلامي » ، (ص : ١٧٦-١٧٨) ، (ص : ٢٢١-٢٢٣) .

وقع من تعظيم الحرمين وكسوه الكعبة ، وتأمين السبل ، والحج إلى بيت الله ، وزيارة الحرم الشريف النبوي ما لا يخفى على منصف عرف الحال ، ولم يقصد البهت والضلال » اهـ .

ذكر الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه (منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع) كيف أن بعض المناصرين للدعوة من أدعياء العلم كانوا يغالون في الدين ، فيدخلون فيه ما ليس منه تشددًا [1] ، ويتوجهون إلى أهل البادية فيكفرونهم جميعًا مستدلين على ذلك بكلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في وصف أهل البادية في زمانه وقبل ظهور الدعوة والقيام بالتوحيد فيهم ، وذكر كيف أن إمام آل سعود قام بعقابهم ومنعهم من ذلك ، ووافقه مشايخ الدعوة على ذلك .

يقول في ذلك ما ملخصه [2] : « فنقول قد كان من المعلوم عند الخاصة والعامة أن الذي منع هؤلاء من الذهاب إلى هذه الأماكن المذكورة في السؤال هو الإمام أعزه الله بطاعته ، لأمرين :

أحدهما أنهم افتاتوا على منصب الإمامة ، فذهبوا إلى البادية من رعيته ومن تحت يده وفي ولايته من غير أذن منه ولا أمر لهم بذلك وقد كان من المعلوم أن الإمام هو الذي يبعث العمال والدعاة إلى دين الله .

الثاني : ما بلغه عنهم من الغلو والمجازفة والتجاوز للحد من المأمورات والمنهيات وإحداثهم في دين الله ما لم يشرعه الله ولا رسوله ، فمن ذلك : أنهم

---

(١) وكان ذلك وراء تأليفه لهذا الكتاب ﷺ .

(٢) راجع « منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع » تأليف الشيخ سليمان بن سحمان ، ط . دار مروان ـ القاهرة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م (ص : ٧٠-٧٤) ، وانظر صفحات (١١، ١٥ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٣) .

كفروا البادية بالعموم وزعموا أنهم [1] على الحالة التي كانوا عليها قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ ، وأنهم لم يسلموا ولم يدخلوا في هذا الدين ، ويستدلون على ذلك بما ذكره الشيخ ﷺ في الموضع السادس الذي نقله من السيرة ، وبما ذكره في رسالته إلى الشريف [2] من تكفيرهم البادية الذين كانوا في وقته [3] وأنه ليس معهم من الإسلام شيء .

ومنها أن من دين ودخل في الدين من الأعراب لا يصح لهم إسلام حتى يهاجروا ، ومنها أنهم يلزمون من دخل في هذا الدين أن يلبس عصابة على رأسه ويسمونها العمامة ، وأنها هي السنة ، فمن لبسها كان من الإخوان الداخلين في هذا الدين ، ومن لم يلبسها فليس من الإخوان ، وأنها شعار وزي يتميز به المسلم عن الكافر » ، « ومنها أنهم لا يسلمون إلا على من يعرفون وتميز بالعمامة » ، « ومنها لا يدعون أحدًا صلى معهم صلاة الصبح أن يخرج من المسجد إلا بعد طلوع الشمس وهذا لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولا فعله أصحابه من بعده » [4] ، « وزعموا أن تدويه البدو للإبل [5] عند ورودها وصدورها بدعة ، ومن المعلوم أن البدع لا تكون إلا في القربات الشرعية وتدوية الأعراب لإبلهم من العادات الطبيعية ، فزعموا أن هذه العادات من العبادات وقد بلغني عن رجل من هؤلاء المتعمقين » ، « يقول من لبس العمامة ثم تركها ارتد عن الإسلام ، وبلغني عن

(١) أي أهل البادية .

(٢) أي شريف مكة في زمنه .

(٣) أي في وقت الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ .

(٤) أي حبس الناس والزمهم بالمكث حتى طلوع الشمس وإلا فهي سنة اختيارية .

(٥) التدوية للإبل هو نداؤها بكلمة (داه داه) أو (ده ده) لتجيء لولدها ، يقال دوه بالإبل أي دعاها .

رجل من أعيانهم أنه كتب إلى بعض الأعراب ينهاهم عن مباشرة النساء في فرشهن في الحيض لأن ذلك ذريعة إلى جماعهن في الحيض ـ ويل أمه ـ أما علم أن ذلك ثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ من فعله وأمره ، ومن هؤلاء من تجاوز الحد في التأديب عند فوات بعض الصلاة فضربوا رجلًا منهم حتى مات ، وثبت عندنا عن بعضهم أنه فسر قوله ﷺ : « **اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور** » ، فزعم أن الكور هو العمامة وأن الرسول استعاذ بالله من تركها بعد لبسها ، وثبت عن رجل آخر منهم أن يقول لما انقطعت ناقته وأعيت من الهزال فنحرها أهلها فقال : إنها حرام لا تأكلوها ، واستدل بقول الله تعالى : ﴿ **وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ** ﴾ فحمل القرآن على لغته الفاسدة [1] إلى غير ذلك من الأمور التي أحدثوها مما لا يمكن عده ولا استقصاؤه ، فلما اشتهر هذا الأمر عنهم ، وهذا الغلو والتجاوز للحد ، خاف الإمام أن يسيروا بسيرة الخوارج فيمرقوا [2] من الدين بعد أن دخلوا فيه كما مرق من غلا في الدين وتجاوز الحد ممن كانوا من أعبد الناس وأزهدهم » ، « فهذا هو المرام الذي أوجب للإمام بمنع هؤلاء الجهلة من دخول بلاد النازلين وأما المشايخ فلم يمنعوا أحدًا من هؤلاء من الدعوة إلى الله » ، « وإن كانوا قد استحسنوا ما فعله الإمام واستصوبوه ، ورأوا أنه الحق والصواب » ، « ثم إن الإمام ـ أعزه الله بطاعته ـ اقتضى رأيه » ، « أن يبعث دعاة إلى كل بلد من هذه البلدان ، فبعث إليهم دعاة معلمين من أهل المعرفة يعلمونهم أصل دينهم وأحكام صلاتهم ويخبرونهم بما وجب عليه من حق الله تعالى في الإسلام ، وبعث

---

(١) ظن أن معنى (المتردية) من تردى حالها بالإعياء والهزال . والتردي المراد في الآية سقوط الحيوان من مكان مرتفع فيموت بذلك .

(٢) في الأصل : فيمرقون .

أيضًا إلى كل قبيلة من الأعراب الذين هم في ولايته دعاة معلمين يصلون بهم ، ويعلمونهم أصل دينهم ، وهذا من كمال نصحه وشفقته برعيته فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء » .

□ ومن أمثلة ذلك في عصرنا الحاضر :

أنه « حينما عارض جماعة (الإخوان) [1] في عهد الملك عبد العزيز دخول بعض أساليب الحضارة كالسيارة والتلغراف ونحوها ، قام علماء الدعوة ـ أي علماء الدعوة الوهابية ـ في ذلك الوقت بإبطال اعتراضهم وبيان الحق في ذلك » [2] .

وللأسف فالمغرضون ينسبون لعلماء الدعوة أنهم مانعوا إدخال أساليب الحضارة المملكة السعودية ، مع أنهم عارضوا المانعين لها ولم يؤيدهم .

تنبيه :

من المناسب أن نذكر هنا أن ما عابه بعض الباحثين على علماء الدعوة السلفية في نجد أنهم لم يهتموا بالأخذ بأسباب التقدم الحضاري الذي كان يشهده العالم وقت ظهور الدعوة في نجد يرده أن علماء الدعوة الوهابية قديمًا وحديثًا لا يرون تعارضًا بين الأخذ بالتقدم الحضاري وبين الإسلام إذا سار هذا التقدم بهدى القرآن والسنة النبوية وآثار السلف الصالح وكان فيه النفع للمسلمين .

« ولعل الظروف الصعبة التي أحاطت بالدعوة وأتباعها في تاريخها الطويل

---

(١) جماعة الإخوان بالمملكة جماعة من أساس قَبَلي كانت تعمل بالكتاب والسنة ، وتحالفت مع الملك عبد العزيز في فترة من الفترات ، ثم دخلت في صدام مع آل سعود في منتصف العشرينات من القرن العشرين الميلادي انتهت بهزيمتهم في موقعة السَّبَلة عام ١٩٢٩م والقضاء على تواجدهم السياسي .

(٢) (دعوة الشيخ) لابن سليمان السلمان ، ص (٤٢) بتصرف .

* وللتعرف على حركة الإخوان بالمملكة والأحداث التي وقعت في وقتهم تراجع الدراسة الجادة التي كتبها عنهم الأستاذ محمد جلال كشك في كتابه (السعوديون والحل الإسلامي) ، ص (٥٤٩-٧٠٧) .

هو الذي صرفها عن الأخذ بتلك الحضارة »[١] ، « أما أن ينسب إلى الحضارة وأدواتها أنها ربما قامت عوائق في طريق الدعوات الدينية الإصلاحية السليمة ، ومن أجل ذلك تفاداها محمد بن عبد الوهاب فإنه غير صحيح ، إذ ربما كانت هذه الحضارة أيسر تسخيرًا في التوصل السريع والنشر العاجل »[٢] .

٤- النزاعات السياسية والحروب التي خاضتها الدعوة الوهابية السلفية خلال تاريخها عبر القرون الماضية ، وهي نزاعات طويلة متعددة ، فمن النزاع مع علماء نجد والجزيرة العربية ، إلى نزاع مع أشراف الحجاز ، ثم النزاع مع الأتراك العثمانيين وامتداد صور هذه النزاعات لأجيال متعاقبة .

يقول محمد عبد الله ماضي عن هذه النزاعات :

« عامل سياسي يرجع إلى الخلاف الذي قام بين آل سعود الوهابيين وبين الدولة العثمانية التي كانت الجزيرة العربية جزءًا من أملاكها وقت أن شرع الوهابيون يستقلون بالحكم فيها » ، « ذلك الخلاف الذي سبب الحرب النجدية المصرية بين محمد علي والوهابيين ، والذي صحبه وترتب عليه كثير من الدعايات ضد الوهابيين خصوم الدولة السياسيين ، وإظهارهم بمظهر المعتدي على الدين الخارج على تعاليمه ، حتى تسهل مقاومتهم ، ويتيسر القضاء عليهم ، وكذلك الخلاف السياسي بين آل سعود والوهابيين وبين أشراف مكة ، ثم بينهم وبين زعماء نجد المحليين »[٣] .

---

(١) المرجع السابق ، (ص : ٤٢) .

(٢) المرجع السابق ، (ص : ٤٢) .

(٣) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٧٤) ، نقلًا عن « النهضات الحديثة في جزيرة العرب » ط ٢ ، دار إحياء الكتب العربية ، (ص : ٥٩) .

ويذكر الشيخ محمد رشيد رضا صورة من صور الصراع السياسي بين الأشراف وآل سعود مع بداية قيام الدولة السعودية الثالثة فيقول :

« كانت جريدة القبلة ـ لسان الملك حسين آنذاك ـ تكيل التهم والأكاذيب على هذه الدعوة السلفية ، وقد أصدر الملك حسين عدة منشورات في جريدة القبلة سنة ١٣٣٦هـ وسنة ١٣٣٧هـ رمى الوهابيين بالكفر ، وقذفهم بتكفير أهل السنة ، والطعن في الرسول .. وقام بعض أهل دمشق وبيروت ويتقربون إلى الأشراف بطبع الرسائل في تكفيرهم ورميهم بالأكاذيب ، ثم سرى ذلك إلى مصر ، وظهر له أثر في بعض الجرائد .. » .

« إن سبب قذف الوهابية بالابتداع والكفر سياسي محض كان لتنفير المسلمين منهم لاستيلائهم على الحجاز ، وخوف الترك أن يقيموا دولة عربية ، ولذلك كان الناس يهيجون عليهم تبعًا لسخط الدولة ويسكتون عنهم إذا سكنت ريح السياسة »(١) .

ولا شك أن محاربة الدولة العثمانية لدولة آل سعود الأولى بعد قيامها وبسط نفوذها على الجزيرة العربية أعطت انطباعًا لدى عوام المسلمين وقتها ـ وفي أجيال بعدها ـ سيئًا عن الدعوة الوهابية ، فأساء الكثيرون الظن بها لذلك ، خاصة مع عدم الإلمام بحقيقة الدعوة والظروف التي أدت إلى الصراع العسكري بين دولة الخلافة ودولة آل سعود الأولى .

---

(١) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٧٤) ، نقلًا عن الشيخ محمد رشيد رضا في المنار م ٢٤ ، ح٨ ، ص (٥٨٤) بتصرف .

الباب الثاني

جوانب سياسية

للدعوة الوهابية

تمهيد

المراد من هذا الباب التعرض بالذكر لجزء يتعلق بالجانب السياسي المرتبط بالدعوة الوهابية ، المتمثل في حكام آل سعود ، الذين تبنوا حماية الدعوة الوهابية السلفية ، وأقاموا دولتهم على مبادئها .

وإذا كنا نوقن تمامًا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ مهما نظن ونحسبه فيه من العلم والصلاح ﷺ ـ ليس معصومًا من الخطأ كسائر البشر ، يجري عليه ما يجري على غيره من الأخطاء والمخالفات ، لذا فنحن لا ندافع عن الأخطاء إن وجدت ، ولكن نتفهم دوافع ما كان منها عن اجتهاد وحسن نية ، وندافع عن دعوة الشيخ السلفية المبنية على عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة ، والتي اجتهد الشيخ ـ ثم أتباعه من بعده ـ في تطبيقها عمليًا ، في تجربة حملت الكثير من الخير ، ولابد أن يكون قد شابها شيء من الخطأ ، وليس المجال مجال تفصيل ، وإن كانت هذه الدعوة عبر مراحلها المختلفة جديرة بالتدبر والدراسة واستخلاص النتائج والدروس المستفادة .

وحكام آل سعود كذلك كغيرهم من البشر ، ولكنهم اجتهدوا في إقامة دولتهم على عقيدة ومنهج السلف الصالح في ظل ظروف صعبة للغاية ، مسترشدين في ذلك بعلماء الدعوة الوهابية ودعاتها ، وتقلبت بهم الأحوال ، بين ظهور واندثار ، وتعرضوا لمحن وابتلاءات ، ومازالوا يتعرضون ، وهم يصيبون ويخطئون ، ولكن يذكر لهم أن لهم دولة على التوحيد ، وأقاموا مملكة مترامية الأطراف يسودها الأمن والأمان ، تعلوها شريعة الإسلام ، وتقام فيها الحدود الشرعية ، ويجهر فيها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيها للحرمين الشريفين ـ

المسجد الحرام والمسجد النبوي ـ كل الرعاية والاهتمام والتبجيل .

لذا فلا أرى بأسًا أن يُعرف عنهم بعض تاريخهم الطويل الذي امتد قرابة ثلاثة قرون مرتبط بالدعوة الوهابية مدًا وجزرًا .

الدولة السعودية الأولى

ينسب آل سعود إلى جدهم الأعلى (سعود بن محمد بن مقرن) من قبيلة عنزة إحدى قبائل ربيعة العدنانية ، وموطنهم الأول يقع على شاطئ الخليج العربي قرب الدمام حاليًا . وفي عام ٨٥٠هـ انتقل جدهم الأعلى (مانع) إلى جهة الدرعية فسكنها وأصبح له فيها رئاسة وزعامة توارثها أولاده من بعده [١] .

وقد عرف عن هذه الأسرة تشجيعها للعلماء وعنايتها بهم [٢] .

• الإمام محمد بن سعود :

وقد تولى محمد بن سعود إمارة (الدرعية) في عام ١١٣٩هـ ، وكان قويًا ذا عقل وهيبة ، وسياسيًا ، استطاع بمؤازرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يبني دولة مهابة الجوانب في نجد ، حيث قضى أربعين عامًا في الفتح والعمران ، وتوفي عام ١١٧٩هـ [٣] .

اتفاق الدرعية :

منذ ظهور اتفاق الدرعية سنة ١١٥٧هـ بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود بدأت أولى مراحل الدعوة الوهابية في نجد ، وخلال سنتين قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب باستخدام الوسائل السلمية في نشر دعوته والتمكين لها ، من تدريس وخطابة وتأليف وكتابة ، ومراسلة ومناظرة ونحو ذلك . فلما اشتدت العداوة بين الشيخ وخصومه دخلت الدعوة مرحلة جديدة

---

(١) « صور من التاريخ الإسلامي » الكتاب المقرر على الشهادة الابتدائية للبنات بالمملكة العربية السعودية ، ط . ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، (ص : ٤٥) .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ٤٥) .

(٣) راجع المصدر السابق ، (ص : ٤٦) .

قام خلال الأمير محمد بن سعود ومعه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بقتال أعداء الدعوة في بلاد نجد بداية من عام ١١٥٩هـ (الموافق ١٧٤٦م) [١] .

الدرعية .. لماذا ؟

حينما بات محتمًا على محمد بن عبد الوهاب أن يغادر (العيينة) كانت الدرعية أنسب مكان يمكن أن يذهب إليه ، فقد كانت قوتها آخذة في الازدياد ، يوضح ذلك أن زعماءها بعد سنوات من استردادهم إماراتها تمكنوا من صد حملة سعدون ابن محمد ـ رئيس بني خالد ـ على بلدتهم ، وأنهم كانوا سنة ١١٣٩هـ (١٧٢٦) في موقف جعلهم يفكرون في مهاجمة العيينة ، ولم يتمكن دهام بن دواس من السيطرة على الأوضاع الداخلية في الرياض سنة ١١٥٢هـ (١٧٣٩م) إلا بمساعدة أمير الدرعية [٢] .

ومن ناحية أخرى فالواضح أن علاقة أمراء الدرعية بزعماء بني خالد كانت سيئة ، بدليل غزو هؤلاء الزعماء لتلك البلدة سنة ١١٣٣هـ (١٧٢٠م) ، ومادام زعيم بني خالد وراء إخراج محمد بن عبد الوهاب من العيينة ، فإن الشيخ محمدًا أصبح يشترك مع أمراء الدرعية في خصم واحد ، ولهذا فمن المحتمل جدًا أن يجد لديهم كل تأييد [٣] ، « وأهم من كل ما سبق أن دعوة الشيخ كانت آنذاك قد لقيت

---

(١) ذكر البعض كالمؤرخ وليمز في كتابه « ابن سعود : سياسته ، حروبه ، مطامحه » والمستشرق (سيديو) في كتابه « تاريخ العرب العام » أن الأمير محمد بن سعود تزوج من ابنة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فصارت بينهما مصاهرة . انظر « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (ص : ١٠٨-١١١) .

(٢) انظر « آل سعود والشام في عهد الدولة السعودية الأولى على ضوء الوثائق التركية » تأليف دكتور أحمد فؤاد متولي كلية الآداب جامعة عين شمس ط . دار الزهراء ـ القاهرة ط . ١٩٩١م / ١٤١١هـ ، (ص : ١٨) نقلًا عن « الشيخ محمد بن عبد الوهاب : حياته وفكره » للدكتور عبد الله الصالح العثيمين .

(٣) المصدر السابق ، (ص : ١٨) .

قبولًا كبيرًا بين الشخصيات الهامة في الدرعية مثل آل سويلم »[1]

إقامة دولة آل سعود الأولى :

تولى الإمام محمد بن سعود حماية الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته ، ولما اشتدت الخصومة بين الشيخ ومعارضيه بر الإمام محمد بن سعود بوعده وراح يدعو العرب لدين التوحيد وترك البدع والخرافات ، وكان ذلك في عام ١١٥٩هـ (١٧٤٥م) ، حيث بدأ جهاده يعاونه في ذلك أخواه مشاري وفرحان ، كانت المعارك الأولى التي خاضها ابن سعود معارك بسيطة ضد العربان في المناطق المجاورة ، وقد استطاع في وقت قصير أن يدين سكان (حريملاء) في ٨ جمادي الأولى سنة ١١٦٨هـ ، والعيينة والمنفوحة سنة ١١٧٠هـ (١٧٥٧م)[2] ، ثم حدث الصدام الكبير مع دهام بن دواس صاحب الرياض ، وكان عنيدًا يتحين الفرص للقضاء على ابن سعود ، وكثيرًا ما نقض العهود والمواثيق معه بعد أن أحس ببريق أمل في عينيه ، وكان يحرض أمراء المناطق المجاورة للدرعية للاعتداء عليها ، والنيل من أميرها ، والقضاء على شيخها ، ورغم ذلك كانت الدعوة تنتشر رغم الصعوبات الشديدة والمشاكل الجمة . فقد استسلم أهل الوشم وسدير عام ١١٧٠هـ (١٧٥٧م) ، وكانوا من أنصار دهام ، ومن الجدير بالذكر أن بعض البلاد كانت تستسلم لابن سعود ثم تعود أحيانًا إلى العصيان والتمرد عليه ، فكان يعاود الكرة عليها مرة أخرى .

توفي الأمير محمد بن سعود سنة ١١٧٩هـ (١٧٦٥م) بعد أن نشر الدعوة في معظم أنحاء نجد ، وسيطر على الموقف في أرجائها وجوانبها ، وجهر بالدعوة ،

---

(١) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٨) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ١٩) ، نقلًا عن « آل سعود في التاريخ » ، تأليف فريد مصطفى أبو عز الدين .

وأعلى صوتها ، ودعا الناس إلى الدخول فيها لتصحيح المعتقدات الباطلة التي أودت بهم إلى شيء من الجاهلية الأولى .

تولى الإمارة بعد الأمير محمد ابنه الأمير عبد العزيز (١١٧٩هـ-١٢١٨هـ) (١٧٦٥م-١٨٠٣م) ، فبدأ بالرياض المعقل العنيد أمامه ، وتمكن من فتحه سنة ١١٨٧هـ (١٧٧٢م) ، بعد محاولات عديدة عنيفة استمرت خمس سنوات ، وبهذا تنفس ابن سعود الصعداء ، وأمن شر المناطق الملاصقة له ، وقضى على خصم خطير شغله مدة طويلة من الزمن [١] .

وفي أواخر سنة ١٢٠٦هـ (١٧٩٢م) [٢] توفي شيخ الإسلام محيي معالم الدين ، ومظهر آيات التوحيد ومجدد سنة الرسول ﷺ ، الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته [٣] .

ثم بدأ عبد العزيز بن محمد يفكر في مناطق أخرى من الجزيرة العربية خارج حدود نجد ، فأرسل ابنه سعود إلى اليمامة ، فاستولى عليها ، ثم بعث به إلى الحسا [٤] عدة مرات ، فتمكن من فتحها سنة ١٢١٠هـ بعد محاولات عديدة ، واستولى بعد ذلك على القطيف وعجير والقرى التابعة لها .

وبعد القضاء على الرياض والحسا ، ظهرت قوة ابن سعود على مسرح الأحداث واضحة جلية ، وأصبح يُرْهَب جانبها ، فقد أضحت أكبر قوة عسكرية في الجزيرة العربية ، وكثر أنصار الدعوة بعد فتح هاتين المدينتين نظرًا لكثافتها

(١) المصدر السابق ، (ص : ١٩-٢٠) .

(٢) أو ١٧٩١م .

(٣) المصدر السابق ، (ص : ٢٠) .

(٤) الحسا : أي الأحساء ، وكانت تكتب في كتب التاريخ العثماني وفي الوثائق العثمانية (لِحسا) كما كانت ترد على ألسنة العامة فيها . وانظر « آل سعود والشام » ، (هامش ص : ٢١) .

السكانية ، وضخامة الفتح بالنسبة لهذه القوة الناشئة [١] .

ولا شك أن استيلاء عبد العزيز بن محمد على الرياض كان كسبًا عظيمًا للدرعية .. فقد تخلصت من أقوى خصم نجدي لها [٢] ، وبدلًا من أن تكون بلاده ضدها أصبحت معها ، وأصبحت قاعدة الدولة أكثر صيانة من ذي قبل ، فبات بإمكانها أن ترسل جيوشها إلى مناطق بعيدة دون أن تخشى ضرب مؤخرتها [٣] .

كما شكل دخول ابن سعود الحسا نقطة هامة في تاريخ الدولة السعودية الأولى ، فقد كانت ضربة قوية لبني خالد المهيمنين على الحسا ، وبعض المناطق المجاورة لها على الخليج العربي ، والذين تتبع لنفوذهم بعض البلاد في نجد أيضًا ، وقد أثار دخول ابن سعود الحسا قلق والي بغداد التابع للدولة العثمانية ، فأخذ يفكر في التصدي لها ، خوفًا من أن تكبر قوته يومًا ، فيمتد نفوذه ليشمل البصرة وبغداد فيما بعد [٤] .

وعلى الرغم من أن هذه المعارك عمت معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية إلا أنها نقلتها من حال إلى حال ، حولتها من الانقسام إلى الوحدة ، ومن الانحراف والجهالة والعصيان إلى التوحيد والعلم والعبادة ، وأصلحتها في أخلاقها ومعاملاتها ، وقامت دولة إسلامية عزيزة الجانب ، مرهوبة الأركان ، وحدت الإمارات المتناثرة تحت لوائها ، وامتدت من البحر الأحمر غربًا إلى الخليج العربي شرقًا ، ومن الشام شمالًا إلى اليمن جنوبًا ، توفرت لها كل مقومات الدولة في

---

(١) انظر المصدر السابق ، (ص : ٢١) .

(٢) والمراد بالخصم هو دهام بن دواس بن عبد الله ، الذي تصدى للدعوة الوهابية السلفية سبعًا وعشرين عامًا (١١٦٠هـ-١١٨٧هـ) ثم هرب إلى الأحساء وتوفي بها .

(٣) انظر المصدر السابق ، (ص : ٢١) .

(٤) انظر المصدر السابق ، (ص : ٢٢) .

مفهوم ذلك العصر ، وعرفت باسم (الدولة السعودية الأولى) .

بدأت الدولة السعودية الأولى بعد أن أرست أقدامها في الدرعية أولًا ، ثم في نجد ثانيًا ، ثم في معظم أجزاء الجزيرة العربية في المرحلة التالية ، تتطلع إلى خارج الجزيرة إلى المناطق المجاورة لنشر الدعوة السلفية بين ربوعها ، بدأت الدولة الأولى تفكر في غزو العراق ، ثم تطلعت إلى الشام بعد ذلك ، لم تكن السلفية حركة محلية ، فقد حاولت نشر دعوتها بالقوة في العراق وبلاد الشام ، كما أنها لعبت دورًا هامًا في تطوير الفكر الإسلامي الحديث [(١)] .

ضم الحجاز لدولة آل سعود الأولى :

انتشرت الدعوة الوهابية في أنحاء الجزيرة العربية ، وتكونت لها دولة ، وتقبلها الناس وآمنوا بها ، ومع ذلك فقد ظل العالم الخارجي حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ـ الثالث عشر الهجري ـ لا يعرف عن هذه الدعوة إلا القليل ، حتى غزا السعوديون كربلاء [(٢)] سنة ١٢١٦هـ [(٣)] (١٨٠١م) تلك المدينة الشيعية المقدسة في العراق ، وطبقًا لمبادئ الدعوة قاموا بهدم قباب الأضرحة ، وفي مقدمتها القبة الموضوعة على القبر المزعوم للحسين رضي الله عنه [(٤)] ، مما آثار الشيعة المتعلقين بها ، فقتل أحد الشيعة الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود وهو يؤدي صلاة العصر في مسجد (الطريف) بالدرعية سنة ١٢١٨هـ ، انتقامًا للاستيلاء على كربلاء ، وتسوية مشهد الحسين [(٥)] ، فخلفه ابنه سعود الملقب

---

(١) « آل سعود والشام » ، (ص : ٢-٣) .

(٢) غزا سعود بن عبد العزيز بأمر والده العراق سنة ١٢١٥هـ بعد احتدام الخلاف مع واليها .

(٣) في شهر ذي القعدة .

(٤) وكذلك هدموا قبري طلحة والزبير رضي الله عنهما .

(٥) وقيل أن ذلك كان بتخطيط والي العراق وتدبيره .

بالكبير [١] ، وفاجأ السعوديون العالم مرة أخرى سنة ١٢٢١هـ (١٨٠٦) [٢] عندما انتزعوا مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فأخرجوهما من دائرة النفوذ السياسي للأتراك العثمانيين [٣] .

وبعد أن دخل الحجاز في حوزة السعوديين أصاب الارتباك الشديد الدولة العثمانية واعترتها الحيرة ، فقد تأكد لها أن الأماكن المقدسة قد ضاعت من يدها ولم تعد لها السيطرة عليها ، وهذا ما يؤدي بالتالي إلى فقدان العثمانيين لهيبتهم لدى العالم الإسلامي وضياع مركزهم المتميز بين دوله [٤] .

وقد بدأ رد الفعل العثماني يتضح شيئًا فشيئًا ، فقد قام السلطان العثماني بتكليف ولاة بغداد الواحد تلو الآخر بمهمة استرداد الحجاز [٥] ، ولما يئس من تسويفهم وعدم جديتهم بعدم اتخاذ خطوات فعالة لتحقيق ذلك اتجه إلى ولاة الشام لأداء تلك المهمة فلما تبين له عدم جديتهم كلف محمد على والي مصر بتلك المهمة .

□ أسباب انتشار الدعوة الوهابية وتمكنها داخل الجزيرة العربية :

كان يمكن أن تتلاشى دعوة ابن عبد الوهاب سياسيًا كما تلاشت أمثالها من قبلها ومن بعدها ، ولكن كانت هناك العديد من الأسباب وراء استمرارها وانتشارها منها :

---

(١) « صور من التاريخ الإسلامي » ، (ص : ٤٧) .

(٢) كان دخول مكة المكرمة في شهر محرم سنة ١٢١٨هـ (الموافق ١٨٠٣م) أولًا ، ثم تلاه دخول المدينة المنورة .

(٣) راجع « آل سعود والشام » ، (ص : ٣) .

(٤) انظر المصدر السابق ، (ص : ٢-٣) .

(٥) انظر المصدر السابق ، (ص : ٣) .

١- سيف آل سعود وأمراء الدرعية ـ الذين تعهدوا بنصرة الشيخ والدفاع عن دعوته وتبنيها سياسيًا وعسكريًا .

٢- موقع نجد السياسي والجغرافي ، فقد كانت نجد بعيدة عن أي سلطة مركزية قوية ، فكانت ميدانًا قابلًا لتحقيق الكثير من النجاح العسكري في بداية الأمر دون تدخل خارجي ، فلقد كانت نجد لبعدها بعيدة عن اهتمام الدولة العثمانية وقتها .

٣- مكن بُعد نجد عن اهتمام الدولة العثمانية كذلك الدعوة الوهابية من التأثير والتغلغل في البيئة التي خرجت منها ، ورغم أن الدعوة الوهابية ودولة آل سعود الأولى واجهتا صعابًا جمة ، وكان تقدمها سياسيًا وتأثير الدعوة السلفية الناشئة فيها بطيئًا في منطقة نجد نفسها ، حتى أنه استغرق قرابة نصف قرن من الزمان ، من سنة ١١٥٧هـ إلى سنة ١٢٠٠هـ (١٧٤٤م ـ ١٧٨٥م) إلا أنها كانت رغم ذلك تتغلغل بثبات ، يمتد تأثيرها إلى ما حولها من المناطق المجاورة في نفس الوقت نتيجة جهود دعاتها ، فامتدت إلى الأحساء والحجاز واليمن وعُمان مع نهاية القرن الثاني عشر الهجري .

ولم تمض عشر سنوات من القرن الهجري الجديد ، وأصبحت جيوشها مهددة عُمان كلها ، ولم تمض عشر سنوات أخرى حتى تم لها السيطرة على كل الحجاز والحرمين الشريفين ، وفشلت محاولات أشراف مكة في الوقوف أمام هذه الموجة العارمة ، التي لم تكن موجة مسلحة فقط ، وإنما كانت موجة عقائدية معززة بسرعة انضمام القبائل في هذه المناطق لهذه الدعوة بدافع الإيمان بعقيدتها ، أو بدافع الانطواء تحت لواء المنتصر ، أو بسبب هذين العاملين معًا [1] .

---

(١) راجع في ذلك « آل سعود والشام » ، (ص : ٢٢-٢٣) .

٤- لم تكن السلفية حركة محلية ترضى بأن تستقر حيث بدأ ظهورها ، ولكنها دعوة ظهرت لتنتشر ، وحرص دعاتها على نشرها ، فامتدت من نجد إلى خارج نجد ، ومن الجزيرة العربية إلى خارجها بعد ذلك ، كما أنها لعبت دورًا هامًا في تطور الفكر الإسلامي الحديث [1] .

---

(١) انظر المصدر السابق ، (ص : ٢) .

الدولة العثمانية

بعد كارثة سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ على يد المغول ، وانتقال مركز الخلافة العباسية إلى القاهرة تحت رعاية المماليك ظهر على مسرح التاريخ عنصر مسلم تركي جديد في الأناضول على أنقاض دولة سلاجقة الروم ، هذا العنصر هو نواة الإمارة العثمانية التي أسسها عثمان بن أرطغرل في سنة ٦٩٩هـ [١] .

وأصل الأتراك العثمانيين من أواسط آسيا ، ثم نزحوا إلى الأناضول أمام غارات المغول واستوطنوها ، وكونوا إمارة صغيرة تحت حكم زعيمهم (أرطغرل) ، ولما توفي (ارطغرل) تولى بعده ابنه الأكبر (عثمان بن أرطغرل) ، وإليه ينتسب العثمانيون ، وهو مؤسس الدولة العثمانية .

ازدهار الدولة العثمانية واتساع نفوذها :

وقد ورثت هذه الإمارة مهمة الجهاد [٢] والفتوح ضد البيزنطيين ، وأخذت تقوى وتتسع في الأناضول ، ساعدها في ذلك قوة روح الجهاد ، وعدم الانشغال في معارك ضد الأمارات التركية الصغيرة ، وضعف الإمبراطورية البيزنطية .

كانت الخطة الطموحة للعثمانيين هي عبور البحر وفتح القسطنطينية عاصمة البيزنطيين ، لأنها بوابة أوروبا من الشرق ، وبعد ثلاث محاولات عثمانية نجح السلطان محمد [٣] في فتح القسطنطينية [٤] وإسقاط الإمبراطورية البيزنطية سنة

---

(١) من تحقيق د . عبد اللطيف بن محمد الحميد لكتاب (تاريخ جودت) للمؤرخ التركي أحمد جودت باشا ، ط . مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط . الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، (ص : ٢٦) .

(٢) أي مسيرة الجهاد الإسلامي لإعلاء كلمة الله تعالى .

(٣) ولقب بـ : محمد الفاتح .

(٤) وقد اتخذها العثمانيون عاصمة لهم وسموها (استانبول) أو (الأستانة) .

٨٥٧هـ (١٤٥٣م) ، ولم ينته القرن التاسع الهجري حتى اكتملت السيطرة العثمانية الإسلامية على بلغاريا واليونان ورومانيا ويوغسلافيا والمجر ، ووقفت بعد ذلك الجيوش العثمانية على مشارف فينا عاصمة النمسا [١] ، ثم سنحت الفرصة للعثمانيين لتصدر زعامة العالم الإسلامي أثر تهديد البرتغاليين للمقدسات الإسلامية بعد دورانهم حول رأس الرجاء الصالح ، وغزو البلاد الإسلامية من جهاتها الجنوبية ، إضافة إلى ظهور الخطر الصفوي الشيعي في بلاد فارس واحتلاله العراق [٢] ، وعجز دولة المماليك حامية الخلافة عن التصدي لهذه المخاطر ، ثم احتلال الأسبان لمدن شمال أفريقيا بعد طرد المسلمين من الأندلس أواخر القرن التاسع الهجري .

أمام هذا الاختبار العسير للعالم الإسلامي نجح العثمانيون في التصدي للخطر الصفوي في معركة (جالديران) سنة ٩٢٠هـ ، ثم انتصارهم على المماليك ، ودخولهم القاهرة سنة ٩٢٣هـ [٣] ، وتولي مسئولية مواجهة البرتغاليين وتطهير سواحل الجزيرة العربية والدفاع عن الأماكن المقدسة ، وأخيرًا ضم دويلات الشمال الإفريقي في طرابلس وتونس والجزائر إلى الدولة العثمانية وإنقاذها من الخطر الأسباني ، وقد بلغت الدولة العثمانية ذروة ازدهارها في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري وأوائل الحادي عشر ، ثم دخلت مرحلة التوقف عن المكتسبات إلى نهاية القرن الثاني عشر [٤] .

---

(١) المصدر السابق ، (ص : ٢٦) ، وانظر « تاريخ الدولة العلية العثمانية » لمحمد فريد بك ، تحقيق د . إحسان حقي ط . دار النفائس بيروت ـ ١٤٠٨هـ ، (ص : ١٩٨) ، (ص : ٢٥١) .

(٢) ومعلوم تآمر الدولة الصفوية خاصة والشيعة عامة ، ضد جمهور المسلمين أهل السنة والجماعة .

(٣) عام ١٥١٧م .

(٤) تحقيق (تاريخ جودت) ، (ص : ٢٦-٢٧) .

لقد استطاعت الدولة العثمانية الفتية أن تعيد للمسلمين قوتهم ووحدتهم بعد سقوط الدولة العباسية وضعف دولة المماليك ، وبعثت من جديد أمجاد الإسلام ، ونشرته في جنوب شرق أوروبا ، وتمكنت من فتح القسطنطينية المنيعة ، وتولت الدفاع عن الإسلام ضد الأوروبيين ، وقد بلغت أقصى اتساع لها في عهد السلطان سليمان القانوني [١] .

دخول الدولة العثمانية مرحلة الضعف والتقهقر :

بحلول القرن الثاني عشر الهجري بدأت مظاهر الضعف تظهر على الدولة العثمانية ، فتعطل الجهاد ، وتدهور النظام الحربي ، وضعف السلاطين [٢] ، وساءت الإدارة ، وظهر الغلو في نزعة التصوف .

ومع تقدم دول أوروبا ونهضتها العلمية في القرن الثالث عشر الهجري سعت هذه الدول إلى مهاجمة الدولة العثمانية ومحاولة إضعافها .

وقد استغلت الدول الأوروبية تعدد القوميات داخل الدولة العثمانية في إذكاء ومؤازرة الحركات القومية والنزعات الطائفية في الولايات العثمانية الموزعة في قارات العالم الثلاث ، فانشغلت الدولة العثمانية بالدفاع عن أراضيها في حروب مختلفة مع الدول الأوروبية ، بالإضافة إلى مواجهة مشكلاتها الداخلية المتلاحقة .

وقد وصف أحمد جودت في تاريخه هذه المرحلة بقوله : « .. فطرأ على جسم الدولة الكسل ، وعلى أخلاق الأمة الخلل » [٣] ، لقد انشغل سلاطين الدولة

---

(١) حكم هذا السلطان العثماني في القرن السادس عشر الميلادي ، وقد ولد عام ١٤٩٤م وتوفي عام ١٥٦٦م .

(٢) ضعفت هيبة سلاطين آل عثمان من بعد السلطان مراد الرابع .

(٣) « تاريخ جودت » للمؤرخ أحمد جودت باشا ـ تعريب عبد القادر أفندي الدنا وتحقيق د. عبد اللطيف محمد محمد الحميد ط . مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ (ص : ٢٢٢) .

العثمانية بأمور الدنيا وماهم فيه من الترف والنعيم ، وأهملوا شئون البلاد الواقعة تحت نفوذهم ، وكثرت الفتن الداخلية ، وتآمرت عليهم الدول الأوروبية خاصة روسيا والنمسا ، لانتزاع ممتلكات الدولة في أوروبا ، وقد شهدت العديد من البلاد الإسلامية خاصة العربية ـ تأخرًا وضعفًا ، وظهرت محاولات الاستقلال من بعض الحكام بدولهم عن الدولة العثمانية .

الدولة العثمانية في مفترق الطرق :

وعلى أعتاب القرن الثالث عشر الهجري ـ التاسع عشر الميلادي ـ ظهرت محاولات للإصلاح في الدولة العثمانية ووقف تدهورها ، وبدأت في شكل دعوات إصلاحية إسلامية المبدأ ، ترتبط بتراث الأمة ، أي أنها بعيدة عن التأثر بالحضارة الغربية المجاورة [١] ، ثم ظهرت محاولات إصلاحية متأثرة بالحضارة الغربية تقتبس منها شكلها ومظاهرها دون جوهرها العلمي والتقني ، وازداد الضغط الأوروبي خاصة من روسيا وبريطانيا وفرنسا ، حيث سعى قياصرة الروس إلى حماية الأرثوذكس والسلاف والبلقان ، وسعى الإنجليز إلى تأمين مواصلاتهم إلى الهند ، وسعى الفرنسيون إلى الدفاع عن نفوذهم التجاري والثقافي لدى نصارى الشرق [٢] .

ولا ريب أن الدولة العثمانية كانت بحاجة إلى الكثير من الإصلاحات ، ولكن شتان بين إصلاح مرتبط بإسلام الأمة وشريعتها ، وإصلاح مرتبط بالغرب ومصالحه . كانت الدول الأوروبية تنادي بالإصلاح لغاية واحدة ، هي منح

---

(١) ويمكن القول بأن حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أول حركة إصلاحية داخل الدولة العثمانية ولكن خارج تركيا ، وهي حركة ترى البداية في الإصلاح الديني قبل السياسي ، ولكن لم يحسن المسلمون استغلالها .

(٢) راجع تحقيق « تاريخ جودت » ، (ص : ٢٨-٢٩) .

الأقليات من غير المسلمين حريات سياسية وحقوقًا تتحول إلى امتيازات خاصة .

ودخلت الدولة العثمانية في مرحلة من التنظيمات الجديدة تجلت في تغريب المجتمع ، وتحديث أجهزة الدولة وعلمنة القانون والتعليم ، وأفرزت هذه المرحلة اتجاهين متناقضين [١] :

١- اتجاه ثقافته إسلامية : يستمد منهجه من الثقافة الإسلامية السائدة ، وينقسم إلى ثلاث تيارات : تيار محافظ ، وتيار صوفي ، وتيار تجديدي .

٢- اتجاه ثقافته وافدة من الخارج : وتتوزع تياراته بين تيار علماني ، وتيار قومي تركي (طوراني) . بالإضافة إلى تأثيرات تيارات ماسونية وتنصيرية واستشراقية .

وقد استطاع الاتجاه التغريبي الوافد أن يستميل جيل التنظيمات الجديدة مع الوقت ، وسادت نزعة التغريب في المجالات السياسية والإدارية والثقافية والعسكرية .

وفي المقابل جاءت مواقف العلماء والمفكرين المسلمين في مواجهة الأفكار التغريبية متباينة وغير متفقة بسبب تنوع الاتجاهات الإسلامية وتفرقها ، فهناك أصحاب الاتجاهات التجديدية ، وأصحاب الاتجاهات المحافظة ، وأصحاب الاتجاهات الصوفية ، فتحولت الساحة الفكرية إلى ميدان مضطرب ينادي بالإصلاح ويتخبط في تطبيقه ، وينساق حكامه إلى التماس التصحيح من ألد أعدائه [٢] .

---

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ٢٩-٣٠) .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ٣٠) .

سقوط الدولة العثمانية :

كانت الدولة العثمانية تعتبر نفسها ـ ويعتبرها المسلمون ـ امتدادًا للدولة الإسلامية الأولى ، بقطع النظر عن بعض الانحرافات السياسية وكثير من الأخطاء التطبيقية ، وكان أعداء الإسلام ينظرون إليها نفس النظرة ، بل كانوا يعتبرونها القلعة الأخيرة من قلاع الإسلام ، فإذا سقطت انتهى الإسلام ، واستراحوا منه إلى الأبد ، يقول (برنارد لويس) المؤرخ اليهودي المعروف :

« .. كانت الإمبراطورية العثمانية منذ تأسيسها حتى زمن سقوطها دولة تكرس قواها في سبيل تقدم شوكة الإسلام وحمايته ضد أي اعتداء خارجي ، وقد ظل العثمانيون طوال ستة قرون تقريبًا في حرب مستمرة ضد الغرب المسيحي ، أولًا : لفرض حكم إسلامي علي جزء كبير من أوروبا ، وهي محاولة رافقها النجاح ، وثانيًا : لشن حرب دفاعية تأخيرية مديدة تقف في وجه الهجوم المعاكس الذي قام به الغرب ، لهذا استحقت الدولة العثمانية كل تلك المحاولات الضخمة والجهود الهائلة لتحطيمها وتفتيتها »[(١)] .

ومع عمليات التغريب ، واقتباس مظاهر المدنية الغربية ، ومنح الامتيازات الأجنبية ، ونشاط تيارات التنصير والماسونية والإستشراق والعلمانية ، انهارت الحواجز النفسية بين المسلمين وأعدائهم ، ليجوسوا الديار ، وصارت الطرق ممهدة لتدبير المؤامرات وتنفيذها .

« فإذا أضيف إلى ذلك : أن النهضة الأوروبية الحديثة كانت قد بدأت تعطي بواكير ثمارها ، التي خلبت الألباب وأزاغت الأبصار ، وأدهشت أولئك الذي

---

(١) من مقدمة د . طه جابر فياض العلواني ، لرسالة « النهي عن الإستعانة والاستنصار في أمور المسلمين بأهل الذمة والكفار » ، تأليف : الشيخ مصطفى بن محمد الورداني ط . مكتبة المنهل جدة ، (ص : ٢٤-٢٥) .

كانوا يتوهمون أن مجرد انتسابهم للإسلام وتسمية أنفسهم بالأسماء الإسلامية كاف لتحقيق النصر المؤيد لهم على سائر الناس [(١)] ، ندرك ـ آنذاك ـ كم كانت الهزيمة النفسية التي منوا بها عميقة ، ولذلك فإنها أفقدتهم كل اتزان ، فلا غرابة إذا وجدناهم يسارعون إلى أعدائهم ـ أنفسهم ـ يبحثون عندهم عن علاج لأمراض كانوا ـ هم ـ وراءها ، ولك أن تتخيل [(٢)] حالة عدو لدود خطير وجد ـ فجأة ـ ألد أعدائه وأخطرهم يرتمي بين يديه يرجوه أن يصف له سبيلًا للخلاص وطريقًا للإنقاذ ، أي سبيل سيصف ، وأي سم ناقع سيوصيه به ؟ .. » [(٣)] .

كانت الوصية من الدول النصرانية لهؤلاء المخدوعين (انتهاج سبيل أوروبا باعتباره الطريق الوحيد للتخلص من مشاكل الحكم والإدارة والقضاء وغيرها ـ فبادر أولئك المغلوبون على أمرهم من الحكام بتلقف جملة من القوانين والتشريعات الأوروبية بحجة إصلاح مؤسسات الدولة وشئونها الإدارية والتجارية والقضائية [(٤)] .

ففي سنة ١٨٤٠م صدر قانون (الجزاء) الذي استمد معظم مواده من قانون العقوبات الفرنسي ليحل محل الحدود الشرعية [(٥)] ، وفي سنة ١٨٥٠م صدر قانون (التجارة) الذي سُمِحَ بموجبه للتجار العثمانيين بممارسة التجارة بنفس الأساليب ، وبموجب نفس الأحكام التي يتجر بموجبها التجار الأجانب ، بما في

---

(١) أي بدون سعي وأخذ بأسباب القوة والنصر كما فعل سلفهم الصالح .

(٢) في الأصل : تتدبر .

(٣) المصدر السابق ، المقدمة ، (ص : ٤٠) . وما أشبه حالنا اليوم بحال الدولة العثمانية بالأمس . فهل من معتبر ؟!

(٤) المصدر السابق ، (ص : ٤١) .

(٥) المصدر السباق ، (ص : ٤١) .

ذلك التعامل بالربا وغيره من المحرمات ، وذلك بحجة دفع الحيف عن التاجر الوطني وإعطائه نفس فرص الربح المعطاة للتاجر الأجنبي بموجب الامتيازات الخاصة بالأجانب [١] وتتابعت عملية التغريب للأمة وتقدمت خطوة خطوة .

وقد وصف مدحت باشا الدساتير الغربية ، « بأنها العامل الأول في تقدم الشعوب ورقيها ، وأن على تركيا إذا أرادت أن تبقى في مصاف الدول العظمى وتواكب هذه الدول في مضامير التقدم العلمي أن تتبع نفس النظم التي تسير عليها الدول العظمى » [٢] ، ومدحت هذا رجل (تركيا الفتاة) ، الذي نشط معه سائر عملاء اليهود والنصارى وعناصر الجمعيات السرية التخريبية لإحلال الفكرة القومية الطورانية محل رابطة الإخوة الإسلامية ، وتشكيل جمعية (الاتحاد والترقي) أو (تركيا الفتاة) لهدم الخلافة [٣] .

ولقد بلغت الغفلة بالمسلمين حدًا مكن اليهود وأعوانهم من دس الأفكار المنحرفة وتمكين القياديين القوميين من الحكم ، حتى أن (جمعية الاتحاد والترقي) لم يكن بين زعمائها عضو واحد من أصل تركي ، فأنور باشا ابن رجل بولندي ، وجاويد من أبناء يهود الدونمة ، وكذلك آتاتورك من يهود الدونمة في سالونيك [٤] ، وتتابعت عمليات الهدم حتى انتهت بإسقاط الخلافة الإسلامية ، وإلغاء التعليم الإسلامي ، وإلغاء الكتابة للتركية بالأحرف العربية ، واستبدلت بها الأحرف اللاتينية ، وسُلِطَتْ أجهزة الأعلام لإقناع الشعب التركي المسلم بأن الإسلام كان

---

(١) المصدر السابق ، (ص : ٤١-٤٢) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ٤٢) .

(٣) راجع المصدر السابق ، (ص : ٤٣-٤٥) .

(٤) راجع المصدر السابق ، (ص : ٤٨-٤٩) .

هو سبب تأخره ، وأن الشريعة الإسلامية وراء جوانب القصور في حياة تركيا [١] ، والشعب التركي أمام هذا كله مغلوب على أمره ، يقاد بقوة الجيش إلى حيث يريد هؤلاء العلمانيون ، الذين تعهدوا أمام الغرب بمحاربة الإسلام ، والقضاء على كل مظهر إسلامي .

وهكذا أبعدت تركيا عن الإسلام ، وتمزقت الأمة بسقوطها ، وجاءت النهاية كما أرادها المتآمرون ، ورغم أنف العملاء المنفذون ، وأصبحت تركيا ، التي كانت دولة كبرى في ظل الإسلام ، عضوًا ذليلًا تابعًا في حلف شمال الأطلسي يضع كل إمكاناته في خدمة أعدائه فهل من معتبر ؟ [٢] .

---

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ٤٩) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ٤٩-٥٠) بتصرف .

موقف الدولة العثمانية
من الدولة السعودية الأولى

كانت الدولة العثمانية في حالة من الضعف يرثى لها أيام ظهور الدولة السعودية الأولى ، حيث تسرب الضعف إلى الجيش العثماني ، وكثرت هزائمه أمام أعدائه في البلقان وفي أوروبا . كانت الدولة العثمانية مشغولة آنذاك بالحروب والمعارك مع روسيا والنمسا والبندقية ، وقد أتاح بُعد نجد عن منطقة اهتمام الدولة العثمانية وانشغال الدولة نفسها بحروبها الطاحنة فسحة من الوقت للدولة السعودية الأولى لكي تثبت أقدامها وتنتشر خارج منطقة نجد نفسها إلى بقية مناطق الجزيرة العربية [١] .

وأثناء الحملة الفرنسية على مصر في ١٢ محرم ١٢١٣هـ / ٢٢ربيع الثاني ١٢١٦هـ (الموافق ٢٨يوليو ١٧٩٨م / سبتمبر ١٨٠١م) امتد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى بعض المناطق في غيبة الدولة العثمانية وانشغالها بمواجهة الحملة ، فاستولى ابن سعود على عسير ١٢١٥هـ ، ودارت معاركه الحاسمة في مكة المكرمة قبل دخولها وضمها لدولته بقليل ، وغزا جنوب العراق (البصرة والزبير) ، حتى وصل إلى النجف وكربلاء ، وهدم القباب المشيدة على القبور فيها ، ثم اتجه إلى الخليج العربي ، وتمكن من ضم بعض أجزائه ، دون أن يأخذ في الاعتبار رد الفعل لدى العثمانيين الذين شغلوا تمامًا بالتصدي للحملة الفرنسية على إحدى ولاياتهم الهامة مصر [٢] .

---

(١) راجع « آل سعود والشام » ، (ص : ٢٧-٢٨) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ٢٨) .

وقد توالت المراسلات من قبل ولاة الدولة العثمانية في مكة المكرمة وفي بغداد وفي الشام على السلطان العثماني تتضمن الإشارة إلى ظهور الدعوة السلفية وشيخها وإمامها ، وتذكر كثرة أنصارها واتساع نطاق نفوذها ، وأن ابن سعود ينوي دخول مكة المكرمة والمدينة المنورة كما يستدل من تصرفاته وتحركاته ، وأول أخبار وصلت إلى السلطان العثماني عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت من قبل أمير مكة المكرمة الشريف مسعود بن سعيد (حكم من ١١٤٦هـ إلى ١١٦٥هـ) في سنة ١١٦٣هـ (الموافق ١٧٥٠م) ، وقد رد عليه السلطان محمود الأول (تولى ١١٤٣هـ إلى ١١٦٨هـ) (الموافق ١٧٣٠م إلى ١٧٥٤م) ، بما يفيد موافقته التامة على أي عمل يقوم به ضد هذه الدعوة الجديدة [١] .

وكان الانطباع السائد لدى ولاة الأمور في الدولة العثمانية أن تقارير الولاة مبالغ فيها ، وأن المسألة لا تعدو أن تكون تنافسًا شخصيًا [٢] ، وكانت الدولة العثمانية غافلة عن تعاليم الدعوة ومراميها في الوقت الذي أصدرت فيه الدول الأوروبية مؤلفات كثيرة عن الوهابيين [٣] بلغات عدة [٤] ، ولم تنتبه الدولة العثمانية

---

(١) راجع (آل سعود والشام) ، ص (٢٨-٢٩) .

(٢) إذ كانت النزاعات والصراعات الداخلية بين حكام وأمراء نجد والجزيرة العربية شائعة ، فرأى كبار رجال الدولة العثمانية أن الأمر لا يعدو أن يكون عبارة عن خلافات بين أشراف مكة وابن سعود بحكم الجوار ، وان هذا الصراع مآله إلى الانتهاء واستقرار الأمور وانحصارها في منطقة نجد المعزولة .

(٣) المستشرقون الأوروبيون أول من سمى اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالوهابيين ، وسموا الدعوة بالدعوة الوهابية ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى غيرهم من خصوم الوهابية .

(٤) وقد زعم بعض الكتاب الغربيين أن نابليون بونابرت حاول الاتصال بآل سعود ليعاونوه ضد الانجليز بالاتحاد معًا ضدهم . وهو محل نظر . وقد حدثت اتصالات بين نابليون بونابرت وشريف مكة بخصوص تأمين الحجاج المصريين ، واستغل الفرنسيون هذه المراسلات في محاولة تحسين صورتهم أمام المصريين .

راجع في ذلك « آل سعود والشام » ، (هامش ص : ٣١-٣٤) .

إلا بعد أن غزا ابن سعود الحجاز ، ولم تحس بالخوف الشديد إلا بعد أن أغار على العراق والشام .

وقد استفاد الوهابيون من إهمال الدولة العثمانية وتكاسلها في هذا الخصوص فتمكنوا من توسيع دائرة نفوذهم ، وتعذر توقفهم ، وأصبح من العسير إرسال قوة كافية للتصدي لهم ، نظرًا للمشاكل الكبيرة التي تواجه الدولة العثمانية ، واكتفت الدولة العثمانية في بادئ الأمر بالتصرف بتحفظ إزاء هذا الوضع ، فلما دخل الوهابيون الطائف في عهد السلطان سليم الثالث (تولى ١٢٠٣هـ / ١٢٢٢هـ) (الموافق ١٧٨٩م / ١٨٠٧م) ، اضطر إلى بحث الموضوع بجد ، وعندما وافاه الشريف غالب بن مساعد أمير مكة بخبر استيلاء آل سعود على مكة طالبًا العون العسكري العاجل بدأت الدولة العثمانية تلح على ولاتها في العراق والشام لكي يتحركوا بعد أن استفحل الأمر ، إذ لم يكن في قدرة السلطان العثماني المنشغل بالفتن الداخلية والحروب الخارجية أن يسير بجيوشه إلى الحجاز ونجد لمحاربة سعود واستعادة الحرمين الشريفين منه [1] .

□ بداية المواجهة بين الدولة العثمانية ودولة آل سعود الأولى :

إن أتباع الدعوة السلفية لم يطلبوا الخلافة ، ولم يبدوا اعتراضهم على التبعية لها ، ولكن الخلاف قد انحصر في أمرين أساسيين ، الأول : هو مطالبة السلفيين بضرورة التزام وفود الحجيج بمنهج الإسلام والإقلاع عن كل ما فيه خروج عليه ، والأمر الثاني : هو شعور الدولة العثمانية بالحرج والضعف أمام سيطرة الوهابيين على المدن المقدسة في الحجاز ، حيث أدركوا أن في ذلك إسقاطًا لهيبتهم

---

(١) راجع في ذلك « آل سعود والشام » ، (ص : ٣٥-٣٨) .

ومكانتهم السياسية [١] .

وقد بين الجبرتي أن موقف الوهابيين من وفود حجيج الشام بألا يأتوا إلا على الشرط الذي اشترطوه عليهم وهو : أن يأتي بدون المحمل وما يصحبهم من الطبل والزمر والأسلحة ، وكل ما كان مخالفًا للشرع ، فلما سمعوا ذلك رجعوا من غير حج ، ولم يتركوا مناكيرهم ، كما ذكر موقفًا مماثلًا من موكب الحج المصري [٢] .

وقد قام الأمير سعود بإخراج الموظفين العثمانيين من الحرمين [٣] ، ومنع الدعاء للسلطان العثماني على المنابر لأنه من البدع ، وقام ببعض الاجراءات التي تتفق مع الشرع الإسلامي ، ومنها منع والي الشام ووالي مصر من المجيء بالمحمل في موسم الحج ، والذي تقع فيه مخالفات شرعية كما تصحبه الطبول والزمور إلى الأرض المقدسة ، وأرسل الأمير سعود إلى السلطان العثماني يخبره بما قام به بعد دخوله الحجاز [٤] ، وجاء في نص كتابه للسلطان العثماني :

« من سعود إلى سليم : أما بعد :

فقد دخلت مكة في الرابع من المحرم سنة ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) ، وأمنت أهلها على أرواحهم وأموالهم ، بعد أن هدمت ما هناك من أشباه الوثنية [٥] ،

---

(١) « الدولة العثمانية » للصلابي ، (ص : ٣٥٤) ، نقلًا عن « قراءة جديدة في التاريخ العثماني » د. زكريا سليمان بيومي ط. عالم المعرفة الأولى ، (ص : ١٨٥) .

(٢) « الدولة العثمانية » للصلابي ، (ص : ٣٥٤) ، نقلًا عن « من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي » لمحمد أديب غالي ، (ص : ١١١-١١٢) .

(٣) والظاهر أن الأمير سعود أخرج الموظفين والعساكر الترك من مكة بعد فتحها لضرورة أمنية خشية مشاركتهم في صراعه مع شريف مكة أو التأثر بالحرب المنتظرة بين سعود وشريف مكة ، بعد تحصن الأخير في جدة بعد مغادرته مكة .

(٤) راجع في ذلك « آل سعود والشام » ، (ص : ٣٨) .

(٥) أي القبور والأضرحة والمزارات التي تعبد من دون الله تعالى .

وألغيت الضرائب إلا ما كان حقًا ، وثَبَّتُ القاضي الذي وليته أنت طبقًا للشرع [١] ، فعليك أن تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء بالمحمل والطبول والزمور إلى هذا البلد المقدس ، فإن ذلك ليس من الدين في شيء ، وعليك رحمة الله وبركاته » .

ومن الملاحظ أن الرسالة تخلو من ألقاب التعظيم والتفخيم للسلطان العثماني ، وهو ما لم يتعود عليه سلاطين آل عثمان منذ نشأة دولتهم ، والمطلع على الوثائق التركية والعربية التي كانت ترد من السلاطين العثمانيين وإليهم يجد من هذه الألقاب ما يملأ السطور العديدة بل الصفحات [٢] .

ويلاحظ كذلك أن القاضي الذي ثبته الإمام سعود كان قاضيًا حنفيًا ، بموجب العرف السائد في الدولة العثمانية ، وتثبيته وإعلان ذلك يبين عدم تعصب الوهابيين لمذهبهم الحنبلي ، وتضحيتهم بعدم تقديم قاض حنبلي على القاضي الحنفي مراعاة للمصلحة العامة [٣] .

(١) فيه إقرار الإمام سعود للسلطان العثماني بالإمامة العظمى والخلافة .

(٢) « آل سعود والشام » ، (ص : ٣٨-٣٩) .

(٣) وانظر في ذلك : « السعوديون والحل الإسلامي » ، (ص : ١٤٠) .

تكليف ولاة العراق والشام بمواجهة الأمير سعود

كلف السلطان والي بغداد بالزحف إلى نجد لمواجهة ابن سعود [١] في عقر داره ، للقضاء عليه وعلى دعوته ، ولما وجد والي بغداد أنه لا يقدر على اجتياز صحراء نجد القاحلة صعبة الدروب والمسالك ، فضلًا عن قوة ابن سعود وتحصنه في بعض المناطق المجاورة للعراق ، أخذ يُسوف ويماطل بحجة إكمال الاستعدادات حينًا وبحجة عدم كفاية النقود للصرف على الجيش حينًا آخر ، فلما كثرت الأوامر الواردة من السلطان إلى والي بغداد ووجد أن حججه قد استهلكت أخبر السلطان بأن المهمة شاقة وصعبة المنال بالنسبة له ، لوعورة صحراء نجد ، وقلة المياه والكلأ فيها وقلة الإمكانيات المالية للصرف على نفقات التجهيزات العسكرية ، بالإضافة إلى قوة ابن سعود وشدة تحصنه ، كما أدعى أن هناك خطرًا على العراق من جهة بلاد فارس التي حشدت الجيوش للإعتداء على العراق طمعًا في الأماكن التي يقدسها الفرس في النجف وكربلاء ، مما يستلزم الاستعداد الدائم وصرف كل مجهود لما قد يحدث في المستقبل من هذه الجهة . وأشار والي العراق على السلطان بتكليف والي الشام بالقيام بهذه المهمة بزعم أن اجتياز صحراء نجد من جهة الشام أسهل وميسور ، أو من جهة مصر إلى الحجاز ومنها إلى نجد [٢] .

ولما تبين للسلطان العثماني عدم استجابة والي بغداد لأوامره اتجه إلى والي الشام ، عله يجد فيه بغيته ، كما حث محمد علي والي مصر على المشاركة في تلك المهمة .

---

(١) ابن سعود هو الأمير سعود ، وقد ذكره البعض بهذا الاسم في كتب التاريخ . ويلاحظ قارئ الجبرتي أنه كان يكتب اسم مسعود بدلًا من اسم سعود الكبير .

(٢) راجع « آل سعود والشام » ، (ص : ٤٠-٤١) .

وبعد دخول آل سعود المدينة المنورة في ٦ صفر سنة ١٢١٧هـ (الموافق ١٨٠٢م) تجدد الأمر لوالي الشام وقتها أحمد باشا الجزار [(١)] بمواجهة ابن سعود ، كما أرسل لوالي بغداد لتكليفه بنفس المهمة [(٢)] .

ورغم هذه الأوامر والتوصيات فقد كان الولاة يراوغون ويماطلون لإحساسهم بأنهم لا قبل لهم بابن سعود ، ومما جعلهم يتهاونون في تنفيذها أيضًا أن أوامر الدولة العثمانية لم يعد لها نفس مفعولها القديم أيام قوتها وسطوتها [(٣)] .

وفي ٢١ ربيع الثاني ١٢٢٢هـ (٢٨يونيو ١٨٠٧م) قام الانكشارية بعزل السلطان سليم الثالث نتيجة للإصلاحات العسكرية التي أدخلها على الجيش ، وتولى بعده السلطان مصطفى الرابع ، الذي استمر في الحكم قرابة عام ، في فترة مليئة بالقلاقل الداخلية والكوارث الداخلية [(٤)] .

وقد اقترح والي الشام وقتها يوسف كنج باشا أن يتم غزو نجد من ثلاث جهات ، الشام والعراق ومصر ، في وقت واحد ، لتخليص الحرمين الشريفين من آل سعود والقضاء على دولتهم .

وفي ٤ جمادي الأول سنة ١٢٢٣هـ (الموافق ٢٨يونيو سنة ١٨٠٨م) تولى السلطان محمود الثاني الحكم خلفًا للسلطان مصطفى الرابع [(٥)] ، وبينما الدولة العثمانية توالي الاستعداد لمواجهة ابن سعود إذ بالروس ينقضون عهودهم ويعتدون

---

(١) يذكر لأحمد باشا الجزار أنه كان والي عكا التي فشل نابليون في فتحها أثناء حملته على الشام أثناء الحملة الفرنسية على مصر .

(٢) راجع المصدر السابق ، ص : ٤٥-٤٩) .

(٣) راجع المصدر السابق ، (ص : ٤٨) .

(٤) المصدر السابق ، (ص : ٦٣) .

(٥) المصدر السابق ، (ص : ٦٧) .

على بعض المناطق التابعة للدولة العثمانية ، مما اقتضى محاربتهم [١] .

واتجهت أنظار الدولة العثمانية إلى محمد على والي مصر للتوجه إلى الحجاز لاستعادة الحرمين ، وطالبته بالتنسيق مع الشريف غالب لإنزال عساكره ومؤنه على شاطئ جدة وينبع .

وبعد أن أكمل محمد علي استعداداته بعد أن قضى على قوة المماليك في مصر ، تحركت قواته إلى الجزيرة العربية سنة ١١٢٦هـ (الموافق ١٨١١م) ، ونجحت في مهمتها لعدم تكافؤ الإمكانيات والخبرات العسكرية بين السعوديين وبينهم ، رغم ما أبداه النجديون من مقاومة ضارية كلفت إبراهيم باشا قرابة إثنى عشر ألف جندي من جيوشه [٢] .

(١) انظر المصدر السابق ، (ص : ٦٨) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ٩٠-٩١) .

١١٤٣هـ		١٧٣٠م
	السلطان محمود الأول	
١١٦٨هـ		١٧٥٤م
	السلطان عثمان الثالث	
١١٧١هـ		١٧٥٧م
	السلطان مصطفى الثالث	
١١٨٧هـ		١٧٧٣م
	السلطان عبد الحميد الأول	
١٢٠٣هـ		١٧٨٨م
	السلطان سليم الثالث	
١٢٢٣هـ		١٨٠٧م
	السلطان محمود الثاني	
١٢٥٥هـ		١٨٣٩م

السلاطين العثمانيون الذين عاصروا الدولة السعودية الأولى

حملة محمد عَلِيّ عَلَى الجزيرة العربية

[الحرب الوهابية]

بدأت هذه الحملة في سبتمبر ١٨١١م (الموافق ١٢٢٦هـ) وانتهت بدخول الدرعية والاستيلاء عليها في سبتمبر ١٨١٨م (الموافق ١٢٣٣هـ) فكانت (جزيرة العرب هي أول ميدان لحروب مصر الخارجية في عهد محمد علي ، وكانت الحرب فيها من أشق الحروب التي خاض غمارها وأطولها مدى وأكثرها ضحايا ومتاعب) [1].

□ تكليف محمد علي بالتصدي للأمير سعود :

وكانت حكومة الآستانة قد طلبت من محمد علي في أواخر ديسمبر ١٨٠٧م - قبل أن يمضي عامان على ولايته - إلى أن يجرد جيوشه لمحاربة الوهابيين ، وجددت هذا الطلب سنة ١٨٠٨م ، وسنة ١٨٠٩م [2] ، (وكان محمد علي يتعلل في كل مرة بمحاربة المماليك ، فلما انتهى من حملته عليهم بالوجه القبلي ، وعاد إلى القاهرة في سبتمبر سنة ١٨١٠م) [3] ، وتجدد طلب حكومة الآستانة [4] ، (لم يستطع وقد فرغ من محاربة المماليك أن يتمحَّل الأعذار القديمة في التأجيل والتسويف ، وبادر إلى الاستجابة ، وأبدى اهتمامًا كبيرًا بتهيئة معدات الحرب في الحجاز ، ومن يومئذ اعتزم السير بالحملة حتى تصل إلى غايتها وهي القضاء على

---

(١) « عصر محمد علي » تأليف : عبد الرحمن الرافعي . ط . مكتبة النهضة المصرية ط . الثالثة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م ، (ص : ١٢٣) .

(٢) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٢٤) .

(٣) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٢٤) .

(٤) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٢٤) .

الدولة الوهابية في شبة ا لجزيرة العربية) [١] .

□ **أهداف محمد علي من الحرب الوهابية :**

(إن محمد علي لم يكن ليغفل عما بينه وبين تركيا من سوء الظن المتبادل ، ولم يغرب عن ذهنه أن حكومة الآستانة سعت غير مرة لتقتلعه من عرش مصر ، وأن القوة هي التي ردت يدها وحالت دون تحقيق مرادها ، ولكنه لبى أخيرًا نداءها في الحملة على الحجاز لأنه رأى في خوض غمار الحرب الوهابية تمكينًا لسلطته ورفعًا لشأنه) [٢] ، و(أنه إذا نجح حيث أخفقت تركيا واستطاع بقوة جيشه أن يقضي على دولة الوهابيين ويستخلص منهم الأراضي المقدسة ، فلا جرم أن يتوطد مركزه وسمو مكانته حيال تركيا ، فلا تعودُ تفكر في عزله أو تغييره ، ولا تستطيع أن تعامله معاملة سائر الولاة الذين كانت تتصرف فيهم بالعزل والنقل) [٣] ، (أضف إلى ذلك أنه إذا لم يلب دعوة السلطان ويتأهب لمحاربة الوهابيين ، فإن ذلك يكون مبررًا لعزله ، ولم يكن مركزه بعد قد استقر حتى لا يحسب حسابًا لأوامر الآستانة ، بل كان عليه أن يتقي شرها حتى ترسخ دعائم ملكه » [٤] ، (فالحرب الوهابية كانت إذن وسيلة لتوطيد مركز محمد علي) [٥] ، (وقد حققت الأيام صدق نظره ، إذ عظمت منزلته حيال تركيا خلال الحرب الوهابية وبعد انتهائها ، وعلت مكانة مصر الحربية والسياسية ، وامتدت سلطتها إلى جزيرة العرب وانبسطت رقعتها ، واتسعت حدودها) [٦] .

---

(١) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٢٤) .

(٢) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٢٤-١٢٥) .

(٣) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٢٥) .

(٤) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٢٥) .

(٥) ، (٦) انظر المصدر السابق ، ص (١٢٥) .

(وكان لمحمد علي أغراض أخرى محلية أدركها من الحملة الوهابية ، أهمها : التخلص من طوائف الجنود الأرناءود والدلاة الذين ألفوا التمرد والشغب)[١] ، (حتى صاروا خطرًا على الأمن وعقبة دون استقرار سلطة الحكومة ، فكانت الحملة الوهابية خير فرصة انتهزها محمد علي ليقذف بتلك الطوائف المتمردة إلى الأصقاع النائية من جزيرة العرب ، لعله في غيبتهم يستطيع أن يدخل النظام الجديد في الجيش المصري)[٢] . (وكذلك كانت الحملة ذريعة لإطلاق يد الحكومة في فرض ما تشاء من الضرائب والإتاوات من غير أن يجد الشعب مسوغًا للاعتراض عليها)[٣] .

☐ استكمال الاستعدادات العسكرية لبدء الحملة :

لما لم يكن لمصر في ذلك الحين أسطول بحري اعتزم محمد علي على إنشاء أسطول لنقل الحملة ، حيث جلب الأخشاب والمواد اللازمة ، وتم إنشاء السفن في ترسانة بولاق ، ونقل أجزائها على الجمال لتُرَكب في السويس ، ولم تمضِ عشرة أشهر حتى أنشئ بالسويس ثمانية عشر مركبًا كبيرًا تسع أكثر ما أعد للحملة من الجنود والمؤن والذخائر والمهمات[٤] .

---

(١) كان جنود القاهرة وقتها معظمهم من الأرناءود والدلاة وأخلاط السلطنة العثمانية ، وقد اشتهروا بالسلب والنهب ، لدرجة أن أهالي رشيد أثناء الحملة الإنجليزية على مصر رفضوا أي مدد من جنود القاهرة وآثروا الدفاع عن رشيد بأنفسهم . انظر « عصر محمد علي للرافعي » ، (ص : ٥٨) ، والأرناءود هم : الأرناؤوط . المصدر السابق ، (ص : ١٢٥) ، والدلاة : شوام من جبل الدروز .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ١٢٥-١٢٦) .

(٣) المصدر السابق ، (ص : ١٢٦) .

(٤) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٣٢-١٣٣) ، وهذا يبين شدة حملة محمد علي .

وعقد محمد علي لواء الحملة لابنه أحمد طوسون باشا ، وكان في السابعة عشر من عمره ، وبلغ جنود الحملة ٨٠٠٠ مقاتل ، ومنهم ستة آلاف من المشاة ، وألفان في الفرسان [١] .

□ بدء الحملة على الحجاز :

كان خط سير الحملة أن تقلع السفن بالجنود المشاة من ثغر السويس إلى (ينبع) ميناء المدينة المنورة ، أما الفرسان وعلى رأسهم طوسون باشا فيسيرون برًا من طريق برزخ السويس فالعقبة حتى يبلغوا (ينبع) ، فيلتقوا بالمشاة هناك ، ومن هناك يزحف الجيش إلى وجهته [٢] ، وقد أقلعت السفن يوم ٣ سبتمبر ١٨١١م ، وارتحل طوسون باشا بالفرسان في ٦ أكتوبر ١٨١١م [٣] .

وصلت الحملة بطريق البحر على ميناء (ينبع) فاحتلتها دون مقاومة تذكر ، إذ لم يكن فيها سوى حامية صغيرة [٤] .

□ هزيمة مباغتة للجيش المصري :

وبعد وصول طوسون باشا زحف بالجيش تجاه المدينة المنورة فاحتل (بدرًا) [٥] ، ثم زحف بجيشه على وادي (الصفراء) [٦] فسلك بهم طرقًا يشرف عليها المقاتلون الوهابيون من عل ، فانهالت قذائفهم على جنود جيش طوسون باشا ففتكت بهم فتكًا ذريعًا ، فاختل نظام الجيش ، وتشتت جنده .

---

(١) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٣٢) .

(٢) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٣٢) .

(٣) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٣٣) ، وذلك سنة ١٢٢٦هـ .

(٤) ، (٥) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٣٤) .

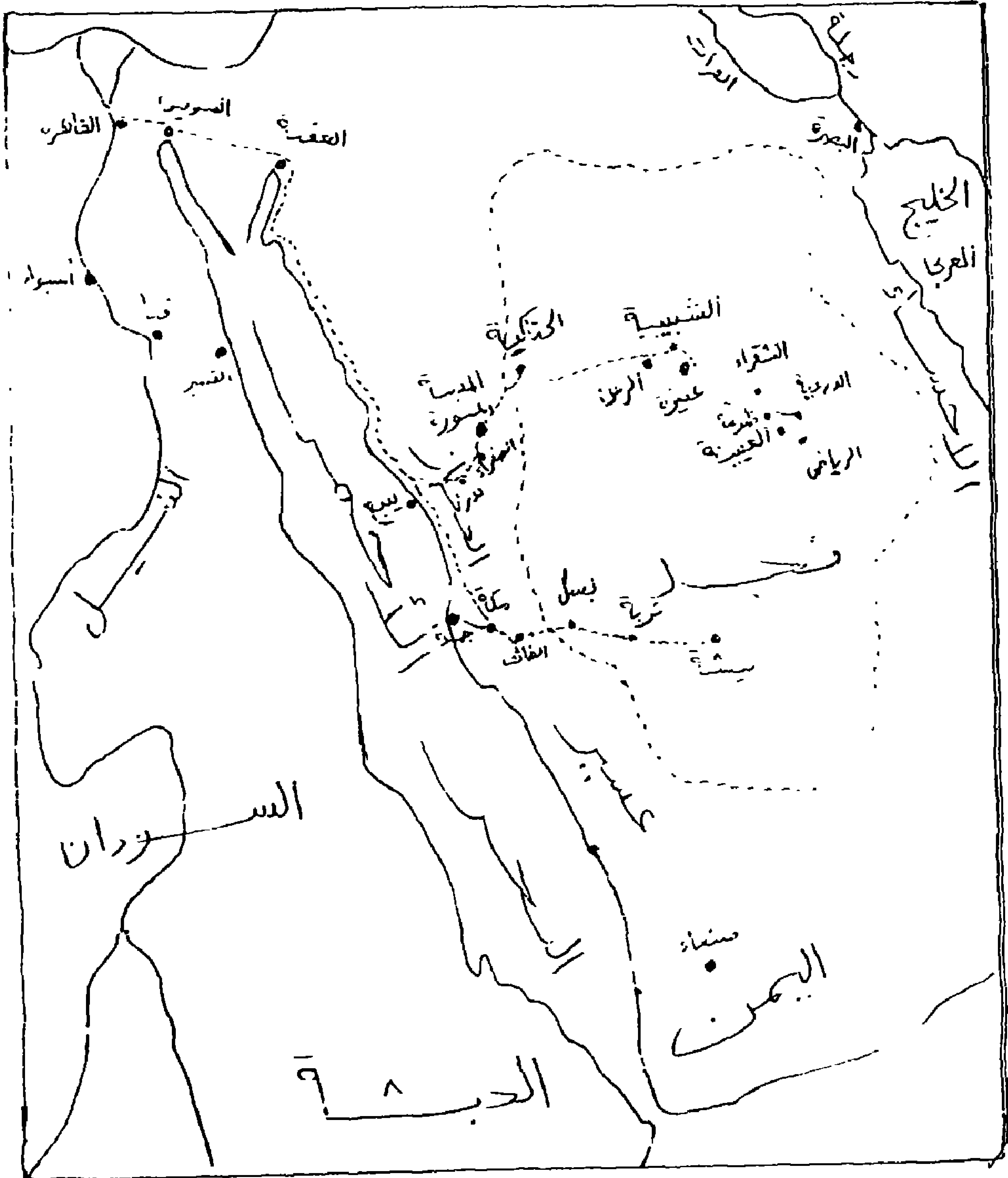
(٦) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٣٥) .

يقول أحمد رائف في كتابه (الدولة السعودية) :

« وخرج جيش عظيم بقياد عبد الله بن سعود ، وأوقع جيش طوسون في كمين عند موضع اسمه (الخيف) بوادي الصفراء ، وكَمَنَ في موضع آخر اسمه (الجديدة) لابد من عبور جيش طوسون منه . وفي منتصف هذا الطريق نزل الكمين ، وأعمل في جيش طوسون قتلًا وإبادة »[1] .

---

(١) « الدولة السعودية » لأحمد رائف ، (ص : ١٩٥) .



خريطة بالمواقع التي دار فيها القتال

بين قوات محمد علي باشا وبين أتباع الدعوة الوهابية في الحجاز ونجد

« فتراجع رجال طوسون مهزومين قاصدين الساحل ، فقتل من الجيش في هذه الواقعة ستمائة مقاتل ، وفقد الجيش معظم ذخيرته وأرزاقه ، ورجعت فلوله إلى (ينبع) بغير نظام ، فقتل منهم عدة آلاف في الطريق ، فلم يبق من الجيش بعد أن عاد إلى (ينبع) غير ثلاثة آلاف . ولو أن الوهابيين الذين دافعوا عن وادي (الصفراء) كانوا أكثر عددًا وأكثر دراية بفنون القتال لتعقبوا جيش طوسون باشا بعد الهزيمة فاستأصلوه » (١) .

تأثر محمد علي تأثرًا شديدًا لهذه الهزيمة ، وأخذ يعد العدة لإرسال حملة جديدة إلى الحجاز ، وقام بفرض ضرائب جديدة (٢) .

□ تحركات خداعية لطوسون باشا :

انتهز طوسون باشا فترة انتظار المدد في استمالة القبائل الموجودة بين ينبع والمدينة بالمال والهدايا ، حيث نجح في استمالتهم ، فمهد لنفسه السبيل للاستيلاء على المدينة ومكة بذلك (٣) .

□ دخول الجيش المصري المدينة المنورة :

لما تلقى طوسون باشا المدد تحرك إلى المدينة من جديد ، فانضم إليه كثير من عرب (جهينة) و (حرب) ، فاحتل (الصفراء) بمؤازرة العرب الموالين له ، ثم بلغ المدينة المنورة فضرب عليها الحصار ، وفتح ثغرة في سور المدينة دخل منها الجنود ، فاحتلوا المدينة بعد التغلب على حاميتها .

---

(١) « عصر محمد علي » ، (ص : ١٣٥) ، وهذا يدل على قلة خبرة الوهابيين العسكرية .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٣٥-١٣٦) .

(٣) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٣٦) .

بعد فتح (المدينة المنورة) واحتلالها ، تقدم الجيش إلى (الحناكية) شمال المدينة فاحتلوها [١] .

◻ دخول مكة والطائف :

عاد طوسون باشا إلى (ينبع) ، فأقلع منها إلى (جدة) فاحتلها ، وسار منها إلى (مكة المكرمة) ، فدخلها بمعاونة شريف مكة (الشريف غالب) ومن استمالهم مِنْ عرب الحجاز ، ثم تقدم طوسون باشا إلى الطائف فاحتلها في ٢٩ يناير سنة ١٨١٣هـ [٢] .

◻ قدوم الأمير سعود لمواجهة الجيش المصري :

لما نجح طوسون باشا في احتلال المدينة ومكة والطائف ، تحرك الأمير (سعود بن عبد العزيز) لملاقاته ، بعد أن تعرف من خلال المعارك المتقدمة على قدرات الجيش المصري وأساليبه الحربية ، فقسم الأمير (سعود) قواته على جيشين ، الأول : يقوده هو بنفسه ، والثاني : بقيادة ابنه (فيصل) ، وزحف الجيشان على مكة والمدينة ، وتم للوهابيين قطع المواصلات بين المدينتين ، فأدرك طوسون باشا حرج موقفه ، فشرع في مواجهة الوهابيين والمبادرة بملاقاتهم [٣] .

استطاع (فيصل بن سعود) أن يهزم الجيش المصري في (تَرَبة) فارتد الجيش المصري مهزومًا إلى (الطائف) [٤] .

---

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٣٦-١٣٧) ، واحتلال (الحناكية) يعد تأمينًا لقواته في المدينة المنورة .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٣٨-١٣٩) ، واحتلال الطائف هو تأمين لقواته في مكة .

(٣) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٣٩) .

(٤) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٣٩-١٤٠) ، وتقع تربة على بعد ثمانين ميلًا من الطائف ، وهي تعد من القسم الجنوبي لنجد ، بالقرب من حدود الحجاز .

ونجح الأمير (سعود) في احتلال (الحناكية) شمال (المدينة) .

وبدأ الوهابيون في مهاجمة المخافر الأمامية للجيش المصري [١] .

□ قيادة محمد علي للحملة بنفسه :

تلقى محمد علي باشا هذه الأنباء فعزم على أن يسير بنفسه إلى الحجاز لمتابعة القتال إلى نهايته ، فجرد حملة جديدة ، وسار إلى الحجاز في شهر أغسطس ١٨١٣هـ ، حيث أبحر من السويس ، فنزل بجدة ، فقصد مكة ، فأدى فيها مناسك الحج [٢] .

اتخذ محمد علي من (مكة) مركزًا له ، وحاصر طوسون باشا (تربة) ، ووقعت مناوشات لم ينجح الجيش المصري في أن ينال فيها من الوهابيين فأرسل محمد علي يطلب مددًا جديدًا من مصر ، فجاءه منها سبعة آلاف من الجنود ، وتأهب محمد علي للزحف بجيشه من جديد [٣] .

□ وفاة الأمير سعود :

في هذه الأثناء توفى الأمير (سعود بن عبد العزيز) بالدرعية في إبريل سنة ١٨١٤م [٤] ، مخلفًا في الإمارة ابنه (عبد الله بن سعود) ، ولم يكن على صفات أبيه من الشجاعة والإقدام وبُعد النظر وعلو الهمة ، فكانت وفاة سعود بن عبد العزيز

---

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٣٩-١٤٠) .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٤١) .

(٣) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٤٢-١٤٤) .

(٤) ولد سعود بن عبد العزيز بالدرعية عام ١١٦٥هـ ، وتوفى بها عام ١٢٢٩هـ ، وقد عرف الإمام سعود الملقب بالكبير بكثرة غزواته ، وقد تلقى العلم على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكانت له مجالس علم وذكر .

من الأسباب التي ساقتها الأقدار لنجاح محمد علي [١] .

عاد محمد علي وابنه طوسون إلى جدة لتدريب السبعة آلاف من الجنود إذ كان فيهم من المغاربة والصعايدة والفلاحين الكثير ، ولما أقبل موسم الحج حج محمد علي للمرة الثانية [٢] .

□ تجدد القتال :

بعد موسم الحج تجددت الحرب حيث زحف محمد علي بجيشه فلاقى جيش (فيصل بن سعود) عند (بِسْل) بين الطائف و (تربة) في شهر يناير ١٨١٥م وانتهت واقعة (بِسْل) بهزيمة الوهابيين ، ثم تابع المصريون زحفهم فاحتلوا (تربة) ثم (بيشة) [٣] . وتعد واقعة بِسْل من أكبر وقائع الحرب الوهابية ، بل من أهم المعارك في تاريخ مصر الحربي [٤] .

□ الزحف إلى نجد :

زحف طوسون باشا من (المدينة) إلى شمال نجد ، فأحتل (الرَّس) ، أحدى مدن نجد المهمة ، ثم احتل (الشُّبيبية) على طريق الدرعية ، وبات من المتوقع وقوع مواجهة فاصلة بين الفريقين في قلب نجد [٥] .

---

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٤٤) .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٤٥-١٤٦) .

(٣) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٤٦-١٤٧) ، وتقع بيشة على بعد مائة ميل من تربة وهي من أراضي نجد من الجنوب .

(٤) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٤٦) .

(٥) راجع المصدر السابق ، ص (١٤٧) ، والرس على بعد ٢٧٠ ميلًا شمال شرق المدينة وأحد مدن نجد المهمة وقتها .

□ **طلب الصلح والمهادنة :**

تريث طوسون باشا قبل المغامرة بالهجوم لما رآه من تفوق الأمير (عبد الله ابن سعود) في العدد ، ومناعة حصونه ، فجاءه رسول من الأمير (عبد الله) يطلب الصلح والمهادنة ، فطلب طوسون باشا مهلة لعرض الأمر على والده (محمد علي) ، وتوقفت العمليات الحربية ، وبقي كل جيش ينتظر ما ستسفر عنه الأحداث [١] .

□ **إخفاق المفاوضات بسبب تشدد محمد علي :**

مع بداية الهدنة جاء طوسون باشا كتاب من والده (محمد علي) يخبره بأنه سافر إلى مصر لشئون هامة ، وأنه ترك له عددًا عظيمًا من الجند ، ويوصيه بالزحف على (الدرعية) عاصمة الوهابيين للقضاء عليهم [٢] ، فتشاور طوسون باشا مع قواد الجيش ورؤساء القبائل الموالية ، ورأى قبول الصلح ، فأرسل لعبد الله بن سعود ، يشترط عليه للصلح شروطًا أهمها [٣] : أن تحتل الجيوش المصرية (الدرعية) ، وأن يكون الأمير (عبد الله) رهن أوامر طوسون باشا إذا طلب منه السفر إلى أي جهة ، وأن يكون خاضعًا لحاكم المدينة ، وألا يتم استكمال الصلح إلا بعد عرضه على محمد علي باشا لإقراره ، وأرسل (عبد الله بن سعود) وفدًا إلى القاهرة لعرض الصلح على محمد علي ، وذلك في سبتمبر سنة ١٨١٥م ، فأظهر محمد علي التشدد ، ولم يرض بالشروط التي عرضها ابنه ، وصمم على معاملة الأمير (عبد الله) معاملة العصاة الخارجين على السلطان العثماني ، فاشترط

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٤٧-١٤٨) .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٤٨-١٤٩) ، (ص : ١٥١) .

(٣) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٥١-١٥٢) .

للصلح أمورًا أهمها : أن تسلم (الدرعية) إلى حاكم المدينة ، وأن يحضر الأمير (عبد الله) بنفسه إلى الآستانة ليكون رهن أوامر السلطان ، فرفض الأمير (عبد الله) ، وعرض أن يعين محمد علي نائبًا عنه في الدرعية يتولى قبض الخراج الذي يحدده محمد علي ، أو يتعهد الأمير (عبد الله) بأدائه ، ورفض شرط الذهاب إلى الآستانة . ومع إخفاق مفاوضات الصلح ، تأهب الفريقان للقتال من جديد [1] .

لماذا أصر محمد علي على استكمال الحرب رغم السيطرة على الحجاز واسترداد الحرمين الشريفين :

لقد دعا الأمير عبد الله بن سعود طوسون باشا إلى الصلح من خلال رسالة وجهها الشيخ أحمد الحنبلي إلى طوسون ، فيها أنهم يعترفون بإمارة السلطان العثماني ، وأنهم لا يخرجون عن دولة الخلافة ، فلم إذن كان الإصرار على توجيه القوات إلى جزيرة العرب [2] ؟

ولقد اقتصر مرسوم السلطان العثماني القاضي بطلب الحرب مع السعوديين من محمد علي وبدافع من رسائل شريف جدة ، وكذلك بوحي وتشجيع من الإنجليز ، على استخلاص الحرمين والوصية بالرعية والتجار [3] ، أن السلطان العثماني كان يكفيه خضوع الحجاز لحكمه [4] .

وفي أعقاب نجاح القوات العسكرية في الاستيلاء على بلاد الحجاز كان من الممكن أن تنتهي هذه الحرب إلى هذا الحد ، فقد سيطرت قوات محمد علي على

---

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٥١-١٥٢) .

(٢) انظر « الدولة العثمانية » للصلابي ، (ص : ٣٥٨) ، وانظر « الدولة العثمانية » د. جمال عبد الهادي ، (ص : ٩٦) .

(٣) « الدولة العثمانية » للصلابي ، (ص : ٣٥٤) نقلًا عن « قراءة جديدة في التاريخ العثماني » ، (ص : ١٨٦) .

(٤) « الدولة العثمانية » للصلابي ، (ص : ٣٥٦) .

مدن الحجاز ، كما أن قادة الدعوة قد عرضوا عليه الصلح ، ولكن محمد علي وضع شروطًا صعبة التحقيق لقبول الصلح [١] ، مما يدل على حرصه على استمرار الحرب [٢] .

□ استئناف الحرب بقيادة إبراهيم باشا :

أبدى محمد علي همة كبيرة في تجريد حملة جديدة ، استمر إعدادها ستة أشهر [٣] ، وكان طوسون باشا قد عاد إلى مصر [٤] ، فتقدم الأمير (عبد الله) إلى (الرس) فاحتلها ، وأقام معسكره بها [٥] ، فعقد محمد علي لواء الحملة الجديدة لابنه الأكبر إبراهيم باشا الذي توجه إلى (المدينة المنورة) ، ومنها إلى (الحناكية) ، وعسكر بها [٦] .

□ وفاة طوسون باشا :

وخلال هذه الفترة توفى طوسون باشا قرب رشيد ، إثر مرض ثار به فجأة ، لم يمهله أكثر من عشر ساعات ، ثم فاضت روحه ، فنقلت جثته بطريق النيل إلى القاهرة ، ودفن في مقابر الإمام الشافعي ، وعمره لم يتجاوز العشرين سنة ، وقد حزن محمد علي لفقده حزنًا شديدًا [٧] .

---

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ٣٥٥) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ٣٥٦) .

(٣) « عصر محمد علي » للرافعي .

(٤) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٥٢-١٥٣) .

(٥) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٥٤) .

(٦) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٥٣-١٥٤) .

(٧) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٥٤-١٥٥) . ذكر الرافعي أن طوسون باشا أقام قرب رشيد للراحة من

□ تقدم الجيش المصري :

اشتبكت طلائع الجيش المصري بالوهابيين على مقربة من (الرس) ، فكانت الغلبة للجيش المصري ، لما امتاز به من النظام والتسلح بالأسلحة الحديثة ، ومعاونة العربان من قبيلة حرب ، فتقهقر الوهابيون ، وتحصنوا مع أميرهم (عبد الله) في (الرس) ، فحاصرها إبراهيم باشا فاستمر الحصار ثلاثة أشهر وسبعة عشر يومًا دون جدوى ، حيث دافع الوهابيون عن (الرس) دفاعًا بطوليًا وكبدوا الجيش المصري خسائر فادحة ، فاضطر إبراهيم باشا أن يرفع حصاره بعد أن عرض عليه الأمير (عبد الله) وقف القتال ، فكان الصلح بينهما على رفع الحصار شريطة أن يقف أهل (الرس) على الحياد ، فإذا استولى الجيش المصري على مدينة (عُنَيْزَة) تسلم له (الرس) بدون قتال [١] .

□ سقوط عنيزة :

سار إبراهيم باشا إلى (عُنَيْزَة) ، فحاصرها ستة أيام ، حتى دخلها بعد اشتراط حاميتها الخروج منها آمنين تاركين أسلحتهم وذخائرهم ، فكان لسقوط (عنيزة) بهذه السرعة أثره الكبير في سير القتال [٢] ، لأنها من أهم مواقع نجد .

□ دخول الشقراء والقصيم وضرمة :

تراجع عبد الله بن سعود إلى (الشقراء) ، فتوجه إليها إبراهيم باشا وحاصرها ، حتى استسلمت في ٢٢ يناير سنة ١٨١٨م ، وخرج منها عبد الله بن سعود إلى الدرعية ليلًا ، فتحصن بها [٣] ، وجنحت قبائل في بلاد القصيم إلى

---

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٥٥-١٥٧) .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٥٧) .

(٣) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٥٧-١٥٨) .

التسليم خوفًا من بطش إبراهيم ، وأذعنت له [١] . خرج إبراهيم في طريقه إلى (الدرعية) على (ضرمة) فضربها بالمدافع ، ودافع عنها أهلها دفاعًا شديدًا وكبدوا الجيش المصري الكثير من القتلى ، فلما دخلها قتل أهلها عقابًا لهم على ما كبدوا الجيش من خسائر ، وبقى الجيش المصري في (ضرمة) شهرين حيث أعاقته الأمطار عن التقدم [٢] .

◻ محاصرة الدرعية :

في ٢٢ مارس سنة ١٨١٨م توجه الجيش المصري تجاه (الدرعية) [٣] ، فوصلها في ١٦ إبريل ، فدار قتال شديد بين الفريقين إذ دافع الوهابيون عنها دفاعًا شديدًا ، ودام الحصار أكثر من خمسة أشهر ضاق الخناق فيها على الوهابيين ، فرأى عبد الله بن سعود أن ليس في مقدوره الاستمرار في المقاومة فجنح إلى التسليم ، وأرسل في ٩ سبتمبر سنة ١٨١٨م رسولًا إلى إبراهيم باشا يطلب وقف القتال ، والاتفاق على الصلح ، فابتهج إبراهيم باشا بذلك ابتهاجًا عظيمًا [٤] .

◻ انتهاء الحرب ودخول الدرعية :

وتم الاتفاق على أن تسلم (الدرعية) إلى إبراهيم باشا ، مع التعهد بالإبقاء عليها ، وعدم الإضرار بالوهابيين فيها ، وأن يذهب عبد الله بن سعود إلى مصر ، ثم إلى الآستانة ، كما هي رغبة السلطان .

---

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٥٧-١٥٨) .

(٢) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٥٨-١٥٩) .

(٣) تبعد الدرعية نحو ٤٠٠ ميل عن المدينة المنورة .

(٤) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٥٩-١٦١) .

وبذلك استولى الجيش المصري على (الدرعية) بعد حصار امتد نحو ستة أشهر ، فلم تلبث المدن الباقية بنجد أن سلمت وخضعت للجيش المصري [١] .

وبهذا تم للأتراك القضاء على الدولة السعودية الأولى .

وقد دخل إبراهيم باشا الدرعية في ٨ ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ ، الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٨١٨م [٢] .

جاء (عبد الله بن سعود) إلى مصر أسيرًا ، يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨١٨م ، فتم ترحيله إلى الآستانة ، فقتل هناك بأمر السلطان [٣] ، ولم يفِ محمد علي بعهود ابنه إبراهيم في شروط الصلح فأمر بهدم حصون الدرعية وتخريب منازلها [٤] ، وأحرقها ، ونقل إخوة عبد الله بن سعود إلى القاهرة [٥] .

□ منع محمد علي من دخول الأحساء :

وبعد أن وطد إبراهيم باشا نفوده في الجزيرة العربية عاد إلى مصر فبلغ الجيزة في ٩ ديسمبر ١٨١٩م ؛ بعد أن أنهى مهمته في القضاء على نفوذ آل سعود وتخريب (الدرعية) عاصمتهم [٦] .

---

(١) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٦١) .

(٢) « آل سعود والشام » ، د. أحمد فؤاد متولي ، (ص : ٩١) .

(٣) انظر المصدر السابق ، (ص : ١٦٥) .

وانظر « عنوان المجد في تاريخ نجد » لعثمان بن بشر جـ ١/ ٢٠٧-٢٨٥ .

(٤) وقيل أن ذلك كان بأمر من السلطان العثماني « انظر السعوديون والحل الإسلامي » لمحمد جلال كشك (ص : ١٩٧-١٩٨) ، كما أن السلطان العثماني لم يقابل الأمير عبد الله بن سعود أو يحاوره مكتفيًا بالأمر بالطواف به في شوارع الاستانة ثم قتله . وانظر المصدر السابق ، (ص : ١٩٨) .

(٥) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٦٥) . وقد نزلوا بالقشلة التي بالأزبكية ووضع ابن عبد الله بن سعود بدار عند جامع مسكة .

(٦) راجع المصدر السابق ، (ص : ١٦٥) .

وقد اقترح محمد علي على السلطان العثماني أن يتحرك إلى الأحساء بعد دخوله الدرعية ، ولكن السلطان رفض ذلك ، وأمره بالتوقف عند هذا الحد ، تحاشيًا للاصطدام مع القوات البريطانية في الخليج العربي في ظبي ، رغم إلحاح محمد علي باشا على السلطان بالموافقة [1] .

وتذكر بعض المصادر أن إنجلترا عندما علمت بعزم محمد علي باشا على مواصلة التحرك إلى الأحساء ومحاولته إقناع السلطان بالموافقة على ذلك كلفت قنصلها في الإسكندرية بإبلاغ محمد علي عن عزمها التدخل بالقوة إذا حاولت القوات المصرية دخول هذه المناطق [2] .

(١) راجع « آل سعود والشام » ، (ص : ٩١) .

(٢) انظر المصدر السابق ، (ص : ٩١) .

١١٥٧هـ	اتفاق الدرعية (بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود)	١٧٤٤م
١١٥٩هـ	بدء القتال من أجل الدعوة	١٧٤٦م
١١٦٨هـ	ضم حريملاء	١٧٥٥م
١١٧٠هـ	ضم العيينة والمنفوحة والوشم وسدير	١٧٥٧م
١١٧٩هـ	وفاة الأمير محمد بن سعود (وتولي ابنه عبد العزيز)	١٧٦٥م
١١٨٧هـ	فتح الرياض	١٧٧٢م
١٢٠٦هـ	وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	١٧٩٢م
١٢١٠هـ	ضم الأحساء	
١٢١٥هـ	ضم عسير	
١٢١٦هـ	غزو كربلاء	١٨٠١م
١٢١٨هـ	دخول مكة	١٨٠٣م
١٢١٨هـ	مقتل الأمير عبد العزيز (وتولي ابنه سعود)	١٨٠٣م
١٢٢١هـ	دخول المدينة المنورة	١٨٠٦م
١٢٢٦هـ	بدء حملات محمد علي باشا على الحجاز	١٨١١م
١٢٢٩هـ	وفاة الإمام سعود (وتولي ابنه عبد الله)	١٨١٤م
١٢٣٣هـ	سقوط الدرعية (وانتهاء الدولة السعودية الأولى)	١٨١٨م

□ من أسباب هزيمة الوهابيين عسكريًا :

* يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعي :

« وكانت هذه الحرب من أشق حروب مصر في عهد محمد علي ، وأكثرها ضحايا ، وأعظمها نفقات ، وقد تخللتها هزائم ومواقف عصيبة ، كادت تقضي على الحملة المصرية) [١] ، (لولا أن القيادة الوهابية كان يعوزها الحزم والكفاية والنظام) [٢] . (ومن الأسباب التي أدت إلى اضمحلال قوة الوهابية ضعف عبد الله ابن سعود ، والأموال التي بذلها طوسون وإبراهيم ومحمد علي ، واشتروا بها ذمم البدو ، فإن القبائل التي انحازت إلى جانب الجيش المصري قد عاونته معاونة كبيرة ، ولولا ذلك لكانت مواصلاته عرضة للانقطاع ، ولما استطاع أن يقطع تلك المراحل الشاقة في بلاد مقفرة [٣] ، أضف إلى ذلك عزيمة محمد علي وإبراهيم ، وما احتمله الجيش المصري من الصبر على المشاق والأهوال ، كل ذلك كان له الفضل الأكبر في ما أدركه من الفوز ، وبفضل تلك التضحيات الجسيمة أمكن مصر أن تبسط نفوذها في مفاوز جزيرة العرب تلك التي يصعب على أي دولة أن تخضعها ، وقد ظل هذا النفوذ مبسوطًا على أنحائها إلى أن تقلص ظله في أواخر عهد محمد علي » [٤] .

* ويقول الدكتور / أحمد فؤاد متولي عن نجاح قوات محمد علي في الجزيرة

---

(١) « عصر محمد علي » للرافعي ، (ص : ١٦٢) .

(٢) « عصر محمد علي » للرافعي ، (ص : ١٦٢) .

(٣) لذا كان ينبغي من الناحية العسكرية على الوهابيين خاصة داخل نجد معقلهم أرهاق الجيش المصري بمهاجمته خارج المدن وعن طريق البدو والأعراب وليس الاقتصار على التحصن داخل المدن والصمود لحصار الجيش المصري لهذه المدن .

(٤) « عصر محمد علي » للرافعي ، (ص : ١٦٢) . أضف إلى ذلك الوفاة المفاجئة للإمام سعود بن عبد العزيز أثناء الحملة ، فافتقد الوهابيون قائدهم المحنك .

العربية : « ونجحت في مهمتها لعدم تكافؤ الإمكانيات والخبرات العسكرية بين السعوديين وبينهم ، رغم ما أبداه النجديون من مقاومة ضارية كلفت إبراهيم باشا قرابة اثنى عشر ألف جندي من جيوشه »[١] .

* وقد كانت قوات محمد علي تصطحب معها بعض الضباط العسكريين الفرنسيين ، وبعض الأوروبيين ، يقول عبد الرحمن الرافعي : « وكان يصحب إبراهيم باشا [٢] ضابط فرنسي من ضباط أركان الحرب وهو المسيو فيسير (Vaissiere) وطبيب وجراحان وصيدلي من الإيطاليين »[٣] .

* ويقول الشيخ سليمان بن سحمان [٤] : « ثم لما انقض زمن الدرعية وتسلطت عليهم العساكر المصرية بسبب ما اقترفه أولاد سعود من الذنوب والتقصير في الأوامر الدينية[٥] ، ونقلوا عبد الله بن سعود إلى مصر ، وأتبعوه أولاده وإخوانه وأكابر أولاد الشيخ ، تم تشتت الناس وتضعضع أمرهم ، وانفلت ولاية أهل الإسلام [٦] ، وبقى الناس في مرجة عظيمة لا والي لهم ، ثم رد الله الكرة للمسلمين [٧] وجمعهم الله على الإمام تركي بن عبد الله رحمه الله تعالى

---

(١) انظر « آل سعود والشام » ، (ص : ٩٠-٩١) .

(٢) يعني عند قدومه من مصر لقيادة الحملة المصرية .

(٣) « عصر محمد علي » للرافعي ، (ص : ١٥٣-١٥٤) .

(٤) انظر « منهاج أهل الحق والإتباع » لابن سحمان ، (ص : ٩) .

(٥) ولا شك أن الذنوب والمخالفات الشرعية من أسباب الهزيمة والضعف ، فعلى مَنْ مكن الله له في الأرض أو سعى للتمكن فيها أن يجتنب ما حرم الله تعالى ويتمثل أوامره .

قال تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤١] .

(٦) ، (٧) يعني المتمسكين بالتوحيد من أتباع الدعوة الوهابية .

وشيخ الإسلام شيخنا الشيخ عبد الرحمن [١] قدس الله روحه [٢] ، واستقام الأمر على ما كان عليه أهل نجد أولًا باديتهم وحاضرتهم على هذا الدين ، ثم جمعهم الله بعد ذلك بالإمام فيصل بن تركي فاستقامت ولاية الإسلام [٣] على ما كانوا عليه أولًا » .

تنبيه :

يقول محمد جلال كشك : « الذي وضع خطط حصار الدرعية وأشرف على تنفيذها هو المسيو فيسيير الضابط الفرنسي الذي سافر مع إبراهيم مع طاقم من الخبراء الأجانب » [٤] .

ويقول أيضًا [٥] : « ولكن الوهابيين ما كان بوسعهم أن يواجهوا إمدادات محمد علي وموارده ،وفتنه ، ولا كان بوسعهم تغيير أخلاقيات الأعراب في فترة وجيزة » ، « ولا كانت طيبتهم تسمح لهم بالتنبه لغدر الشريف ، الذي أبقوه في منصبه .. تصديقًا للبيعة التي أعلنها في قلب الكعبة ! وهو لا يضمر إلا الغدر » [٦] ، « فاستطاع الشريف بمال محمد علي شراء ذمم الأعراب وإرشاد الجيش السلطاني إلى عورات جيش الوهابيين فسقطت عقبة الصفراء والجديدة من غير حرب بل للمخادعة والمصالحة مع العرب [٧] وتدبير شريف مكة » .

---

(١) أي : الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب المجدد الثاني للدعوة الوهابية .

(٢) هذا دعاء للشيخ أن يطهر الله روحه ويزكيها .

(٣) يعني المتمسكين بالتوحيد من أتباع الدعوة الوهابية .

(٤) انظر « السعوديون والحل الإسلامي » ، (ص : ١٦٤) .

(٥) المصدر السابق ، (ص : ١٨٤) .

(٦) كان شريف مكة قد أظهر الموافقة للوهابيين وتعهد بوقف المظالم والمكوس والسير بالسيرة الحسنة فأبقاه الوهابيون على ما كان عليه .

(٧) أي : الأعراب .

النتائج السيئة
لأطماع محمد علي التوسعية

تعد شخصية محمد علي باشا من الشخصيات القوية ، التي سعت إلى تحقيق المجد لنفسها ، وقد كانت أطماع محمد علي في الاستقلال بمصر ، وتوسيع نفوذه خارجها وراء الكثير من الأعمال الكبيرة التي قام بها ، ولكنها عادت بالوبال على مصر ، ومن ورائها الأمة الإسلامية ، وإن انتهت بتأسيس دولة كانت له ولأولاده الذين ورثوا الحكم من بعده .

وفي سبيل تحقيق أطماعه خاض بمصر معارك كثيرة ، وتحدى دولة الخلافة ، ومكن للأوروبيين في مصر ، وغَيَّرَ الكثير من نواحي الحياة الاقتصادية السياسية والاجتماعية والعسكرية والثقافية في مصر [(١)] .

□ وأهم المؤاخذات على أعمال محمد علي :

١ - القضاء على الدولة الوهابية في الجزيرة العربية :

قد يكون ظاهر الأمر أن محمد علي استجاب للسلطان العثماني بتوجهه لمحاربة الوهابيين في الجزيرة العربية ، ولكن العديد من المؤرخين لتلك الفترة يرون أن محمد علي إنما أراد لنفسه المكانة العالية من وراء ذلك ، فهو بحربه ضد الوهابيين ينال رضا السلطان العثماني ، ويبدأ أول حروبه الجادة للتوسع خارج مصر ، ويطلق لنفسه العنان للتصرف داخل مصر بما شاء ، لأن البلاد مستنفرة في

---

(١) راجع في ذلك : « تاريخ الجبرتي » ، و « أعلام وأقزام في ميزان الإسلام » د . سيد بن حسين العفاني ، و « الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا » د . علي محمد الصلابي جـ ١ (٤٠-٤١) ، و « عصر محمد علي » لعبد الرحمن الرافعي .

حالة حرب باسم الخلافة العثمانية ، وغالب الظن أن محمد علي خلال سنوات حربه في الجزيرة العربية قد اطلع بصورة مباشرة على الدعوة الوهابية وحقيقتها ، ولكنه لم يلتفت إلى ذلك ، وإنما كان همه الأول تحقيق أهدافه الشخصية من وراء تلك الحرب ، ورغم أنها استمرت لسنين عديدة وكلفت مصر آلاف الأرواح والنفقات الباهظة لكنها انتهت كما أراد محمد علي ، لتعلو منزلته عند السلطان العثماني ، ويثبت أقدامه في الحكم ، ويبدأ مد نفوذه خارج حدود مصر ، ويعزم على بناء جيش قوي يحقق به أطماعه الشخصية .

وفي المقابل كانت هذه الحرب وراء القضاء على النفوذ السياسي للدعوة الوهابية ، وإسقاط دولة آل سعود الأولى ، وإن لم تقض على الدعوة الدينية الإصلاحية التي جاء بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكن قللت من انتشارها ، وأخرت ظهور آثارها وثمارها المرجوة منها كحركة إصلاحية فيها صلاح المسلمين ، وخروجهم مما تردوا فيه بسبب انحرافهم عن دينهم ، وانتشار الشركيات والخرافات والبدع . لقد كانت حملات محمد علي على الدعوة الوهابية حملة على الدين لا من أجل الدين كما هو ظاهرها عند الكثيرين .

٢ - التمكين للأجانب في البلاد :

حيث سعى محمد علي في البداية إلى القضاء على قوة المماليك ، وإلى التخلص من مشايخ الأزهر [١] ، ليقضي بذلك على أي نفوذ يشاركه التصرف في البلاد ، ثم سعى إلى استقدام الأوروبيين ، خاصة من فرنسا ، ليتولوا صبغ مصر بالصبغة

(١) تبوأ محمد علي الولاية على مصر بتأييد علماء الأزهر وزعماء الشعب له ، واشترطوا عليه منع المظالم ونشر العدل ، ولكن محمد علي ما أن استقر في الحكم حتى غدر بهم ، وبدأ بنقيب الأشراف (عمر مكرم) فنفاه ، وهو أول من بايعه من الناس .

الأوروبية ؛ وأحاط نفسه ببطانة من نصارى الأرمن ، وأسند إليهم العديد من المناصب الهامة في الدولة .

وقد ساعدت فرنسا محمد علي ، فأنشأت له جيشًا مزودًا بأحدث الأسلحة ، وكان ذلك بإشراف سليمان الفرنساوي ، كما أنشأت له أسطولًا بحريًا ، وترسانة بحرية في دمياط (١) ، وبنت له القناطر الخيرية لتنظيم عملية الري في البلاد ، ولم يكن ذلك كله من فرنسا إلا رغبة في تقوية ودفع سياسة التغريب لمصر التي انتهجها محمد علي باشا (٢) .

وقد قام أولاد محمد علي باشا وأحفاده بتكملة ما بدأه محمد علي من التمكين للأجانب في مصر ، فواصلوا سياسة التغريب التي انتهجها ، بالتسابق إلى كسب ولاء الغرب ورضاه :

فسعيد باشا منح الإرساليات التبشرية ما تتمناه ، وقدم التسهيلات للمدارس الأجنبية للقيام برسالتها من أراضي مجانية ومساعدات مالية ، وهي مساعدات تفوق ما أنفقه على ميزانية التعليم للمصريين طوال فترة حكمه (٣) .

أما في عهد إسماعيل باشا فقد صار لليهود أربعة مكاتب بالقاهرة ، ومدرسة نظامية . وأسست الطائفة الأرمينية لها مدرسة ، وكذلك الطائفة اليونانية أسست

---

(١) نقل محمد جلال كشك عن الرافعي قوله : « إن إبراهيم ـ يعني ابن محمد علي ـ كان يتميز بصدق نظره لأنه كان أول من استعان بخبرة الأوروبيين في الحروب فاصطحب معه في الحرب الوهابية طائفة من الأفرنج منهم الضابط الفرنسي فيسيير أحد ضباط الحرب وهذا أمر لم يكن مألوفًا ولا سائغًا بين قواد الشرق في ذلك العهد » . (السعوديون والحل الإسلامي) ، (ص : ١٦٤) .

(٢) راجع « أعلام وأقزام في ميزان الإسلام » تأليف د. سيد بن حسين العفاني ، ط. الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، جـ ١/ ٢٠-٢١ بتصرف .

(٣) راجع « أعلام وأقزام » ، جـ ١/ ٤٠ ، ٤٢-٤٣ ، وانظر « تاريخ التعليم في عصر محمد علي » لأحمد عزت عبد الكريم ، ط. مكتبة النهضة المصرية ط. ١٩٣٨م ، (ص : ٦٧١) .

لها مدرسة بالإسكندرية ، وكذلك فعل الإيطاليون [١] .

كما تسابق النصارى على تنوع جنسياتهم واختلاف مذاهبهم إلى إنشاء المدارس التنصيرية ، وتشييد الكنائس ، واستقدام الإرسليات ، لخدمة الأهداف التنصيرية (التبشيرية) [٢] .

ولبيان إفساح أولاد محمد علي المجال للأجانب نذكر أنه في سنة ١٨٧٥م كان عدد المدارس الأجنبية ٩٣ مدرسة بها ٨٩١٦ تلميذًا وتلميذة ، بينما كان عدد المدارس الحكومية ٣٦ مدرسة بها ٤٨٧٨ تلميذًا وتلميذة . وفي سنة ١٨٨٧م كان عدد المدارس الأجنبية ١٩١ مدرسة ، كان عدد الطلاب فيها ٢٢٧٦٤ طالبًا ، بينما كان عدد المدارس الحكومية ٤٠ مدرسة ، كان عدد الطلاب فيها ٥٥٠٠ طالب ، أي أن عدد المدارس الأجنبية كان يفوق عدد المدارس الحكومية التي أنشأتها الحكومة [٣] .

إن التغيير الذي أحدثه وجود الأجانب على أرض الوطن وازدياد نفوذهم أضعف عقيدة الولاء والبراء في النفوس ، كما تغيرت الكثير من الأحوال الاجتماعية والأخلاقية والثقافية ، ولهذا اختلفت المواقف داخل الأمة ، فالشعب الذي تصدى للحملة الفرنسية لنابليون والحملة الإنجليزية لفريزر ، وأجبر الفرنسيين والإنجليز على الخروج ، لم يتصدَ بنفس القوة لاحتلال الإنجليز لمصر عام ١٨٨٢م في عهد الخديوي توفيق .

---

(١) راجع المصدر السابق ، جـ ١/ ٤٠-٤١ ، وانظر « تاريخ التعليم في عصر محمد علي » ، (ص : ٦٦٨) وما بعدها .

(٢) راجع « أعلام وأقزام » ، جـ ١/ ٤١ .

(٣) انظر « أعلام وأقزام » ، جـ ١/ ٤٣ ، و « التاريخ الثقافي للتعليم في مصر » د. حسن فقي ، دار المعارف ـ مصر ـ ط. ١٩٧١م ، (ص : ٥٦٣) .

٣ - تغريب السياسة التعليمية في مصر :

حيث أدخل محمد علي المنهج العلماني في التعليم بمصر ، فمن إضعاف الأزهر وعلمائه ، إلى بناء المدارس ذات المناهج العلمانية ، والاعتناء بطلابها ، وإرسال البعثات التعليمية إلى أوروبا ليعود طلابها مشبعين بمبادئ الحياة الغربية ، ويتولون بأنفسهم توجيه دفة الحياة الثقافية والعلمية في مصر تجاهها ، إلى جانب استقدام الأجانب للتدريس والتعليم في مصر وفق مناهج الغرب .

(ومهما يكن من شيء فقد ظهر لمحمد علي أن التعليم في الأزهر لا يمكن أن يحقق أغراضه [١] .. كما ظهر له أن التعليم الغربي أو ا لتعليم الذي عرفته أوروبا في عصره كان وحده الوسيلة لتحقيق أغراضه ، وكان هذا كافيًا ليحمل محمد علي على أن يحول وجهه عن الأزهر والكتاتيب ، ويُنشئ نظامًا تعليميًا قائمًا بنفسه مقتبسًا من الغرب ، وليس بينه وبين النظام التعليمي القديم إلا ما يكون بين نظامين يقومان جنبًا إلى جنب ويتجاذبان [٢] تعليم نابتة البلاد) [٣] .

ولو كان محمد علي صادقًا في إعلاء شأن الأمة لاتجه إلى إصلاح التعليم في الأزهر ، وتحديثه ، وتقوية إمكانياته ، فيجمع بين الدين والعلم ، لا أن يفصل بينهما بنهج علماني يتفق مع أهداف الغرب ومخططاته [٤] .

ولكن محمد علي (أصر على السير في المضمار التغريبي المؤدي إلى الحياة الغربية وأساليبها وثقافتها ، فقرر إنشاء نظام تعليمي كامل من المرحلة الابتدائية

---

(١) أي أغراض محمد علي .

(٢) يتنافسان .

(٣) « أعلام وأقزام » ، جـ ١/ ٢٣-٢٤ نقلًا عن « تاريخ التعليم في عصر محمد علي » ، (ص : ٥٨٨) .

(٤) راجع « أعلام وأقزام » ، جـ ١/ ٢٤، ٥٢-٥٣ ، وانظر « واقعنا المعاصر » لمحمد قطب ، (ص : ٢٠٥-٢٠٩) .

إلى المراحل العليا ، وفتح المدارس على نمط المدارس الغربية) [١] ؛ وفي المقابل أضعف محمد علي مكانة الأزهر في المجتمع ، إذ جعل لخريجي المدارس الجديدة المناصب العليا والوظائف الهامة ، وأبعد علماء الأزهر وزعمائه عن أن يكون لهم الدور المؤثر والفعال كما كان قبل تولي محمد علي للحكم في أعقاب خروج الحملة الفرنسية من مصر ، والتي كان لزعماء الأزهر وعلمائه الأثر الكبير في قيام الثورة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي بقيادة نابليون .

(يقول آرنولد توينبي إن مصر بدأت تتجه نحو الاصطباغ بالصبغة الأوروبية منذ أيام محمد علي متفوقة على تركيا) [٢] ، ويقول : « كان محمد علي ديكتاتورًا أمكنه تحويل الآراء النابليونية إلى حقائق فعالة في مصر » [٣] .

ويقول الدكتور أحمد فرج : « كان محمد علي الذي اعتلى حكم مصر بعد خروج الفرنسيين كنابليون ، فكلاهما كانت تحركه أهداف علمانية » [٤] ، ويقول : « كان محمد علي امتدادًا لنابليون في مصر ، ومبادئ العلمانية التي أرساها نابليون وجيوشه الفرنسية مكن لها محمد علي بعد ذلك ، بعد أن قوض سلطة الأزهر ، وأضعف نفوذ علماء الدين ، وأتى بكل ما لا يتفق وفكرة الحاكم في التصور الإسلامي الذي يجسد صورة العدل بمعناه الشرعي ، لقد مهدت أوروبا ـ خاصة فرنسا ـ كيف تحكم مصر بعد خروج الفرنسيين منها .

وكانت خطة محمد علي في التحديث استمرارًا لخطة نابليون ، وأقام محمد

(١) « أعلام وأقزام » ، (ص : ٢٤) نقلًا عن « تاريخ التعليم في عصر محمد علي » ، (ص : ٣٠) .

(٢) « أعلام وأقزام » ، جـ ١/ ١١ نقلًا عن « مختصر دراسة التاريخ » للمؤرخ الإنجليزي آرنولد توينبي جـ ٣/ ١١٣ .

(٣) « جذور العلمانية » للدكتور أحمد فرج ، (ص : ٢٧) .

(٤) « جذور العلمانية » للدكتور أحمد فرج ، (ص : ٢٧) ط. دار الوفاء ـ المنصورة ـ ط. الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

علي دولته العلمانية التي لا تفرق بين مواطن وآخر ، إلا بمقدار ما يقدمه لها من خدمات ، دونما اعتبار لدين أو عرف أو لون ، تمامًا كما فعلت فرنسا بعد نجاح ثورتها الكبرى ، وبنفس الأسلوب والمبادئ التي حملها نابليون وجيشه إلى كل بقعة وطئتها أقدامهم من العالم ، وكان محمد علي كنابليون يمضي كالسهم لا يوقف تقدمه شيء لضعف العلماء وقلة الأفاضل وقلة حيلتهم »[(1)] .

٤ - محاربة محمد علي للدولة العثمانية :

لم يقتصر محمد علي في أطماعه على الاستقلال بمصر ، ولكنه استخدم جيوشه في محاربة الدولة العثمانية نفسها ، وكاد ينتصر عليها لولا تدخل بريطانيا خوفًا من ازدياد النفوذ الفرنسي في المنطقة ، فأوقفت بريطانيا أطماع محمد علي ، ومنعته من التمادي في الخروج عن الدولة العثمانية ، وجعلته يكتفي بالاستقلال بمصر ، لتكون له ولأولاده من بعده ، باعتراف الدولة العثمانية ، فيحكم مصر حكمًا وراثيًا ينتقل في ذريته مع التبعية الاسمية للدولة العثمانية . وللأسف فإن قتاله للدولة العثمانية وفرض ما أراده عليها أظهر لدول الغرب ضعف الدولة العثمانية وعجزها مما جرأها على التدخل في شئونها بعد ذلك ، وأصبحت الدولة العثمانية أمام الغرب (الرجل المريض) الذي يتصارع مَنْ حوله على اقتسام ممتلكاته وهو حي بينهم .

---

(١) جذور العلمانية ، ص (٣١، ٣٢) .

ويقول محمد جلال كشك : « محمد علي كان قد استوعب درس الحملة الفرنسية وما تجرعه في سنواتها ، فصمم على بناء مجتمع عصري لا يعتمد على الدين ، بل يتحلل بقدر الإمكان من التزامات الدين ، وينفتح على الغرب بمستشاريه وضباطه ومدارسه ومعاهده بل وحتى في قوانينه ، ويراهن في صراعه مع الباب العالي لا على المزايدة الإسلامية بل على إعجاب الدول العظمى غير المسلمة بتحضر مجتمعه ونظافته من التخلف الشرقي وضعف دور رجال الدين فيه » انظر « السعوديون والحل الإسلامي » ، (ص : ١٤٤-١٤٥) .

موقف انجلترا وفرنسا من دولة آل سعود الأولى

استولت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت على مصر ، لتكون قاعدة لها لإقامة إمبراطورية لفرنسا في المنطقة ، يمكن عن طريقها الوصول إلى المستعمرات البريطانية في الهند ، في ظل الصراع الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا .

وقد سعى نابليون إلى التمهيد لذلك بمحاولة الاتصال بشريف مكة في الحجاز ، وبالإمام سعود الكبير في نجد ، لتهيئة الظروف لتحقيق أطماعه في المنطقة ، وتقوية نفوذه في صراعه مع بريطانيا في المنطقة :

فتذكر بعض المصادر التي تعتمد في كثير من معلوماتها على المراجع الأوروبية أن نابليون بونابرت أوفد مبعوثًا إيطاليًا تعرف عليه في جزيرة مالطة إلى الإمام سعود للنظر في إمكانية التحالف معه لمواجهة الإنجليز وقطع الطريق عليهم إلى الهند [١] .

كما أن نابليون عهد إلى ذلك المبعوث أن يمهد له التحالف مع العشائر العربية لضمان المرور من الأراضي العربية لتحقيق أطماعه ، ومعلوم أنه لا يتأتى ذلك إلا بإثارة تلك العشائر ضد السلطات التركية [٢] .

كما تبادل نابليون الرسائل مع الشريف غالب بن مساعد بن سعيد الحسني أمير مكة المكرمة آنذاك ، ثم من بعده كليبر ثم مينو ، في الفترة من أغسطس

---

(١) راجع « آل سعود والشام » د. أحمد فؤاد متولي ، (هامش ص : ٣١) ، وانظر « البلاد العربية السعودية ، عهد سعود الكبير » د. منير العجلاني جـ ١/ ق٢ ، (ص : ٢٣-٢٩) بيروت ، و « تاريخ الدولة السعودية » لأمين سعيد ط. بيروت ١٩٦٤م ، (ص : ٨٩-٩٠) .

(٢) راجع المصادر السابقة .

١٧٩٨م إلى نوفمبر ١٨٠٠م [١]، بشأن عدم منع الحجاج المصريين من أداء فريضة الحج، وضمان أمن قافلة الحجيج، مع توثيق الصلات التجارية بين مصر والحجاز، وقد فتح الشيخ غالب أمير مكة باب التفاوض مع نابليون، فتبادلا الرسائل بينهما، وقد استغل الفرنسيون ذلك، فأعلنوا الرسالة التي أرسلها شريف مكة في ذي القعدة سنة ١٢١٣هـ إلى الفرنسيين بمصر بتأكيد الصلات الطيبة مع التنسيق لأعمال التجارة بينهما، (قد استغل الفرنسيون هذه الرسالة لتهدئة الأوضاع الثائرة ضدهم في مصر، وتسكينها وتخدير الأذهان، فطبعوها وعلقوها على ناصية كل شارع) [٢]، وترتب على هذه الرسالة أن بدأ البن وبعض البضائع الأخرى ترد من الحجاز إلى السويس بحرًا، ومن السويس إلى القاهرة برًا، وأبدى الفرنسيون للشريف غالب التعاون، فرفعوا الرسوم الجمركية عن البن واستثنوه من البضائع، ولكن سفن الإنجليز التي كانت تجوب البحر الأحمر فرضت نطاقًا من الحصار على السويس، وحصلت الجمارك من سفن التجار القادمة من جزيرة العرب إلى السويس بما فيها البن، وتسجل الوثائق التركية الخطة التي رسمها نابليون مع إمبراطور روسيا [٣] بإرسال سبعين ألف جندي فرنسي وروسي برًا إلى الهند لتخليصها من أيدي الإنجليز.

كما أرسل نابليون رسائل إلى بعض الأقطار العربية لتحذير المسلمين فيها بعد استيلائه على مصر، فأرسل رسولًا خاصًا إلى الجزار باشا، ولكن الجزار لم

---

(١) من ربيع الأول ١٢١٣هـ إلى رجب ١٢١٥هـ.

(٢) راجع (آل سعود والشام) هامش ص (٣٠-٣١)، وانظر « مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق » في مقال د. محمد زكريا عناني في مجلة الدارة العدد الثالث من السنة السادسة ٧٢-١٠ جمادى الثاني ١٤٠١هـ - ابريل ١٩٨١م.

(٣) راجع « آل سعود والشام »، (هامش ص : ٣٤) نقلًا عن « تاريخ جودت » لأحمد جودت باشا.

يلتفت إليه ، ولم يخرج لمقابلته ، وأمر برده [١] . ومعلوم أن الجزار باشا استطاع إيقاف حملة نابليون على الشام بعد ذلك بعد أن فشل في الاستيلاء على عكا التي كان الجزار باشا هو الوالي عليها من قبل الدولة العثمانية .

وصاحب الحملة الفرنسية في مصر ، زيادة نشاط الدعوة الوهابية ، وتوج ذلك بدخول الحجاز تحت نفوذها ، والاستيلاء على مكة والمدينة المنورة ، وبالتالي صار لآل سعود دولة قوية ، وبالتالي امتد نفوذ الحركة الوهابية إلى معظم الجزيرة العربية ، وشعرت بريطانيا بخطورة هذا النفوذ على مصالحها ، فلقد أصبحت الدولة السعودية الأولى يمتد نفوذها على الخليج العربي والبحر الأحمر ، ودخل القواسم في الخليج العربي تحت نفوذها ، ووصل نفوذها إلى جنوب العراق ، وأصبحت تؤثر على الطريق البري بين أوروبا والشرق ، وفوق هذا وذاك فإن الأسس الدينية التي ترتكز عليها هذه الدولة قد قطع على بريطانيا إمكانية تطويعها أو عقد الاتفاقيات معها ، حيث كان العداء للنفوذ الأجنبي في المنطقة من أهم أهداف هذه الدولة [٢] . لقد استطاع القواسم ـ ومن خلفهم القوة السعودية ـ من توجيه ضربات موجعة لأسطول الإنجليز في عام ١٨٠٦م ، وأصبحت مياه الخليج تحت سيطرتهم [٣] لقد بلغت الدولة في زمن سعود بن عبد العزيز الأوج من الناحية السياسية ، إذ وصلت كربلاء في العراق ، وإلى حوران في بلاد الشام ، وخضعت لها الجزيرة كاملة باستثناء اليمن [٤] .

---

(١) راجع « آل سعود والشام » ، (هامش ص : ٣١) .

(٢) راجع « الدولة العثمانية » للصلابي ، (ص : ٣٥٢) نقلًا عن « قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين » للدكتور زكريا سليمان بيومي ط. الأولى عالم المعرفة ، (ص : ١٥٦) .

(٣) المصدر السابق ، (ص : ٣٥٢) .

(٤) « الدولة العثمانية » للصلابي ، (ص : ٣٥٢) نقلًا عن « الدولة العثمانية ، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ »

=

وكان الطبيعي أن تشارك فرنسا بريطانيا في تخوفها من القوة الناشئة الجديدة ، إذ أن وجود دولة على أساس من العودة إلى الدين بقوة يمثل خطرًا على المصالح الأوروبية في المنطقة .

ومعلوم أن الدول الأوروبية الاستعمارية لم تستطع التوغل في الجزيرة العربية في ظل الحماية العثمانية في المنطقة ، واكتفت إنجلترا بتواجدها في الخليج العربي ، واكتفى البرتغاليون بتواجدهم على الشواطئ الجنوبية للجزيرة العربية ، خاصة وأن كل من إنجلترا والبرتغال أدركتا عدم قدرة الدولة العثمانية على التعرض لهما في مياه الخليج العربي وبحر العرب .

وكان لا بد أن تشارك انجلترا وفرنسا في التحريض على القضاء على النفوذ السياسي للدعوة الوهابية في الجزيرة العربية .

كتب الأستاذ / أحمد بن سعيد البغدادي في كتابه (نديم الأديب) يقول ما ملخصه [1] : « وأما سبب حرب صاحب مصر ـ أي محمد علي باشا ـ لهذه الطائفة ـ أي أتباع الدعوة الوهابية ـ فقد ذكره المؤرخ الشهير المسيو (سيديو) الفرنساوي وكلامه هذا محذوف من ترجمة كتابه التي أمر بها علي باشا مبارك وخلاصة معناه هي أن إنكلترا وفرنسا حين علمتا بقيام محمد بن عبد الوهاب وابن سعود وبانضمام جميع العرب إليهما [2] ، لأن قيامهما كان لإحياء كلمة الدين [3] ، خافتا أن ينتبه المسلمون فينضمون إليهما وتذهب عنهم غفلتهم ويعود الإسلام كما كان

= د. جمال عبد الهادي ، د. وفاء محمد رفعت جمعة ، علي أحمد لبن ط. دار الوفاء ط. الأولى ، (ص : ٩٤) .

(١) انظر « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » لابن حجر آل بوطامي ، (هامش ص : ٩٧) .

(٢) يعني في الجزيرة العربية التي دانت كلها لحكم الدولة السعودية الأولى .

(٣) بالعودة بالإسلام إلى ما كان عليه السلف الصالح .

في أيام عمر رضي الله عنه فيترتب على ذلك حروب دينية وفتوحات إسلامية ترجع أوروبا منها في خسران عظيم، فحرضتنا الدولة العلية [1] على حربهم، وهي فوضت ذلك [2] إلى محمد علي باشا، وحصل ما حصل، (ولكل أجل كتاب)، وهذه الطائفة - يعني أتباع الوهابية - بريئة مما ينسب إليها الجاهلون، ومن سبها يأثم، والله أعلم بغيبه وأحكم » اهـ.

ومما يدل على أن الإنجليز ضد الحركة الوهابية أنهم أرسلوا الكابتن فورستر سادلير ليهنئ إبراهيم باشا على النجاح الذي حققه ضد الوهابيين إبان حرب إبراهيم باشا للدرعية، وليؤكد له أيضًا مدى ميله إلى التعاون مع الحركة البريطانية لتخفيض ما أسموه بأعمال القرصنة الوهابية في الخليج العربي [3].

بل صرحت هذه الرسالة بالرغبة في إقامة الاتفاق بين الحكومة البريطانية وبين إبراهيم باشا بهدف سحق نفوذ الوهابيين بشكل كامل [4].

ويؤيد ذلك أن الإنجليز كانوا يرمون من يعارضهم في الهند بأنهم وهابيون [5].

ويذكر القس زويمر أن الوهابيين في الهند كانوا لا يجاهرون بمعتقدهم خوفًا من الإنجليز، لأنهم ينسبون إليهم الحث على الجهاد ضد الحكومة الإنجليزية [6].

لقد كانت سعادة بريطانيا كبيرة عندما علمت بسقوط الدرعية، عاصمة

(١) أي دولة الخلافة الدولة العثمانية.

(٢) نظرًا لحروبها في أوروبا وقتها، ولوجود قلاقل داخلية تعاني منها.

(٣) « دعاوى المناوئين »، (ص: ٢٤٠) نقلًا عن « رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م » للكابتن فورستر سادلير، ترجمة أنس الرفاعي.

(٤) المرجع السابق، وانظر كذلك « محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم » لمسعود الندوي، (ص: ١٢١-١٢٣).

(٥) انظر « دعاوى المناوئين »، (ص: ٢٤٠).

(٦) المصدر السابق، (ص: ٢٤٠).

الدولة السعودية الأولى ، في أيدي قوات إبراهيم باشا [1] ، فقد كانت هي الدولة السلفية التي دعمت القواسم في جهادهم ضد بريطانيا في الخليج العربي ، مما يعني تهديد المصالح البريطانية في الهند [2] .

(١) ، (٢) « الدولة العثمانية » للصلابي ، (ص : ٣٥٩) نقلًا عن « تاريخ الأحساء السياسي » د. محمد عرابي ، (ص : ٤٢-٤٣) .

ولقد كان القواسم أخلص حلفاء للسعوديين وألد أعداء الإنجليز وقتها كما ذكر صاحب « السعوديون والحل الإسلامي » ، (ص : ٢٢٧) .

الدولة السعودية الثانية

[من ١٢٣٥هـ وإلى ١٣٠٩هـ]

استطاع إبراهيم باشا بن محمد علي دخول الدرعية ، وخربها بتعليمات من أبيه ، وأرسل إخوة عبد الله بن سعود إلى مصر ، واستطاع بذلك أن يقضي على الدولة السعودية الأولى ، وذلك عام ١٢٣٣هـ ، وفيها قتل السلطان العثماني الأمير عبد الله بن سعود في الآستانة ـ استانبول ـ وعادت نجد من جديد تحت السيادة العثمانية ، ويحكمها حكام موالين للدولة العثمانية ، إلا أنه بالرغم من سقوط الدولة السعودية الأولى من الناحية السياسية فقد ظلت أفكار الدعوة الوهابية السلفية الإصلاحية ماثلة أمام الناس ، وظل هناك الولاء لأسرة آل سعود .

وفي محاولة لاستعادة الحكم من جديد استطاع تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود عام ١٢٣٨هـ (الموافق ١٨١٩م) استعادة الحكم من آل معمر الموالين للأتراك ، واستطاع أن يقيم للسعوديين دولة جديدة تبسط نفوذها على نجد وساحل الخليج العربي .

في سنة ١٢٤٩هـ قتل الأمير تركي بن عبد الله عن طريق ابن أخته مشاري بن عبد الرحمن [١] طمعًا في الحكم ، ثم قُتِلَ مشاري بعد ٤٠ يومًا ، قتله فيصل بن تركي ليتولى الأمارة بعد أبيه تركي بن عبد الله [٢] .

---

(١) هو : مشاري بن عبد الرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود .

(٢) ويجمع المؤرخون على أن تركي بن عبد الله هو مؤسس الدولة السعودية الثانية ، وكان تأسيس الدولة الثالثة على يد حفيد من أحفاده هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي واستمر الحكم إلى الآن في أبنائه كما سيأتي .

سعى أبناء محمد علي إلى قتال السعوديين من جديد للقضاء على دولتهم الجديدة ، وأرسلوا في سنة ١٢٥٤هـ جيشًا بقيادة خورشيد ، وقد اصطحب معه خالد بن سعود الكبير ، والذي كان مقيمًا في منفاه الإجباري بمصر بعد إسقاط الدولة السعودية الأولى .

انتصر خورشيد على فيصل بن تركي ، الذي وقع في الأسر ، وتم إرساله إلى مصر ، وتولى خالد بن سعود الحكم مِنْ قِبَل الحكومة المصْرية .

اضطر خالد بن سعود إلى مغادرة البلاد تحت ضغط أهالي نجد [(١)] الذين ارتضوا عبد الله بن ثنيان أميرًا عليهم .

استطاع الأمير فيصل بن تركي الفرار من أسره بمصر ، وعاد من جديد إلى نجد ، فولاه أهلها الحكم بدلًا من عبد الله بن ثنيان ، وذلك في سنة ١٢٥٩هـ .

وقد ظل الأمير فيصل بن تركي في الحكم قرابة ٢٣ سنة ، امتد فيها نفوذه إلى عسير وأطراف الشام ، وتوفى سنة ١٢٨٢هـ [(٢)] ، في مدينة الرياض .

خلف الأمير فيصل أربعة أبناء : عبد الله وسعود وعبد الرحمن ومحمد ، فوقع بينهم الاختلاف والنزاع ، فاستطاع أمير حائل (الأمير محمد بن رشيد) الموالي للدولة العثمانية أن ينتزع الحكم من آل سعود في عهد الأمير عبد الرحمن بن فيصل ، وذلك سنة ١٣٠٩هـ (الموافق ١٨٩١م) ، ورحل الأمير عبد الرحمن ومعه أفراد أسرته إلى الكويت ، حيث أقام بها ، لتنتهي بذلك الدولة السعودية الثانية .

---

(١) توجه خالد بن سعود ومعه خاصته وخدمه إلى الكويت ، ثم إلى القصيم ، وانتهى به المطاف في مكة ، ومات بعد ذلك في جدة عام ١٢٦٥هـ .

(٢) الموافق ١٨٦٥م .

الدولة السعودية الثالثة

[من ١٣١٩هـ إلى الآن]

وهي تمثل الدور الثالث في تاريخ آل سعود ، ويبدأ هذا الدور من خروج عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل من الكويت ، وفتحه الرياض في شوال ١٣١٩هـ (الموافق ١٩٠٢م) ، ومستمر حتى أيامنا هذه .

□ الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل :

هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ، هو مؤسس الدولة السعودية الثالثة ، والتي تسمى (المملكة العربية السعودية) حاليًا .

ولد في الرياض عام ١٢٩٧هـ (الموافق ١٨٨٠م) [1] ، توافرت فيه صفات القيادة إلى جانب الشجاعة والفروسية ، ختم القرآن الكريم في الحادية عشر من عمره ، تلقى أصول الفقه والتوحيد على يدي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف .

□ استرداد الرياض :

لما هاجر أبوه عبد الرحمن بن فيصل يصحب عائلته إلى الكويت سنة ١٣٠٩هـ كان ابنه عبد العزيز في الثانية عشرة من العمر ، فعاش محنة أبيه صغيرًا ، وعزم على استرداد ملك أبيه من جديد ، فاتجه وهو في بدايات العشرينات من عمره بنفر من أتباعه إلى الرياض في عام ١٣١٩هـ واستطاع فتحها ، واستولى عليها ، وقتل عجلان بن سالم عامل محمد بن رشيد عليها في الخامس من شوال

---

(١) وقيل : عام ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٧م .

١٣١٩هـ (الموافق ١٩٠٢م) ، ثم قام بتحصين المدينة وإعادة بناء أسوارها ، واستقدم والده عبد الرحمن وأهل بيته من الكويت [1] .

◻ دخول القصيم :

اتجه عبد العزيز بعد ذلك إلى استعادة أجزاء نجد الأخرى ، فاتجه إلى الجنوب ، فاستولى على الخرج والأفلاج ووادي الدواسر والحوطة ، وأرسل حاميات للوشم وسدير عام ١٣٢٠هـ (الموافق ١٩٠٢م) ، اشتد الصراع بين عبد العزيز ومحمد بن رشيد حاكم القصيم ، وقعت بينهما معارك متعددة ، انتهت بمقتل ابن رشيد عام ١٣٢٤هـ (الموافق ١٩٠٦م) ، ودخول القصيم تحت حكم عبد العزيز ، وانحصر نفوذ آل رشيد في مقر إمارتهم (حائل) وما حولها .

◻ ضم الأحساء :

كانت الأحساء تحت النفوذ العثماني وبها قوات تركية ، فسار إليها عبد العزيز عام ١٣٣١هـ (الموافق ١٩١٣م) ، واستولى على مقر القوة التركية ، وبسط نفوذه على منطقة الأحساء ، وقام بترحيل من فيها من الأتراك إلى البحرين ، وتلا ذلك اعتراف الدولة العثمانية به حاكمًا فعليًا على نجد والقصيم والأحساء [2] .

◻ الاستيلاء على حائل :

ولاستئصال ما بقي من حكم آل رشيد توجه عبد العزيز إلى حائل مقر حكم آل رشيد ، ودارت معركة انتهت بإعلان هدنة بين الطرفين ، ثم نجح عبد العزيز في سنة ١٣٤٠هـ في الاستيلاء على حائل في شهر صفر ١٣٤٠هـ .

---

(١) كان أمير الكويت وقتها هو الشيخ مبارك

(٢) وهذا يبين تغير نظرة الدولة العثمانية لآل سعود ، وأنهم ليسوا خطرا عليها ، وتراجعها عن عدائها السابق لهم .

□ ضم عسير :

كانت عسير تحت حكم آل عايض ، بتفويض من الدولة العثمانية ، فأرسل عبد العزيز حملة في عام ١٣٣٨هـ تمكنت من هزيمة آل عايض ، وأتبعها بأخرى عام ١٣٤٠هـ (الموافق ١٩٢٢م) استطاع بها إخضاع عسير للحكم السعودي .

□ ضم جيزان :

كانت مقاطعة جيزان تحت سيطرة الأدارسة ، وكانت أحوالها غير مستقرة ، فقام عبد العزيز بالقضاء على نفوذ الأدارسة فيها في عام ١٣٤٩هـ وضمها للحكم السعودي .

□ ضم الحجاز :

كانت الحجاز تحت جكم الشريف (الحسين بن علي) ، الذي استشعر خطر تنامي نفوذ آل سعود ، فتأزمت الأحوال بين الطرفين ، وتحرك عبد العزيز بجيوشه تجاه مكة ، فاستولى على الطائف عام ١٣٤٣هـ .

وفي هذه الأثناء تنازل الشريف (حسين) عن الحكم لابنه (علي) ، وغادر البلاد إلى (قبرص) ، وحاول (علي بن الحسين) التصالح مع عبد العزيز بتوسط وفود من بعض الدول الإسلامية ، فتمسك عبد العزيز بضرورة تنازل (علي) عن الحكم ، وترك أمر الحجاز للمسلمين ، وفي عام ١٣٤٤هـ استولت الجيوش السعودية على جدة بعد أن غادرها (علي بن الحسين) إلى عدن ثم العراق ، ودخلت بعدها (المدينة المنورة) تحت الحكم السعودي ، ليكتمل الاستيلاء على الحجاز .

وقد قام الإمام عبد العزيز بهدم القباب والأماكن التي كانت تزار للتبرك بها ، وتصرف العبادات إليها ، فلما دخل الطائف سنة ١٣٤٣هـ هدم قبة ابن عباس كما

فعل أجداده عند دخولها من قبل ، ولما دخل مكة هدم قبة خديجة ، وخرب مولد النبي ﷺ ومولد فاطمة الزهراء ، ولما دخل الوهابيون جدة هدموا قبة حواء ، وخربوا قبرها وغيرها من المزارات التي كانت تشهد أعمال الشرك والتعظيم .

□ إعلان الملكية :

وبعد خضوع الحجاز لعبد العزيز لُقِبَ عبد العزيز بـ (ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها) ، وفي ١٧ من جمادى الأول عام ١٣٥١هـ صدر مرسوم بتوحيد أجزاء المملكة وتسميتها (المملكة العربية السعودية) ، واتخاذ هذا اليوم عيدًا وطنيًا للمملكة .

□ من جهود الملك عبد العزيز :

وقد شهدت المملكة أعمالًا كثيرة من الملك عبد العزيز لتطويرها ، فقام بتوطين البدو ، وربط أطراف المملكة بالطرق البرية والجوية ، وإنشاء الاتصالات السلكية واللاسلكية ، وإنشاء الكثير من المدارس الحديثة والمعاهد والكليات ، وإرسال البعثات التعليمية للخارج ، وتأسيس جيش نظامي ، وإنشاء وزارة للدفاع ، وإدخال بعض التحسينات والتوسعات على الحرمين الشريفين .

وقد توفى الملك عبد العزيز بالطائف في ١٢ ربيع الأول ١٣٧٣هـ (الموافق ١٩٥٣م) ودفن بالرياض .

□ الملك سعود بن عبد العزيز :

هو سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، ولد بالكويت في ١٣١٩هـ (الموافق ١٩٠٢م) ، وهي السنة التي فتح فيها والده (الرياض) ، تولى

مقاليد الحكم بعد وفاة والده ، سنة ١٣٧٣هـ (الموافق ١٩٥٣م) ودام حكمه ١١عامًا من ١٣٧٣هـ إلى ١٣٨٤هـ (الموافق ١٩٦٤م) ، حيث بويع أخوه فيصل ملكًا على البلاد [1] بعد أن أقعده المرض عن القيام بأعباء الحكم وتصريف شئون البلاد ، وتوفى عام ١٣٨٨هـ .

□ الملك فيصل بن عبد العزيز :

ولد في الرياض عام ١٣٢٤هـ (الموافق إبريل ١٩٠٦م) ، وتربى في بيت جده لأمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ ، وشغل العديد من المناصب المؤثرة ، وعين واليًا للعهد ، ثم بويع ملكًا سنة ١٣٨٤هـ (الموافق ١٩٦٤م) بعد خلع الملك سعود .

وقد شهدت المملكة في عهده تطورًا كبيرًا في النواحي التعليمية والاقتصادية والاجتماعية ، ويذكر له مبادرته بقطع البترول عن الغرب في حرب ١٩٧٣م لمساندة مصر وسوريا في حربهما مع إسرائيل .

وقد أُغتيل الملك فيصل عام ١٣٩٥هـ (الموافق ١٩٧٥م) حيث أغتاله فيصل بن مساعد بن عبد العزيز بإطلاق الرصاص عليه في قصره بالرياض .

□ الملك خالد بن عبد العزيز :

ولد خالد بن عبد العزيز آل سعود في الرياض عام ١٣٣١هـ (الموافق ١٩١٣م) ، وشارك في الحياة العامة ، وعين وليًا للعهد في ١٣٨٤هـ (١٩٦٥م) ، وتولى الحكم في ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) وتوفى في (١٤٠٢هـ) الموافق ١٩٨٢م .

---

(١) تم ذلك بإجماع كبار الأسرة المالكة ومراجعة العلماء في المملكة الذين أشاروا بعزله وتولية أخيه وهذا يبين ما بلغته منزلة علماء الدعوة عند حكام آل سعود بالرجوع إليهم في العزل والتولية .

ومن أبرز جهوده مساهمته بدور بارز في وقف الحرب الأهلية في لبنان ، وشارك في إعلان قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربي .

□ الملك فهد بن عبد العزيز :

ولد الملك فهد بن عبد العزيز بمدينة الرياض عام ١٣٤٢هـ ، تلقى علومه في المملكة السعودية ، وقام برحلات خارجية للدراسة ، وتولى العديد من المناصب العامة بالمملكة ، فكان أول وزير للمعارف سنة ١٣٧٣هـ ، ووزيرًا للداخلية عام ١٣٨٢هـ ، ثم أصبح وليًا للعهد ، ثم أصبح بعد المبايعة ملكًا للبلاد ، ونظرًا لقيامه بمشاريع طموحة للتنمية فقد استقدم أعدادًا كبيرة من الأجانب ، وأقام علاقات أمنية زادت من التواجد الأجنبي في البلاد [١] ، وشهد حكمه تزايد ثروة المملكة بسبب ارتفاع أسعار النفط . ويذكر له توسعته للحرمين الشريفين [٢] ، وتلقبه بلقب خادم الحرمين الشريفين بدلًا من جلالة الملك ، والاعتناء بطبع المصحف الشريف وتوزيعه على الحجيج .

الملك عبد الله بن عبد العزيز :

وبعد وفاة الملك فهد تولى الحكم أخوه عبد الله بن عبد العزيز ، وهو من مواليد عام ١٣٤٣هـ ، وتولى العديد من المناصب العامة ، فكان رئيسًا للحرس الوطني بالمملكة ، ثم نائبًا ثانيًا لرئيس مجلس الوزراء ، ثم وليًا للعهد ، ليتولى الحكم بعد وفاة الملك فهد ، وهو ملك المملكة العربية السعودية حاليًا ، وولي عهده هو الأمير سلطان بن عبد العزيز .

---

(١) وقد شهدت فترة حكمه حرب الخليج الأولى بعد احتلال العراق للكويت ، وكانت وراء تزايد الوجود الأمريكي في المنطقة .

(٢) خاصة المسجد النبوي الذي شهد في عهده اهتمامًا كبيرًا ، إلى جانب المسجد الحرام .

من علماء الدعوة الوهابية عبر تاريخها الطويل

عرفت الدعوة الوهابية خلال تاريخها الطويل الكثير من العلماء ، جمع بعضهم في أول ظهور الدعوة بين الغزو والجهاد إلى جانب التدريس والفتيا والكتابة والتأليف ، ثم تفرغ مَنْ بعدهم لنشر الدعوة والدفاع عنها بالحجة والبيان واللسان ، لذا فقد كثرت المؤلفات العلمية لعلماء الدعوة عبر تاريخها ، كما تتابع ظهور هؤلاء العلماء جيلًا بعد جيل إلى يومنا هذا ، يحملون فكر الدعوة السلفي ، وينافحون عنه ، ويبذلون قصارى جهدهم في نشره والذب عنه .

فمع ظهور الدعوة في بدايتها كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ (من أوائل الذين كتبوا الردود ضد المؤلفات المناوئة ، فقد كتب جوابًا مفصلًا شافيًا في الرد على رسالة أخيه سليمان) ، (سمى هذا الجواب فيما بعد بـ « مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد ») ، (كما أن الرسائل الشخصية للشيخ قد تضمنت مختلف الردود وأنواع الإجابة على دعاوى المناوئين ورسائلهم) .

▪ وممن دافع عن الدعوة الشيخ أحمد بن مانع بن إبراهيم التميمي ، من بلدة أشيقر ، وهو أحد تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وله رسالة في الرد على أحد خصوم الدعوة مدافعًا عن الدعوة بالبراهين والأدلة ، وقد توفى ﷺ في الدرعية سنة ١١٨٦هـ .

▪ وكذلك الشيخ حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، الذي ولد بالدرعية ، وتعلم فيها ، وكان يؤم المصلين بجامع الدرعية ، وتولى القضاء ، وتوفى سنة ١٢٢٤هـ .

■ وكذلك الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، الذي ألف رسائل كثيرة وأجوبة نافعة دفاعًا عن الدعوة ، منها : « النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين » ، ورسالة « الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب » ، وهي تتضمن إجابة عن أسئلة علماء مكة الذين ناظرهم الشيخ حمد بن معمر سنة ١٢١١هـ لما أرسله الإمام عبد العزيز إلى مكة ليناظر علماءها ، وقد ظهر عليهم وأذعنوا لحجته ، وقد عينه الإمام سعود الكبير رئيسًا لقضاة مكة ، وقد توفى بمكة سنة ١٢٢٥هـ .

■ وكذلك الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، الذي ولد في الدرعية سنة ١١٦٥هـ ، وبرز في عدة علوم ، وله رسائل مفيدة ، منها : « جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة الزيدية » ، وهو كتاب مهم في الرد على دعاوى الشيعة ، والرد على بعض علماء الزيدية فيما اعترض به على دعوة التوحيد ، وقد توفى ؒ بمصر بعد أن نُقِلَ إليها .

■ وكذلك الشيخ عبد العزيز بن حمد ، وهو سبط الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تولى قضاء الدرعية ، وبعد سقوطها تولى القضاء في عنيزة ، وانتقل للعراق ، وتوفى بها سنة ١٢٤٠هـ ، وله رسالة في الرد على رسالة « المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية » سميت باسم : « الأجوبة السنية على الأسئلة الحفظية » .

■ والشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ولد عام ١٢٠٠هـ ، كان ذكيًا جريئًا ، وهو صاحب كتاب « تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد » ، وقد قتله إبراهيم باشا بن محمد علي باشا بعد سقوط الدرعية .

○ وقد عاصر الدولة السعودية الثانية العديد من علماء الدعوة الوهابية الذين تولوا الدفاع عنها ونشرها :

■ فمنهم : الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين ، الذي لقب بمفتي الديار النجدية ، وله كتاب « تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس » ، ولد في روضة سدير سنة ١١٩٤هـ ، وتوفي في شقراء سنة ١٢٨٢هـ [١] .

■ وكذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، وله كتاب « القول الفصل النفيس في الرد على داود بن جرجيس » ، وله رسالة باسم « المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال » ، ورد بعنوان « بيان المحجة في الرد على اللجة » .

ويعد البعض الشيخ عبد الرحمن بن حسن المجدد الثاني للدعوة الوهابية [٢] ، ولد ﷺ بالدرعية سنة ١١٩٣هـ ، ودرس على كبار علماء نجد ، وتولى القضاء ، وبعد سقوط الدرعية نُقِلَ إلى مصر ، ودرس على علمائها أيضًا ، ثم عاد إلى نجد لما طلبه تركي بن عبد الله ، وتوفي في الرياض [٣] عام ١٢٨٥هـ .

■ وكذلك الشيخ : عبد الرحمن بن محمد بن مانع ، الذي ولد في شقراء ، وطلب العلم في الرياض ، وولاه الإمام فيصل قضاء القطيف ، وله رسائل وقصائد في الانتصار للدعوة الوهابية السلفية ، وقد توفي بالأحساء سنة ١٢٨٧هـ .

■ وكذلك الشيخ : عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، الذي تعددت مؤلفاته في الرد على مفتريات خصوم الدعوة الوهابية وشبهاتهم ، وهي زاخرة بالحجج الدامغة والردود النافعة على المناوئين للدعوة ، بالإضافة إلى قصائد في ذلك .

---

(١) راجع « علماء نجد خلال ستة قرون » للبسام ط. دار اليمامة الرياض ط. الأولى ١٣٩٤هـ ، (ص : ٢٣٥) .
(٢) انظر « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٤٢) الهامش ، (ص : ٤٩) الهامش .
(٣) راجع « مشاهير علماء نجد » ، (ص : ٧٨) ، « علماء نجد » ، جـ ١/ ٥٦ .

وقد ولد ﷺ سنة ١٢٢٥هـ في الدرعية ، وتعلم بها ، وغادرها إلى مصر بعد سقوط الدرعية ، ثم عاد للرياض ، وعمل بالتدريس ، وتوفى سنة ١٢٩٣هـ .

▪ وكذلك الشيخ أحمد بن مشرف الأحسائي ، الذي ولد في الأحساء ، وتعلم بها ، وتولى القضاء فيها في آخر أيام الإمام فيصل بن تركي ، ويعد أشهر شعراء الدعوة الوهابية السلفية ، وتوفى سنة ١٢٨٥هـ[١] .

○ وقد عاصر الدولة السعودية الثالثة العديد من العلماء البارزين الذين تولوا نشر العقيدة السلفية داخل المملكة السعودية وخارجها ، وتناقلت مؤلفاتهم الركبان في مشارق الأرض ومغربها ، وتتلمذ على مؤلفاتهم وعلومهم الآلاف من طلبة العلم ، ومنهم من صار علمًا في الدعوة والتعليم مِنْ بعدهم :

▪ فمن هؤلاء : الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، ولد بشقراء سنة ١٢٥٣هـ ، طلب العلم في الرياض ، ومارس التجارة ، وله مؤلفات ، منها : شرح نونية ابن القيم ، وكتاب « الرد على المستعينين بغير الله » ، وتوفى سنة ١٣٢٩هـ .

▪ وكذلك الشيخ سليمان بن سحمان ، الذي توفى سنة ١٣٤٩هـ ، وله مؤلفات ورسائل كثيرة في الرد على العديد من خصوم الدعوة منها :

(تأييد مذهب السلف وكشف شبهات من حاد وانحرف) .

(الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية) .

(الأسنة الحداد في الرد على علوى حداد) .

(كشف غياهب الظلام عن جلاء الأوهام ، في الرد على مختار أحمد المؤيد) .

(الصواعق المرسلة الشهابية في الرد على الشبه الشامية ، في الرد على محمد عطا الكسم) .

---

(١) انظر « دعاوى المناوئين » ، (ص : ٧٩) .

(الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق) ، يعني جميل الزهاوي العراقي .

(تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين) ، في الدفاع عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ الصنعاني .

(القول المبدي لشناعة القول المجدي) ، في الرد على بابصيل المكي ، وغيرها .

وقد ولد الشيخ سليمان بن سحمان في إحدى قرى مدينة (أبها) سنة ١٢٦٦هـ ، وانتقل إلى الرياض وتعلم بها ، واشتهر بكثرة مؤلفاته وردوده ، وتوفي بالرياض سنة ١٣٤٩هـ[1] .

▪ وكذلك الشيخ ناصر بن سعود الشويمي ، الذي ولد في عام ١٢٨٥هـ ، تلقى العلم في شقراء ، والرياض ، وصنعاء باليمن ، ثم تصدر للتدريس في شقراء ، وتوفي بها عام ١٣٥٠هـ .

▪ وكذلك الشيخ محمد بن عثمان الشاوي ، الذي ولد في البكيرية سنة ١٣١٣هـ ، وتعلم بها ، وفي الرياض ، وتولى القضاء والتدريس ، وله رسالته (القول الأسد في الرد على الخصم الألد) . توفي في شقراء عام ١٣٥٤هـ .

▪ وكذلك الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، الذي ولد بالرياض سنة ١٢٨٢هـ ، تولى القضاء ، وقام بالدعوة في عسير ، وتوفي بالرياض سنة ١٣٦٧هـ .

▪ وكذلك الشيخ فوزان بن سابق السابق ، ولد في بريدة عام ١٢٧٥هـ ، وتعلم بها وبالرياض ، وتوفي عام ١٣٧٣هـ .

---

(١) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ١٠) .

▪ وكذلك الشيخ محمد بن علي بن تركي ، ولد في عنيزة عام ١٣٠١هـ ، وزار العديد من البلدان ، وتولى القضاء ، وتوفى في المدينة المنورة عام ١٣٨٠هـ .

▪ وكذلك الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف ، وهو حفيد الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، ولد بالرياض عام ١٣١٥هـ ، وتعلم بها ، وتولى التدريس ، وتولى إدارة المعاهد العلمية ، وتوفى بالرياض عام ١٣٨٦هـ .

▪ وكذلك الشيخ عبد الله بن سليمان البليهد ، الذي ولد في القصيم سنة ١٢٨٤هـ ، وتنقل في طلب العلم في عدة بلدان ، وتولى القضاء في أكثر من بلد من بلاد المملكة ، وتقلد منصب رئيس القضاء في مكة ، وله مؤلفات عديدة وتلاميذ كثيرة ، وقد توفى رحمه الله في الطائف سنة ١٣٥٩هـ .

الشيخ محمد بن إبراهيم :

هو أبو عبد العزيز محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب .

ولد في الرياض في ١٧ محرم ١٣١١هـ .

نشأ في رعاية والده ، وأتم حفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة ، وفقد بصره وهو في السادسة عشرة من عمره ، فلم يثنه ذلك عن طلب العلم ، عمل بالتدريس ، ورأس دار الإفتاء بالمملكة ، وتولى رئاسة القضاء فيها ، كما تولى رئاسة كل من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والمعهد العالي للقضاء فيها ، كما تولى رئاسة كل من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والمعهد العالي للقضاء ، ورئاسة تعليم البنات ، ومجلس القضاء العالي ، والمجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي ،

بالإضافة إلى تولى الخطابة والتدريس بالجامع الكبير توفي في ١٣٨٩/٩/٢٤هـ بالرياض .

من أشهر تلاميذه :

- الشيخ عبد العزيز بن باز .
- الشيخ عبد الله بن حميد .
- الشيخ صالح بن محمد اللحيدان .
- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين .

الشيخ عبد العزيز بن باز :

هو أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز .

ولد بالرياض في ١٢ ذي الحجة عام ١٣٣٠هـ .

حفظ القرآن الكريم قبل البلوغ ، ونشط في طلب العلم ، وفقد بصره نتيجة مرض أصاب عينه ، فلم يمنعه ذلك من الاستمرار في طلب العلم ، حيث تلقى العلم على كثير من علماء الرياض .

تولى قضاء منطقة الخرج مدة أربعة عشر عامًا ، وقام بالتدريس في المعهد العلمي في الرياض ، وكلية الشريعة فيها ، ثم عين نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ثم رئيسًا لها ، ثم عين رئيسًا عامًا لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برتبة وزير ، إلى جانب أنه عمل في هيئة كبار العلماء ، والهيئة العليا للدعوة الإسلامية ، والمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، والمجلس الأعلى العالمي للمساجد بمكة المكرمة ، ورأس المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي . وتتلمذ عليه العديد من علماء الدعوة وطلاب العلم بالمملكة وخارجها .

ومن مؤلفاته :

- الفوائد الجلية في المباحث الفرضية .
- التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة .
- التحذير من البدع .
- العقيدة الصحيحة وما يضادها .
- وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه .
- نقد القومية العربية .
- حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار .
- رسالة في خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله .
- حاشية على فتح الباري .
- الجواب المفيد في حكم التصوير .
- رسالة في حكم السحر والكهانة .
- رسالة في التحذير من السفر إلى بلاد الكفرة وخطره على العقيدة والأخلاق .
- رسالة في التنبيه على منشورات منكرات في عقوبة تارك الصلاة .

وغير ذلك كثير .

الشيخ عبد الرحمن السعدي :

هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي الناصري التميمي .

ولد في مدينة عنيزة في ١٢ محرم ١٣٠٧هـ .

نشأ يتيمًا ، توفيت أمه وله أربع سنين ، وتوفي والده وهو في الثامنة ، حفظ القرآن وهو في الرابعة عشرة من عمره ، واتجه لطلب العلم .

جلس للتدريس ، واكتسب شهرة واسعة ، وقصده طلاب العلم من كل مكان ، ومن تلاميذه : الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، والشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان والشيخ علي بن محمد الزامل وغيرهم ، أسس المكتبة الوطنية بعنيزة عام ١٣٥٩هـ ، وتوفي يوم ٢٣/ ٦/ ١٣٧٦هـ بعنيزة .

ومن أشهر مؤلفاته :

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .
- توضيح الكافية الشافية .
- القواعد الحسان لتفسير القرآن .
- القول السديد في مقاصد التوحيد .
- الخطب العصرية .
- الفتاوى السعدية .
- المختارات الجلية .
- إرشاد أولي الأبصار والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب على طريق السؤال والجواب .
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار . وغيرها كثير .

الشيخ عبد الله بن حُمَيْد :

هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن حميد من بني خالد .

ولد بالرياض في ذي الحجة عام ١٣٢٩هـ .

نشأ نشأة صالحة ، فحفظ القرآن الكريم في صغره ، وفقد بصره في طفولته ، فلم يمنعه ذلك من طلب العلم . تولى مناصب علمية عديدة ، فعمل في القضاء في

الرياض وسدير وبُريدة ، ودرس بالمسجد الحرام ، وعين رئيسًا للمجلس الفقهي برابطة العالم الإسلامي .

توفي في ٢٠ ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ ، ودفن بمكة المكرمة .

ومن أشهر مؤلفاته :

- الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته .
- الرسائل الحسان في نصائح الإخوان .
- هداية الناسك إلى أهم المناسك .
- كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر .
- الإبداع في شرح خطبة حجة الوداع .
- تبيان الأدلة في إثبات الأهلة .

الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

هو الشيخ محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان وجده عثمان كان يطلق عليه عثيمين ، فاشتهرت الأسرة بالنسبة إليه بهذا الإطلاق ، وأسرته من الوهَبة من بني تميم [1] . ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٤٧هـ ، في مدينة عُنيزة ، بالقصيم .

نشأ نشأة طيبة ، تعلم القراءة والكتابة في الكُتّاب ، وتعلم القرآن على جده لأمه ، وتتلمذ على الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله ، درس بالمعهد العلمي بالرياض [2] ، وقام بالتدريس بعد تخرجه في معهد عنيزة العلمي عام ١٣٧٤هـ ، وأنهى دراسته في كلية الشريعة بالرياض منتسبًا ، وقام بالتدريس

---

(١) انظر كتاب (علماء نجد خلال ستة قرون) للشيخ عبد الله البسام ، ج (٢/ ٤٢٢) .

(٢) وكان من شيوخه بالمعهد : الشيخ ابن باز ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمهما الله ، فهو من تلاميذهما .

بكلية الشريعة بالقصيم . وتولى الإمامة والخطابة والتدريس بالجامع الكبير بعنيزة بعد وفاة شيخه ابن سعدي رحمه الله منذ عام ١٣٧٦هـ وحتى وفاته .

جهوده في التعليم والدعوة :

قام بالتدريس في معهد عُنَيْزَة العلمي ، ثم كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم ، وتولى التدريس والخطابة بالجامع الكبير في عنيزة ، كما قام بالتدريس في المسجد الحرام والمسجد النبوي ، وألقى العديد من المحاضرات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وشارك في العديد من المؤتمرات داخل المملكة السعودية ، كما شارك في توعية الحجاج في مواسم الحج ، وله الكثير من الفتاوى المشهورة ، وكانت له برامج دينية ثابتة في إذاعة المملكة السعودية منها : برنامج (نور على الدرب) ، وبرنامج (سؤال على الهاتف) ، وبرنامج (من أحكام القرآن الكريم) .

مؤلفاته :

وللشيخ مؤلفات كثيرة منها ما حررها بنفسه ومنها :

- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى .
- عقيدة أهل السنة والجماعة .
- رسالة في الدماء الطبيعية .
- شرح لمعة الاعتقاد .
- شرح الواسطية .
- أحكام الأضحية والزكاة .
- رسالة في مواقيت الصلاة .
- فتح رب البرية بتلخيص الحموية .

ومن مؤلفاته ما أخذ من تسجيلات دروسه وطُبِعَ ، ومنها :

ـ الشرح الممتع على زاد المستقنع .

بالإضافة إلى رسائل عديدة في أصول الفقه والمصطلح والعقيدة قُرِرَت في المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وقد توفي رحمه الله مساء يوم الأربعاء ١٥ شوال عام ١٤٢١هـ ، عن عمر يناهز ٧٤سنة هجرية ، ودفن في مقبرة العدل بمكة [(١)] .

الشيخ حافظ بن أحمد علي الحكمي :

من أعلام منطقة الجنوب (تهامة) ، ولد في رمضان سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) ، بقرية (السلام) التابعة لمدينة (المضايا) ، في جنوب شرق مدينة جازان ، والحكمي ، نسبة إلى (الحكم بن سعد العشيرة) بطن من مذحج من كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

عمل في صغره في رعي غنم والده ، حفظ القرآن صغيرًا ، وتتلمذ على يد الشيخ عبد الله بن محمد بن حمد القرعاوي ، وامتاز بالذكاء وسرعة الفهم وقوة الحفظ ، وحسن الخط ، والقدرة على نظم الشعر ، ولنبوغه بدأ في التأليف في سن العشرين ، فنظم منظومته (سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد) سنة ١٣٦٢هـ ، وقام بشرحها في كتابه (معارج القبول) ، وعين مديرًا لمدرسة (سامطة) السلفية سنة ١٣٦٣هـ ، وعمل بالتدريس ، ثم عين مديرًا للمدرسة الثانوية بجازان ، فمديرًا للمعهد العلمي بمدينة (سامطة) عام ١٣٧٤هـ ، وتوفي بمكة ، ودفن بها ، بعد أداء مناسك الحج في ذي الحجة سنة ١٣٧٧هـ

---

(١) راجع في ذلك رسالة « الشيخ محمد بن عثيمين من العلماء الربانيين » لعبد المحسن بن حمد العباد البدر ، ط. دار الإمام أحمد القاهرة ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م .

(١٩٥٨م) ، إثر مرض ألم به ، وكان عمره آنذاك خمسًا وثلاثين سنة ، ورغم وفاته صغيرًا فقد ترك العديد من المؤلفات العلمية في العديد من فروع العلم الشرعي ومنها :

- (معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد) وهو شرح لأرجوزته (سلم الوصول) ، أتمه سنة ١٣٦٦هـ في مجلدين كبيرين ، وهو أهم كتبه ، ويشهد له بقيمته العلمية على ما وصل إليه نبوغه وتقدمه في العلم الشرعي مع كونه ألفه صغيرًا في أوائل العشرينات من عمره .

- (أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) ، ألفه على طريقة السؤال والجواب .

- منظومة (الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة) .

- (دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الاصطلاح) في علم الحديث .

- (اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون) منظومة طويلة في الفقه .

- (وسيلة الوصول إلى مهمات الأصول) منظومة في أصول الفقه .

- (النور الفائض من شمس ا لوحي في علم الفرائض) رسالة في علم الفرائض .

- (نيل السول من تاريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ) منظومة في السيرة والتاريخ .

إلى غير ذلك من الرسائل والمنظومات الشعرية المفيدة .

•• والحقيقة أن مؤلفات وجهود هؤلاء العلماء عبر قرون الدعوة الوهابية الثلاثة (تعد تراثًا هائلًا ، تحتاج إلى الإطلاع عليها والانتفاع بها ، لما تحتويه من الحجج والبراهين ، والرد على شبهات المخالفين ، ولدلالتها على سعة علم وفهم

علماء الدعوة الوهابية) .

وقد يقال : « إن هذه الكتب التي ألفها بعض أئمة الدعوة في الرد على المخالفين إنما هي مجرد كتب مؤقتة بأحداث انقضت وأزمان مضت ، فليست سوى ردود على أشخاص معينين ، قد أفضوا إلى ما قدموا ، فلا حاجة إليها الآن في هذا العصر » .

فنقول جوابًا على ذلك : « إن هؤلاء حين ألفوا تلك الكتب وأجابوا عن اعتراضات الخصوم ، لمن يكن قصدهم من ذلك إلا الرد على ما تعلق به الخصوم من مفتريات وشبهات أثاروها ضد الدعوة السلفية ، فهذه الردود التي ألفها أئمة الدعوة السلفية وأنصارها هي مؤلفات مناسبة وملائمة للرد على تلك الشبهات والاعتراضات ، وإن اختلف الزمان أو المكان، مادام أن فكرة الشبهة والاعتراض ومضمونها لا يختلف » [1] .

إن دعاوى الخصوم واعتراضاتهم ضد دعوة الشيخ الإمام في زمنه يتلقفها مَنْ بعدهم ، ثم الذين يلونهم ، وهكذا إلى زمننا هذا ، فهذه الدعاوى المثارة ضد الدعوة السلفية الآن لا تتجاوز غالبًا ما أثاره أسلافهم زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ ، كما أن أولئك الأسلاف تلقفوا كثيرًا من شبهاتهم عن أسلافهم السابقين ممن ناهض دعوة السلف الصالح وعادى مجدديها مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى ، ومَنْ قبلهم من أئمة السلف ، فإن جذور هذا الصراع قديمة ممتدة عبر قرون عديدة [2] .

---

(١) « دعاوى المناوئين » ، (ص : ١٠) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ١١) .

العلاقة بين علماء الدعوة الوهابية وحكام آل سعود

منذ أن تم اتفاق الدرعية بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود صارت الدرعية قاعدة لدعوة الشيخ ، وصارت للدعوة دولة تحميها ، وبموجب ذلك صارت السلطة في تلك الدولة موزعة بين الاثنين ، فالسلطة الدينية للشيخ ، والسلطة السياسية للأمير ، ولم يكن هناك أي انفصال بين السلطتين ، فابن سعود معتنق لدعوة الشيخ ، مؤمن بها ، مطبق لمبادئها ، والشيخ يشارك الأمير في أعمال القتال والحروب ، ولا غرابة في ذلك ، فالإسلام دين ودولة ، ولما استتبت الأمور لآل سعود ، ودانت لهم نجد والرياض ، وصارت لدولتهم شوكة ، تخلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن العمل السياسي ، وتفرغ لأعباء دعوته الدينية ، من تدريس وتعليم وتربية ، وتأليف ورد ومناظرة ، وإن لم يخلُ الأمر عن النصح والإرشاد منه لآل سعود ، واستشارة آل سعود له ، لعلمه وخبرته ، وظل الأمر على ذلك حتى وفاة الشيخ رحمه الله .

وتوالت الأحداث وجدَّتْ في الأمور أمور ، وشهدت العلاقة بين هاتين السلطتين السياسية والدينية تقلبات ، ودخلت العلاقة بين أحفاد الشيخ وتلاميذه وأتباعه وبين حكام آل سعود مراحل متغيرة ، ولكنها في الجملة لم تخرج أبدًا عن التحالف القائم بينهما .

ففي أوقات يكون التكافؤ بين السلطتين قائمًا ، والترابط قويًا ، فيتحرك كل منهما مع الآخر وبه .

وقد مرت أوقات زالت فيها السلطة السياسية بإسقاط دولة آل سعود

الأولى على يد جيوش محمد على باشا ، ثم إسقاط دولة آل سعود الثانية ، وتولي آل رشيد الحكم ، ولكن بقيت للدعوة الدينية تأثيرها [١] في نفوس معتنقيها ومؤيديها ، فلم يتخلوا عنها بسقوط دولتها وزوال نفوذ حكامها السياسي .

وفي أوقات كانت للسلطة السياسية علو تتصرف به في أمورها بنظرة تنبع من الرغبة في تقوية أركان ا لدولة ، أو الحفاظ عليها في ظل ظروف متبانية تتعرض لها ، أو أحداث صعبة تمر عليها ، وشخصيات تختلف في قوتها وضعفها من حكام آل سعود ، وبالتالي تتفاوت المواقف والتوجهات ، ولكن بقى التحالف بين مشايخ الدعوة وحكام آل سعود قائمًا باقيًا ، والمساندة بين الفريقين لا تنقطع .

فحكام آل سعود يُجِلُّون علماء الدعوة ويقدرونهم ، وييسرون لهم سبل التعليم والتدريس والتربية والتوجيه ، وتُبْنَى لهم المعاهد والكليات العلمية ، وتُوَفَر لهم الإمكانيات المادية ، وتُوضَعُ هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق إشرافهم ، وتستفتيهم فيما يحتاجون من فتاوى ، ومشايخ الدعوة يقومون بواجباتهم العلمية ، من التعليم والتدريس والإرشاد والتوجيه ، كما يقومون بالنصح للحكام ، وهم في ذلك النصح منضبطون بضوابط العلاقة بين العلماء والحكام عند أهل السنة والجماعة ، فيأمرون بطاعة أولى الأمر في الخير ، ويقدمون النصح والإرشاد في غير ذلك ، مع عدم خلع اليد من طاعة أولى الأمر ، وإن جاروا ، ومنع الخروج عليهم مادام لم يظهر منهم الكفر البواح ، حفاظًا على أمن الأمة ونظامها ، وحفظًا لدماء المسلمين وحرماتهم .

---

(١) أي : من خلال علمائها ودعاتها .

ما وصلت إليه دولة آل سعود في ظل الدعوة الوهابية

ومهما يمكن أن يقال عن حالة السلطة السياسية ، وعن مدى قوة الترابط بينها وبين السلطة الدينية في المملكة العربية السعودية فإن المملكة تنعم بما لا تنعم به الكثير من الدول الإسلامية الأخرى ، وهذه حقيقة لا تقبل الإنكار من أي منصف .

فالمملكة السعودية دولة قائمة على التوحيد ، خالية من مظاهر الشرك ، لا يعبد فيها إلا الله تعالى ، وتربى أجيالها على العقيدة الإسلامية الصحيحة وفق معتقد أهل السنة والجماعة .

وهي في مقدمة الدول الإسلامية التي ترعى أحوال المسلمين وتناصر الكثير من قضاياهم وتقدم الدعم المالي والمعنوي للكثير من الشعوب الإسلامية المحتاجة لهذا الدعم .

وقد شهد الحرَمان (المكي والمدني) في عهد دولة آل سعود الثالثة الحالية درجة عالية من التوسع والتشييد للتيسير على الحجيج والمعتمرين ، فصار الحرمان في أفضل حال وصورة .

(إن العالم الإسلامي كله معطلة فيه شريعة الله التي هي وحيه وهداه ، وهذا التعطيل بنسب متفاوتة ، حتى أن بعض البلاد لا تطبق فيها أحكام الشريعة الإسلامية إلا بنسبة عشرة من مائة ، وأعلى نسبة قد لا تزيد عن ثلاثين من مائة)[1] ،

---

(١) راجع « من المسئول عن ضياع الإسلام » تأليف : أبي بكر الجزائري ط. مكتبة الكليات الأزهرية ـ ط الأولى ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م ، (ص : ٢١) .

(والمملكة العربية السعودية وحدها التي تُطَبَّقُ فيها شريعة الإسلام بأعلى نسبة قد تزيد على خمس وتسعين من مائة ، ولهذا صح أن نقول : إنها البلاد الوحيدة التي يطبق فيها شرع الله في بلاد المسلمين اليوم) [١] .

فيكفيها لتكون في مقدمة الدول الإسلامية ، ويقر لها المسلمون بذلك ، إنها تحمي حَرَمَيهم ، (وتمثل إسلامهم ولو تمثيلًا غير كامل) [٢] .

وقد نال المملكة من تحكيمها للشريعة الخير الكثير ، في مقدمته الأمن الذي يسودها ، ويسر العيش فيها [٣] بفضل الله تعالى .

---

(١) المصدر السابق ، (ص : ٢١) .

(٢) المصدر السابق ، (ص : ٢٢) .

(٣) المصدر السابق ، (ص : ٢٢) .

منهج علماء الدعوة الوهابية
في التعامل مع حكام آل سعود

وحكام آل سعود بشر كغيرهم من الحكام ، وأحوال الأمة الإسلامية شرقًا وغربًا في أسوأ حال ، وفي ظل غياب الوحدة الإسلامية بين الدول الإسلامية فلن تستطيع دولة واحدة بمفردها أن تطبق الإسلام تطبيقًا كاملًا ، خاصة والمؤامرات تدبر ضد المسلمين ليل نهار ، ولكن يُشْكَر لحكام آل سعود محافظتهم على التوحيد فلا مظاهر للشرك تقام ، ويُشْكَر لهم ما تتمتع به المملكة من الأمن والأمان والاستقرار ، في ظل تطبيق الحدود الشرعية والحفاظ على وحدة المملكة أمام ما تواجهه من تحديات .

وهذه أمور لا يعرف قدرها إلا من عاش ما قبل حكم آل سعود من مظاهر الشرك الشائعة في كل مكان ، وما كانت عليه أحوال البلاد من السلب والاقتتال وفقد الأمن والأمان ، وهي أمور عانى منها أهل نجد ـ معقل الدعوة الوهابية ـ قبل حكم آل سعود ، وزالت من عندهم ـ وعند غيرهم ـ في ظل مبادئ الدعوة الوهابية وتأييد حكام آل سعود لها .

ولهذا فإن علماء الدعوة الوهابية قديمًا وحديثًا يتمسكون بهدي السلف الصالح في التعامل مع حكام آل سعود ، من تجميع الصفوف خلفهم ، وطاعتهم في طاعة الله ، ونصحهم فيما قد يخالفون فيه أمر الله تعالى أو أمر رسوله ﷺ ، ويتأدبون في هذا النصح بأدب السلف الصالح وهدي أهل السنة والجماعة ، وهذا هو المذهب الحق في معاملة الحكام ما لم يظهر منهم الكفر البواح كما هو معلوم عند أهل العلم .

يقول الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين [١] : « فالله الله في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان ، وأن لا يتخذ من أخطاء السلطان سبيلًا لإثارة الناس ، وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور ، فهذا عين المفسدة ، وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس ، كما أن ملء القلوب على ولاة الأمور يحدث الشر والفتنة والفوضى ، وكذا ملء القلوب على العلماء يحدث التقليل من شأن العلماء ، وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها ، فإذا حاول أحد أن يقلل من هيبة العلماء وهيبة ولاة الأمر ضاع الشرع والأمن .

لأن الناس إن تكلم العلماء لم يثقوا بكلامهم ، وإن تكلم الأمراء تمردوا على كلامهم ، فحصل الشر والفساد ، فالواجب أن ننظر ماذا سلك السلف تجاه ذوي السلطان ، وأن يضبط الإنسان نفسه ، وأن يعرف العواقب ، وليعلم أن من يثور إنما يخدم أعداء الإسلام ، فليست العبرة بالثورة ولا بالانفعال ، بل العبرة بالحكمة .. » اهـ .

والسمع والطاعة لولاة الأمور من المسلمين في غير معصية مجمع على وجوبه عند أهل السنة والجماعة ، وهو أصل من أصولهم التي باينوا بها أهل البدع والأهواء ، ولا تجد كتابًا مؤلفًا في عقيدة أهل السنة والجماعة إلا وفيه النص على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين ، وإن جاروا وظلموا .

يقول الحسن البصري رحمه الله في ذلك [٢] : « هؤلاء ـ يعني الأمراء ـ وإن رقصت بهم الهماليج [٣] ، ووطئ الناس أعقابهم ، فإن ذل المعصية في قلوبهم ، إلا

---

(١) « معاملة الحكام » لابن برجس ، (ص : ٤٤) ، نقلًا عن الشيخ ابن عثيمين في رسالة « حقوق الراعي والرعية » ، من مجموع خطب للشيخ ابن عثيمين رحمه الله .

(٢) « معاملة الحكام » ، (ص : ١١١) ، نقلًا عن الحسن رحمه الله من كتاب « آداب الحسن البصري » لابن الجوزي ، (ص : ١٢١) .

(٣) الهماليج : فارسي معرب ، نوع من الدواب .

أن الحق ألزمنا طاعتهم ، ومنعنا من الخروج عليهم ، وأمرنا أن نستدفع بالتوبة والدعاء مضرتهم ، فمن أراد به خيرًا لزم ذلك ، وعمل به ، ولم يخالفه » .

منهجهم في نصح حكام آل سعود :

أما نصح ولاة الأمور ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، فله ضوابطه الشرعية عند أهل السنة والجماعة وسلف الأمة ، وأهمها : أن يناصح ولاة الأمر سرًا فيما تكون المصلحة الشرعية فيه أن ينصح به سرًا ، وجهرًا فيما تكون المصلحة الشرعية فيه أن يكون جهرًا ، لئلا يُألِب العامة ويثير الرعاع ، ويشعل الفتن ، فينتج عن ذلك مالا يحمد عقباه ، وإلى جانب ذلك يقومون بإنكار المنكرات عمومًا أمام الناس دون تخصيص فاعل ، كالتحذير من الظلم عمومًا ، ومن الربا عمومًا ، ونحو ذلك ، مع الأمر بالصبر على ما يصدر من الولاة من الاستئثار بأمور أو ظلم للعباد .

■ وفي ذلك يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله [١] :

« ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة ، وذكر ذلك على المنابر ، لأن ذلك يفضي إلى الفوضى ، وعدم السمع والطاعة في المعروف ، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع ، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف : النصيحة فيما بينهم وبين السلطان ، والكتابة إليه ، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يُوجهَ إلى الخير .

وإنكار المنكر [٢] يكون مِنْ دون ذكر الفاعل ، فينكر الزنى ، وينكر الخمر ،

---

(١) « معاملة الحكام » ، (ص : ١٣٨-١٣٩) ، نقلًا عن الشيخ ابن باز من فتوى له مطبوعة في آخر رسالة « حقوق الراعي والرعية » ، (ص : ٢٧-٢٨) .

(٢) يعني على الحكام أو الرعية .

وينكر الربا دون ذكر مَنْ فعله ، ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير ذكر أن فلانًا يفعلها ، لا حاكم ولا غير حاكم .

ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان ﷺ قال بعض الناس لأسامة بن زيد ﷺ : ألا تنكر على عثمان ؟ قال ـ أي أسامة ـ : أُنكر عليه عند الناس ؟! لكن أنكر عليه بيني وبينه ، ولا أفتح باب شر على الناس ، ولما فتحوا الشر في زمن عثمان ﷺ وأنكروا على عثمان جهرة تمت الفتنة والفساد ، الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم ، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية وقتل عثمان وعلي بأسباب ذلك ، وقتل جم كبير من الصحابة وغيرهم ، بأسباب الإنكار العلني ، وذكر العيوب علنًا ، حتى أبغض الناس ولي أمرهم ، وحتى قتلوه نسأل الله العافية » اهـ .

ويقول أيضًا الشيخ صالح بن عثيمين ﷺ في ذلك :

« فإن مخالفة السلطان فيما ليس من ضروريات الدين علنًا وإنكار ذلك عليه في المحافل والمساجد والصحف ومواضع الوعظ وغير ذلك ليس من باب النصيحة في شيء ، فلا تغتر بمن يفعل ذلك ، وإن كان عن حسن نية ، فإنه خلاف ما عليه السلف الصالح المقتدى بهم »[1] اهـ .

---

(١) « معاملة الحكام » ، (ص : ١٥٦) ، نقلًا عن الشيخ ابن عثيمين ﷺ في كتابه « مقاصد الإسلام » ، (ص : ٣٩٣) .

المصادر والمراجع

ـ (البداية والنهاية) : ابن كثير .

ـ (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) : أحمد بن حجر آل بوطامي .

ـ (دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : تاريخها ـ مبادؤها ، أثرها) : محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان .

ـ (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب) : عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن عبد الله آل الشيخ .

ـ (الشيخ محمد بن عبد الوهاب : حياته وفكره) : عبد الله بن صالح العثيمين .

ـ (دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : عرض ونقد) : عبد العزيز محمد بن علي العبد اللطيف .

ـ (الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب) : محمود مهدي الإستانبولي .

ـ (انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية) : محمد كمال جمعة .

ـ (دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب) : محمد بن منظور النعماني .

ـ (حقيقة المذهب الوهابي) : سليمان الدخيل .

ـ (محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه) : مسعود الندوي .

ـ (أثر الدعوة الوهابية) : محمد حامد الفقي .

ـ (حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) : عبد الرحمن عبد الخالق .

ـ (الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة) (رسالة ماجستير) : محمد بن عبد الله السكاكر .
ـ (الوهابية وزعيمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب) : الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ .
ـ (محمد بن عبد الوهاب والدعوة الوهابية) : كمال السيد درويش .
ـ (عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) : د . صالح العبود .
ـ (الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية) : سليمان بن سحمان .
ـ (الأسنة الحداد في رد شبهات علوي حداد) : سليمان بن سحمان .
ـ (الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية) : سليمان بن سحمان .
ـ (كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام) : سليمان بن سحمان .
ـ (تأييد مذهب السلف وكشف شبهات من حاد وانحرف) : سليمان بن سحمان .
ـ (تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين) : سليمان بن سحمان .
ـ (البيان المبدي لشناعة القول المجدي) : سليمان بن سحمان .
ـ (القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس) : عبد الرحمن ابن حسن آل الشيخ .
ـ (مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام) : عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .
ـ (منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس) : عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .

ـ (خطاب ابن بلهيد أثناء اجتماع علماء مكة ونجد) : عبد الله بن سليمان بن بلهيد .

ـ (الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين) : عبد الله ابن عبد الرحمن أبو بطين .

ـ (تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس) : عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين .

ـ (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) : محمد بشير السهسواني .

ـ (غاية الأماني في الرد على النبهاني) : محمود شاكر الآلوسي .

ـ (فتح المنان تتمة منهج التأسيس) : محمود شاكر الآلوسي .

ـ (من مشاهير المجددين : شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب) : د . صالح بن فوزان .

ـ (مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب) في اثني عشر مجلدًا .

ـ (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم في اثنى عشر جزءًا .

ـ (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد) : سليمان بن عبد الله آل الشيخ .

ـ (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .

ـ (القول السديد في مقاصد التوحيد) : عبد الرحمن بن ناصر السعدي .

ـ (الحركة الوهابية) : محمد خليل هراس .

ـ (آل سعود والشام في عهد الدولة السعودية الأولى على ضوء الوثائق التركية) : د . أحمد فؤاد متولي .

ـ (السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة) : محمد رشيد رضا .
ـ (الوهابيون والحجاز) : محمد رشيد رضا .
ـ (الوهابيون الأوائل) : عبد الباري عبد الباقي .
ـ (آل سعود في التاريخ) : فريد مصطفى أبو عز الدين .
ـ (البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع) : محمد بن علي الشوكاني .
ـ (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة) : الندوة العالمية للشباب الإسلامي .
ـ (محمد بن عبد الوهاب) : عبد الكريم الخطيب .
ـ (محمد بن عبد الوهاب) : علي الطنطاوي .
ـ (محمد بن عبد الوهاب) : عبد المتعال الصعيدي .
ـ (زعماء الإصلاح الإسلامي) : أحمد أمين .
ـ (مشاهداتي في جزيرة العرب) : أحمد حسين .
ـ (الحياة الأدبية في جزيرة العرب) : طه حسين .
ـ (أعلام وأقزام في ميزان الإسلام) : د . سيد بن حسين العفاني .
ـ (عصر محمد علي) : عبد الرحمن الرافعي .
ـ (تاريخ الجبرتي) ، (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) .
ـ (سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب) : أمين سعيد .
ـ (تاريخ الدولة السعودية) : أمين سعيد .
ـ (علماء نجد خلال ستة قرون) : عبد الله البسام .
ـ (تاريخ نجد) المسمى : روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات أهل الإسلام : حسين بن أبي بكر بن غنام .

ـ (صقر الجزيرة) : أحمد عبد الغفور العطار .
ـ (مشاهير علماء نجد وغيرهم) : عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ .
ـ (عنوان المجد في تاريخ نجد) : عثمان بن عبد الله بن بشر .
ـ (الأعلام) : خير الدين الزركلي .
ـ (تاريخ نجد) : محمود شكري الآلوسي .
ـ (تاريخ المملكة العربية السعودية) : عبد الله بن صالح العثيمين .
ـ (جزيرة العرب) : حافظ وهبة .
ـ (الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط) : د . محمد على الصلابي .
ـ (تاريخ جودت) : للمؤرخ التركي أحمد جودت باشا تعريب عبد القادر أفندي الدنا .
ـ (تاريخ الدولة العلية العثمانية) : محمد فريد بك .
ـ (قراءة جديدة في التاريخ العثماني) : د . زكريا سليمان بيومي .
ـ (دائرة معارف القرن العشرين) : محمد فريد وجدي .
ـ (الدولة العثمانية) : د . جمال عبد الهادي .
ـ (حاضر العالم الإسلامي) : محمد عبد الله ماضي .
ـ (تاريخ التعليم في عصر محمد علي) : أحمد عزت عبد الكريم .
ـ (صدر من التاريخ الإسلامي) : الكتاب المقرر على الشهادة الابتدائية للبنات المملكة العربية السعودية .
ـ (جذور العلمانية) : د . أحمد فرج .
ـ (الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا) د . علي محمد علي الصلابي .

ـ (السعوديون والحل الإسلامي) : محمد جلال كشك .
ـ (الدولة السعودية فجر التكوين وآفاق الإسلام) : أحمد رائف .
ـ (الدولة العثمانية : أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ) : جمال عبد الهادي .
ـ (تاريخ الأحساء السياسي) : د . محمد عرابي نخلة .
ـ (من المسئول عن ضياع الإسلام) : أبو بكر الجزائري .
ـ (النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد) صالح بن عبد الله العصيمي .
ـ (الدر النضيد في تخريج أحاديث كتاب التوحيد) : صالح بن عبد الله العصيمي .
ـ (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة) : ابن تيمية .
ـ (التوسل) : الألباني .
ـ (التوصل إلى حقيقة التوسل) : محمد نسيب الرفاعي .
ـ (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) : ابن تيمية .
ـ (الحوادث والبدع) : أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل .
ـ (الصحيح المسند من دلائل النبوة) : أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي .
ـ (الشفاعة) : مقبل بن هادي الوادعي .
ـ (الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير في ضوء الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة) : خالد بن علي بن محمد العنبري .
ـ (العلاقة بين الحاكم والمحكوم في منظور السلف الصالح رضي الله عنهم) : د . عبد الله ابن رشيد الحوشاني .
ـ (فتنة التكفير وفتاوى حول التكفير والحكم بغير ما أنزل الله) جمع : علي بن حسين أبو لوز .

ـ (علماؤنا) : فهد البدراني وفهد البراك .
ـ (فتنة التكفير والحاكمية) : محمد عبد الله الحسين .
ـ (المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم) : أبو عبد الله بن إبراهيم آل بليطيح .
ـ (معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة) : عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم .
ـ (رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م) : فورستر سادلير ترجمة أنس الرفاعي .
ـ (الأصولية في العالم العربي) : ريتشارد هرير دكميجيان ترجمة عبد الوارث سعيد .
ـ (تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد) : محمد أبو زهرة .
ـ (الفكر الإسلامي في تطوره) : محمد البهي .
ـ (حاشية رد المحتار على الدر المختار) (حاشية ابن عابدين) : محمد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين .
ـ (حكم التوسل بالأنبياء) : محمد حسنين مخلوف .
ـ (الرد على كتاب حكم التوسل بالأنبياء والأولياء) : محمد خليل هراس .
ـ (الدرر السنية في الرد على الوهابية) : أحمد بن زيني دحلان .
ـ (الصواعق

ـ (شواهد ا-
ـ (النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية) : عبد القادر الإسكندراني .
ـ (النفخة على النفحة) : ناصر الدين الحجازي .

- (هذه هي الوهابية) : محمد جواد مغنية الشيعي .
- شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام (سلسلة أعلام العرب) : أحمد الشرباصي .
- شكيب أرسلان من رواد الوحدة العربية : أحمد الشرباصي .
- (الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي) : مكتبة علاء الدين - الإسكندرية ط . سنة ٢٠٠٠م الجزء الثاني .

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

من إصداراتنا ..

حرمة أهل العلم

تأليف

د. محمد إسماعيل المقدم

عفا الله عنه

توزيع

دار الخلفاء الراشدين
الأسكندرية

دار الفتح الإسلامي
بمصطفى كامل

من إصداراتنا ..

دفع الصائل
على مشروعية الحجاب الكامل

إعداد

د. محمد إسماعيل المقدم

عفا الله عنه

توزيع

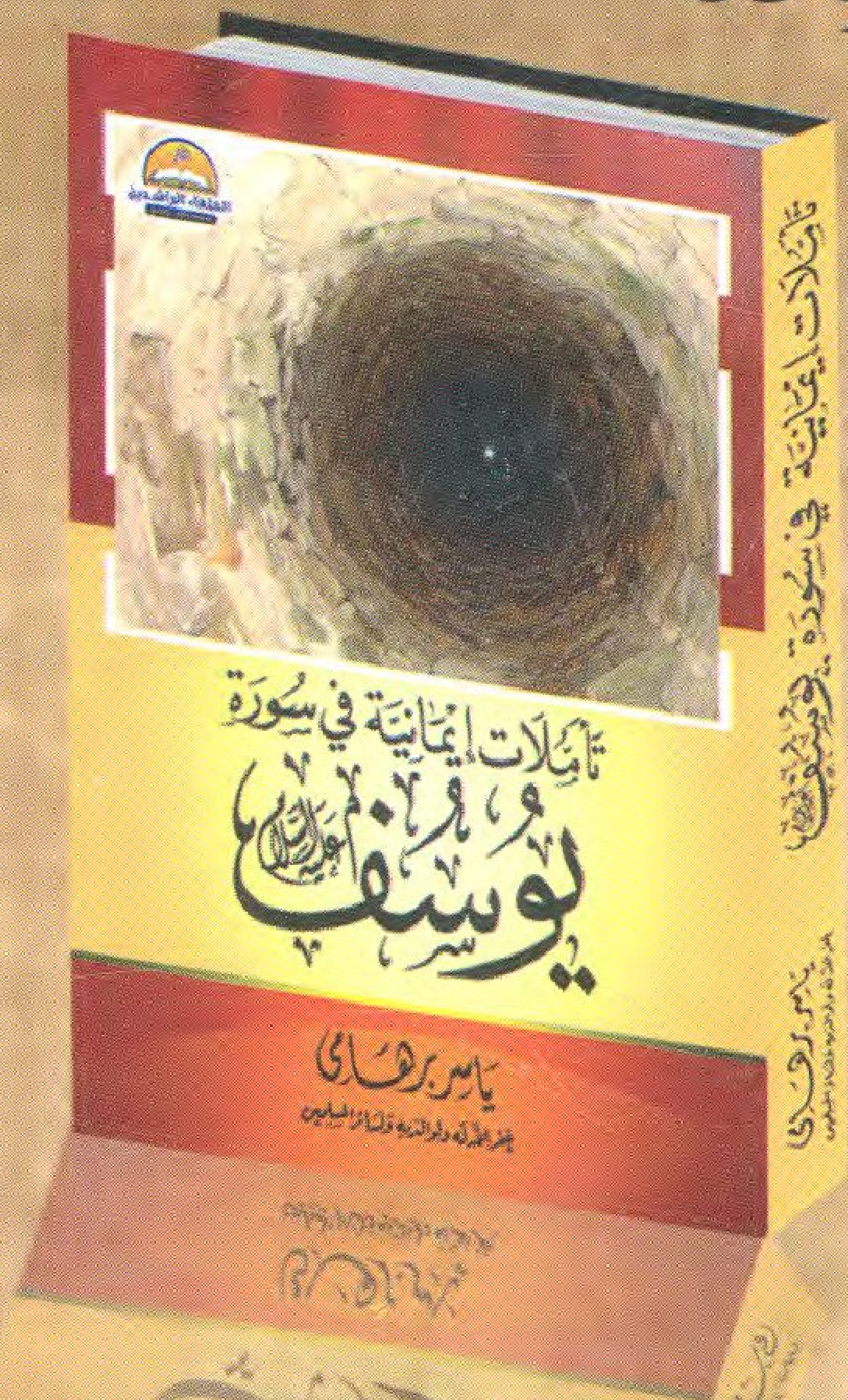
دار الخلفاء الراشدين
الأسكندرية

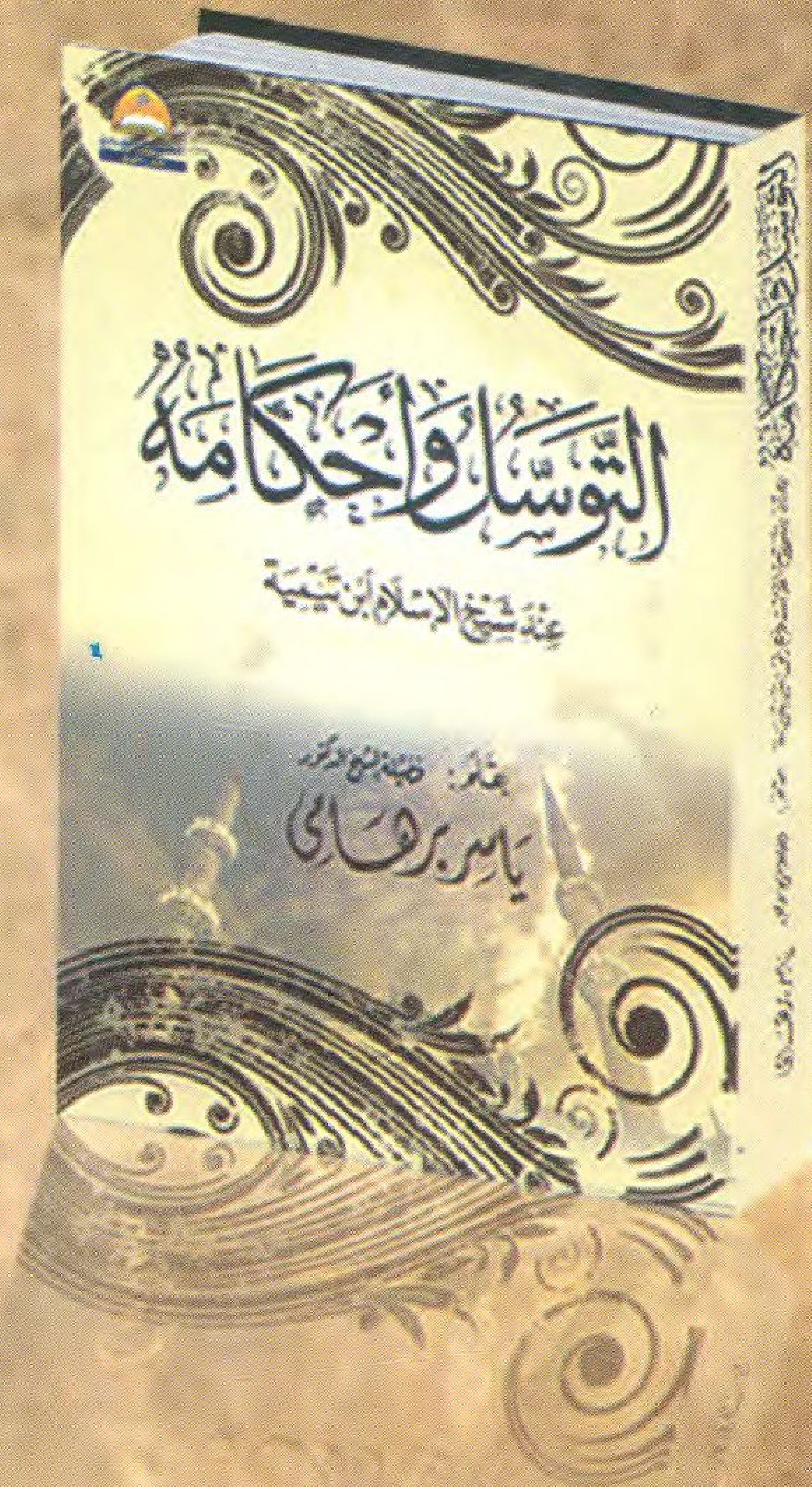
دار الفتح الإسلامي
بمصطفى كامل

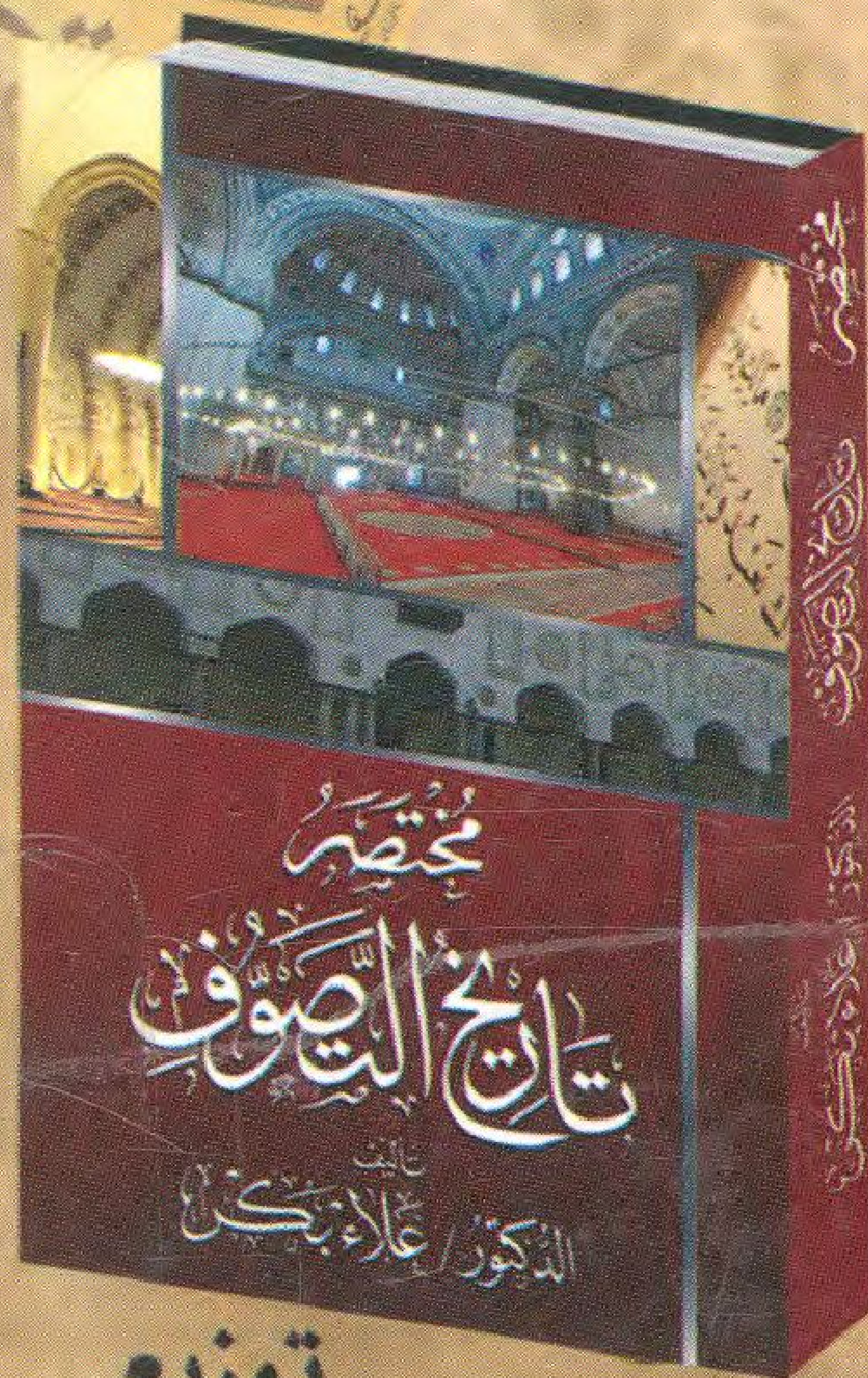

الجزيرة لفن التجليد


الجزيرة لفن التجليد

من اصداراتنا







توزيع

دار الفتح الإسلامي
مصطفى كامل بجوار مسجد الفتح
٠١٠٧٣٨٢٧٨٢/٠١٠٥٠١٣١٥١
DAR_ALFATH@GAWAB.COM

٢ ش منشية ال
٧١٤٧٦٨
D WAB.COM

